Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

Digitized by Google

Original from
PRINCETON UNIVERSITY

Digitized by Google

Original from
PRINCETON UNIVERSITY

30

102 S. [illegible]

A. Caussin de Perceval

Ettaklāwi.

Digitized by Google

Original from
PRINCETON UNIVERSITY

Rifa'ah Rafi, Bey

Tahklis al-Ibriz
(An account of the author's
Journey to France and
a description of Paris)

AH 1250

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

طبع كتاب تخليص الابريز * فى تلخيص باريز * بدار الطباعة الخديوية *
ببولاق مصر المحمية * على يد مؤلفها ومصحح طبعها الفقير الى الله تعالى
رفاعة رافع الطهطاوى * غفر الله له ولوالديه جميع الذنوب والمساوى *
لازالت هذه المطبعة بعناية الداورى الاكرم * زاهية زاهرة * وبانفاس الخديوى
الاعظم * باهية باهرة * ولا برحت على مدى الايام * بديعة النظام * كاملة
المعانى والمبانى * بمعرفة ناظرها ابى القاسم افندى شاهد الكيلانى
سنة ١٢٥٠ من الهجرة المحمدية * على صاحبها افضل الصلاة والتحية *

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

فهرسة تخليص الابريز * فى تلخيص باريز صفحة

الخطبة ١

المقدمة ٥

الباب الاول من المقدمة فى ذكر الارتحال الى باريس ٥

الباب الثانى من المقدمة يتعلق بالعلوم والفنون المطلوبه ١٠

الباب الثالث من المقدمة فى ذكر وضع البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة الفرنساوية على ماعداها من الافرنج الى اخره ١٢

الباب الرابع من المقدمة فى ذكر رؤساء هذه السفرة ١٩

المقصد فى مدة السفر من مصر الى باريس وما رأيناه من الغرائب فى الطريق الى آخره ٢٠

المقالة الاولى فيما كان من الخروج من مصر الى دخول مدينة مرسيليا ٢١

الفصل الاول فى الخروج من مصر الى دخول ثغر اسكندرية ٢١

الفصل الثانى فى ذكر نبذة تتعلق بمدينة اسكندرية ٢٢

الفصل الثالث فى ركوب البحر المالح المتصل بثغر اسكندرية ٢٤

الفصل الرابع فيما رأيناه من الجبال والبلاد والجزائر ٢٦

المقالة الثانية فيما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة باريس ٣٠

الفصل الاول فى مدة اقامتنا فى مدينة مرسيليا ٣٠

الفصل الثانى فى الخروج من مرسيليا الى دخول باريس وفى المسافة بينهما ٣٦

المقالة الثالثة فى دخول باريس وذكر جميع ماشهدناه وبلغنا خبره من احوال هذه المدينة ٣٦

الفصل الاول فى تخطيط باريس من جهة وضعها الجغرافى وطبيعة ارضها ومزاج قطرها ٣٦

الفصل الثانى فى الكلام على اهل باريس وصفاتهم ٤٩

الفصل الثالث فى تدبير الدولة الفرنساوية وهو يشتمل ايضا على اصول قوانين الفرنساوية ٦٤

الفصل

الفصل الرابع فى عادة سكنى اهل باريس وما يتبع ذلك ٧٧
الفصل الخامس فى اغذية اهل باريس وفى عوائدهم فى المآكل والمشارب ٨٢
الفصل السادس فى ملابس الفرنسيس ٨٥
الفصل السابع فى منتزهات باريس ٨٧
الفصل الثامن فى سياسة صحة الابدان بمدينة باريس ٩٣
الفصل التاسع فى الكلام على اعتناء باريس بالعلوم الطبية وفى ذكر نبذة من قانون الصحة تسمى نصيحة الطبيب مشتملة على مواد ٩٤
المادة الاولى فى وصية صحاح البدن ٩٧
المادة الثانية فيما يصنع حين اخذ المرض فى الظهور ٩٨
المادة الثالثة فيما يصنع حين تمام ظهور المرض ٩٩
المادة الرابعة فى معالجة الناقه ١٠١
المادة السادسة فى معالجات لجملة علل وامراض ١٠٢
الفصل العاشر فى فعل الخير بمدينة باريس ١١١
الفصل الحادى عشر فى كسب مدينة باريس ومهارتها ١١٤
الفصل الثانى عشر فى دين اهل باريس ١١٩
الفصل الثالث عشر فى ذكر تقدم اهل باريس فى العلوم والفنون والصنائع وذكر ترتيبهم وايضاح ما يتعلق بذلك ١٢١
المقالة الرابعة فيما كنا عليه من الاجتهاد والاشتغال بالفنون المطلوبة لتحصيل غرض ولى النعم ١٣٦
الفصل الاول فيما حصل لنا اول الامر من الترتيب فى القراءة والكتابة وغيرهما ١٣٧
الفصل الثانى فى تدبيرنا فى شأن الدخول والخروج ١٣٩
الفصل الثالث فى ترغيب ولى النعم لنا فى الشغل والاجتهاد ١٤١
الفصل الرابع فى بعض مراسلات بينى وبين بعض كبار علماء الفرنساوية غير مسيو جومار ١٤٢

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

الفصل الخامس فى ذكر ما قرأته من الكتب الى آخره ١٤٨

الفصل السادس فى الامتحانات التى صنعت معى فى مدينة باريس ١٥٢

المقالة الخامسة فى ذكر ما وقع من الفتنة فى فرانسا ١٥٦

الفصل الاول فى ذكر مقدمة يتوقف عليها ادراك علة خروج الفرنساوية عن طاعة ملكهم ١٥٦

الفصل الثانى فى ذكر التغيرات التى حصلت وما ترتب عليها من الفتنة ١٥٩

الفصل الثالث فيما كان يصنعه الملك فى هذه المدة وفى رضائه بالصلح بعد فوات اوانه ١٦٤

الفصل الرابع فيما انحط عليه رأى اهل المشورة من تولية ملك آخر ١٦٦

الفصل الخامس فيما حصل للوزراء الذين وضعوا خطوط ايديهم على الاوامر السلطانية التى كانت السبب فى زوال مملكة الملك الاول ١٦٩

الفصل السادس فيما كان بعد الفتنة وفى سخرية الفرنساوية على شرل العاشر وفى عدم اكتفاء الفرنساوية بذلك ١٧٢

المقالة السادسة فى ذكر نبذات من العلوم والفنون المسرودة فى الباب الثانى من المقدمة ١٧٦

الفصل الاول فى تقسيم العلوم والفنون على طريق الافرنج ١٧٦

الفصل الثانى فى تقسيم اللغات من حيث هى وفى ذكر اصطلاح اللغة الفرنساوية وفيه نبذة من مختار الاشعار ١٧٧

الفصل الثالث فى فن الكتابة ١٨٤

الفصل الرابع فى علم البلاغة المشتمل على البيان والمعانى والبديع ١٨٥

الفصل الخامس فى المنطق ١٨٦

الفصل السادس فى المقولات العشرة المنسوبة الى ارسطو ١٨٩

الفصل السابع فى علم الحساب المسمى باللغة الافرنجية ارتيماطيقا وفيه يسير من الهندسة والجغرافيا والتاريخ ١٩١

الخاتمة من رجوعى من باريس الى مصر وفى عدة امور مختلفة ٢٠٢

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

Rifāʿah Rāfiʿ

هذه رحلة الفقير الى الله
تعالى رفاعة بدوى رافع
الطهطاوى الى ديار فرانسا
المدعاة بتخليص الابريز الى
تلخيص باريز او الديوان
النفيس بايوان
باريس

تقريض شيخنا شيخ الاسلام الشيخ العطار شيخ الجامع الازهر على هذا الكتاب

سبحان من اظهر عجائب مصنوعاته * فى اختلاف اوضاع مخلوقاته * وتباين انواع العالم واختلاف هيئاته * يرى ذلك بعين الاستبصار من ولج فى البحار واقتحم القفار * فان السفر مرآت الاعاجيب * وقسطاس التجاريب * وقد اودع فى هذه الرحلة مؤلفها الاديب الاريب * والفاضل الذكى اللبيب * ماشاهده من عجائب تلك البلاد * واحوال هؤلاء العباد * مما يحرض العاقل على الاسفار * والتنقل فى الامصار * حتى يزداد بذلك علما يقينا * ويفوق بالاحاطة باحوال عباده فى الزمن اليسير بما لا يدركه القاطن بداره ولو عاش من السنين مئينا

حرّره الفقير حسن العطار
خادم العلم بالازهر
عفا الله
عنه

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

كوسين
دى برسوال

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من سير اقدام الانام الى ماضى فى سابق علمه * ويسر للانسان الاقدام على محتم قضائه وحكمه * فلا محيص لقوى وضعيف * ووضيع وشريف * عما جرى فى ام الكتاب * ولا مفر لغنى وفقير وخطير وحقير عن الاقتراب الى مطوى ذلك الحجاب * احمده سبحانه وتعالى حمد من ابتلاه فصبر * واغناه فشكر * واشكره شكر من توجه بجنانه للسير الى مرضاته * فتنزه فى رياض القبول وجناته * واصلى واسلم على من سارت ركائب شوقه الى مدبره * واشارت مواكب حسن خلقه الى طيب عنصره * سيدنا محمد الذى سافر الى الشام * وهاجر الى المدينه * وسار من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكان جبريل امينه * وعلى اله واصحابه وعترته واحبابه * واتوسل الى الحضرة العلية * بالحضرة المحمدية * فى نشر الوية العز والعدل * وكمال الجاه والفضل * على سائر الاقطار المصرية * وجميع الاقاليم الحجازية والسودانية والشامية * باشراق طالع التدبير العجيب والتشييد الغريب * الوزير الاعظم * والدستور المكرم المفخم * نادرة وزراء الزمان * وشاردة امراء الاوان * من احيى العلوم باجتهاده * ونصب رسوم الاسلام بغزوه وجهاده * صاحب العلم المنيف * وفاتح الحرم الشريف * حضرة افندينا ولى النعم * عظيم الشيم * الحاج محمد على باشا

بلغه

بلغه الله تعالى ما يشاء وما شا امين *

* ابقاه ربى بخير * وعزة وسعاده *

* بجاه خير البرايا * والال اهل السياده *

اما بعد فيقول العبد الفقير الى امداد سيده ومولاه * السائر حيث وجهه ووولاه * المعتمد على الكريم النافع * رفاعة ابن المرحوم السيد بدوى رافع * الطهطاوى بلدا الحسينى القاسمى نسبا * الشافعى مذهبا * لما من الله سبحانه وتعالى على بطلب العلم بالجامع الازهر * والمحل الانور * الذى هو جنة علم دانية الثمار * وروضة فهم يانعة الازهار * كما قال استاذنا العلامة العطار *

* لازم اذا رمت الفضائل مسجدا * بشموس انواع العلوم تنورا *

* فيه رياض العلم اينع زهرها * فلذلك المعنى تسمى الازهرا *

وقال بعضهم واحسن بيتين معرضا بعلماء الحرمين *

* ومن يغترب عن ازهر العلم فليخ * على بعد دار العلم والعلماء *

* ففيه بحور طاميات وغيره * بحور عروض لا تجود بماء *

وحصلت ما يسر به على الفتاح مما يخرج به الانسان من الظلام * ويمتاز به عن مرتبة العوام * وكنت من معشر جارت عليهم الايام بعد ان اجرت غيثها فى ديارهم * واشارت الى نصبهم الاعوام بعد ان نصبت اعلام راحتها فى مزارهم * ومن المركوز فى الاسماع فى القديم والحديث * وعليه الاجماع بعد الكتاب والحديث * ان خير الامور العلم * وانه اهم كل مهم * وان ثمرته فى الدنيا والاخرة على صاحبه تعود * وان فضله فى كل زمان ومكان مشهود * سهل لى الدخول فى خدمة صاحب السعادة اولا فى وظيفة واعظ فى العساكر الجهاديه * ثم منها الى رتبة مبعوث فى باريس صحبة الافندية المبعوثين لتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهيه * فلما رسم اسمى فى جملة المسافرين * وعزمت على التوجه اشار على بعض الاقارب والمحبين * لاسيما شيخنا العطار فانه مولع بسماع عجائب الاخبار والاطلاع على غرائب

RECAP
2274
.42
389
765 25-9-6
Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

الآثار ان انبه على ما يقع فى هذه السفرة وعلى ما اراه وما اصادفه من الامور
الغريبة والاشياء العجيبة * وان اقيده ليكون نافعا فى كشف القناع *
عن محيا هذه البقاع * التى يقال فيها انها عرائس الاقطار * وايبقى دليلا
يهتدى به الى السفر اليها طلاب الاسفار * خصوصا وانه من اول الزمن الى
الان لم يظهر باللغة العربيه على حسب ظنى شئ فى تاريخ مدينة باريس * كرسى
مملكة الفرنسيس * ولا فى تعريف احوالها واحوال اهلها * فالحمد لله
الذى جعل ذلك بانفاس ولى النعمة وفى عهده وبسبب عنايته وتقويته
للعلوم والفنون فاقصرت فى ان قيدت فى سفرى رحلة صغيرة نزهتها عن خلل
التساهل والتحامل * وبرأتها عن زلل التكاسل والتفاضل * ووشحتها ببعض
استطرادات نافعة * واستظهارات ساطعة * وانطقتها بحث ديار الاسلام
على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنايع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج
امر ثابت شائع * والحق احق ان يتبع * ولعمر الله اننى مدة اقامتى بهذه
البلاد فى حسرة على تمتعها بذلك وخلو ممالك الاسلام منه واياك ان تجد
ما اذكره لك خارقا عن عادتك فيعسر عليك تصديقه فتظنه من باب الهذر
والخرافات * اومن حيز الافراط والمبالغات * وبالجملة فبعض الظن
اثم * والشاهد يرى ما لا يراه الغائب واذا لم تر الهلال فسلم لاناس راوه
بالابصار * وقد اشهدت الله سبحانه وتعالى على ان لا احود فى جميع
ما اقوله عن طريق الحق وان افشى ما سمح به خاطرى من الحكم على استحسان
بعض امور هذه البلاد وعوائدها على حسب ما يقتضيه الحال ومن المعلوم
انى لا استحسن الا مالم يخالف نص الشريعة المحمدية * على صاحبها افضل
الصلاة واشرف التحية * وليست هذه الرحلة مقتصرة على ذكر السفر ووقايعه
فقط بل هى مشتملة ايضا على ثمرته وغرضه وفيها ايجاز العلوم والصنايع
المطلوبة والتكلم عليها على طريق تدوين الافرنج لها واعتقادهم فيها
وتاسيسهم لها ولذلك نسبت فى غالب الاوقات الاشياء التى هى محل للنظر
اوللاختلاف مشيرا الى ان قصدى مجرد حكايتها وقد سميت هذه الرحلة

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

تخليص الابريز فى تلخيص باريز * او الديوان النفيس * بايوان باريس *
وقد رتبتها على مقدمة وفيها عدة ابواب * وعلى مقصد وفيه عدة
مقالات * وكل مقالة فيها عدة فصول * او كتب مشتملة على فصول
وعلى خاتمة * راجع الفهرسة فى اول الكتاب * وقد حاولت فى تأليف هذا
الكتاب سلوك طريق الايجاز وارتكاب السهولة فى التعبير حتى يمكن لكل
الناس الورود على حياضه * والوفود على رياضه * ولو صغر حجمه وقل
جرمه * فهو مشحون بما لا يحصى من فوائد الفرائد * وبما لا يستقصى
من جزائل الخرائد * شعر

* فاذا بدا لا تستقلوا حجمه * وحياتكم فيه الكثير الطيب *

واسئل الله سبحانه وتعالى ان يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى صاحب
السعادة ولى النعم * معدن الفضل والكرم * وان يوقظ به من نوم الغفلة
سائر امم الاسلام من عرب وعجم * انه سميع مجيب * وقاصده لا يخيب *

* المقدمة *

الباب الاول فى ذكر ما يظهر لى من سبب ارتحالنا الى هذه البلاد التى هى ديار
كفر وعناد * وبعيدة عنا غاية الابتعاد * وكثيرة المصاريف لشدة غلو الاسعار
فيها غاية الاشتداد * اقول ان هذا يحتاج الى تمهيد وهو ان الاصل فى الانسان
السذاجية والخلوص عن الزينة والوجود على اصل الفطرة لا يعرف الا الامور
الوجدانية ثم طرأ على بعض الناس عدة معارف لم يسبق بها وانما كشفت له
بالصدفة والاتفاق او بالالهام والايحاء وحكم الشرع او العقل بنفعها فاتبعت
وابقيت مثلا كان فى اوائل الزمن يجهل بعض الناس تنضيج المطعومات
بالنيران لجهل النار بالكلية عندهم ويقتصرون على الغذاء بالفواكه
او بالاشياء المنضجة بالشمس او اكل الاشياء النيئة كما هو فى بعض البلاد الى الان ثم
انه حصل اتفاقا ان بعضهم رأى خروج شرارة نار من الصوان بمصادمة حديدة
او نحوها ففعل مثل ذلك وقدم واخرج النار وعرف خاصيتها وكان فى الناس
من يجهل الصبغ والتلوين للثياب باللون الارجوانى مثلا فراى بعضهم كلبا اخذ

بحارة من البحر وفتحها واكل مافيها فاحمر حنكه وتلون بما فيها فاخذوها
وعرفوا منها صناعة الصباغة بهذا اللون * كما يحكى عن اهالى صور ببر الشام
وكانت الناس فى اول الامر تجهل ركوب البحر ثم بالهام الهى او باتفاق بشرى
عرفوا ان من خواص الخشب السبح على وجه الماء فصنعوا السفينة ثم تبحروا
فى السفن وعمروها ونوعوها انواعا فكانت اولا صغيرة للتجارات ثم ترفعوا
فيها حتى صلحت للجهاد والحرابات وقس على ذلك ما اشبهه من المحاربة
بالسهام والرماح اولا ثم بعد ذلك بالسلاح ثم بالمدافع والاهوان وقد كانت الناس
فى اول الزمن تعبد الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك ثم بالهام الله تعالى وبارساله
الرسل صاروا يعبدون الها واحدا فكلما تقادم الزمن فى الصعود رأيت تأخر
الناس فى الصنايع البشريه والعلوم المدنية * وكلما نزلت ونظرت الى الزمن
فى الهبوط رأيت فى الغالب ترقيهم وتقدمهم فى ذلك وبهذا الترقى وقياس
درجاته وحساب البعد عن الحالة الاصلية والقرب منها انقسم سائر الخلق
الى عدة مراتب * المرتبة الاولى مرتبة الهمل المتوحشين * المرتبة
الثانية مرتبة البرابرة الخشنين * المرتبة الثالثة مرتبة اهل الادب
والظرافة والتحضر والتمدن والتمصر المتظرفين * مثال المرتبة الاولى
همل بلاد السودان الذين هم دائما كالبهائم السارحة لا يعرفون الحلال من
الحرام ولا يقرؤن ولا يكتبون ولا يعرفون شيأ من الامور المسهلة للمعاش
ولا للمعاد وانما تبعثهم الوجدانية على قضاء شهواتهم كالبهائم فيزرعون بعض
شئ او يصيدونه لتحصيل قوتهم ويخصصون بعض اخصاص او خيام للتوقى من
حر الشمس ونحوه * ومثال المرتبة الثانية عرب البادية فان عندهم نوعا
من الاجتماع الانسانى والاستئناس والائتلاف لمعرفتهم الحلال من الحرام
والقراة والكتابة وغيرها وامور الدين ونحو ذلك غير انهم ايضا لم تكمل عندهم
درجة الترقى فى امور المعاش والعمران والصنايع البشرية والعلوم العقلية
والنقلية وان عرفوا البناء والفلاحة وتربية البهائم ونحو ذلك * ومثال المرتبة
الثالثة بلاد مصر والشام واليمن والروم والعجم والافرنج والمغرب وسنار وبلاد

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

امريكه على اكثرهـا وكثيرمن جزاير البحر المحيط فان جميع هؤلاء الامم ارباب عمران وسياسات * وعلوم وصناعات * وشرايع وتجارات * ولهم معارف كاملة فى آلات الصنايع والحيل على حمل الاشياء الثقيلة باخف الطرق ولهم علم بالسفر فى البحور الى غير ذلك * وهذه المرتبة الثالثه تتفاوت فى علومها وفنونها وحسن حالها وتقليد شريعة من الشريعة وتقدمها فى النجابة مثلا البلاد الافرنجية قد بلغت اقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية والطبيعية وماوراء الطبيعة اصولها وفروعها ولبعضهم نوع مشاركه فى بعض العلوم العربية وتوصلوا الى دقائقها واسرارها كما سنذكره غير انهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم ولم يسلكوا سبيل النجاة ابدا وكان البلاد الاسلامية قد برعت فى العلوم الشرعية والعمل بها و فى العلوم العقلية واهملت العلوم الحكمية بجملتها فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية فى كسب مالا تعرفه ولهذا حكم الافرنج بان علماء الاسلام انما يعرفون شريعتهم والسانهم يعنى ما يتعلق باللغة العربية ولكن يعترفون لنا بانا كنا اساتيذهم فى سائر العلوم وبقدمنا عليهم ومن المقرر فى الاذهان وفى خارج الاعيان ان الفضل للمتقدم اوليس ان المتأخر يغترف من فضالته * ويهتدى بدلالته * وما احسن قول الشاعر *

* ومما شجانى اننى كنت نائما * اعلل من فرط الكرى بالتنسم *
* الى ان بكت ورقاء فى غصن ايكة * تردد مبكاها بحسن الترنم *
* فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم *
* ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم *

ويعجبنى ايضا قولهم فى هذا المعنى عند المكافئة *

* انا الشجاع الذى قد كنت فى ظمأ * وسط الهجير على الرمضاء فى الوادى *
* فجدت بالماء فضلا منك مبتدأ * بغير قبل فاشفى غلة الصادى *
* هذا جزاؤك منا لا نمن به * فضلا بفضل وكان الفضل للبادى *

فاننا كنا فى زمن الخلفاء اكمل سائر البلاد وسبب ذلك ان الخلفاء كانوا يعينون

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

العلماء وارباب الفنون وغيرهم على ان منهم من كان يشتغل بها بنفسه فانظر الى المأمون بن هارون الرشيد فانه زيادة عن اعانة ميقاتية دولته كان يشتغل بنفسه بعلم الفلك * كيف وهو الذى قد حرر ميل دائرة فلك البروج على دائرة الاستوا فوجده بالامتحان ثلاثة وعشرين درجة وخمسة وثلاثين دقيقة وغير ذلك وكما فعل جعفر المتوكل من العباسية فانه اعان اصطفان على ترجمة الكتب اليونانية ككتاب ذيسقوريدس فى الادوية وكما قد طلب الملك عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس من ملك قسطنطينية المسمى ارمانيوس ان يبعث اليه رجلا يتكلم باللسان اليونانى واللاطينى ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين عنده فبعث له راهبا يسمى نقولا الى غير ذلك * فمن هنا تفهم ان العلوم لا تنتشر فى عصر الا باعانة صاحب الدولة لاهلها وفى الامثال الحكمية الناس على دين ملوكهم وقد تشتت عز الخلفاء وانهدم ملكهم فانظر الى الاندلس فانها الان بايدى النصارى الاسبانيول من نحو ثلاثمائة وخمسين سنة وقد قويت شوكة الافرنج ببراعتهم وتدبيرهم بل وعدلهم ومعرفتهم فى الحرابات وتنوعهم واختراعهم فيها ولولا ان الاسلام منصور بقدرة الله سبحانه وتعالى لكان كلا شئ بالنسبة لقوتهم وسوادهم وثروتهم وبراعتهم وغير ذلك ومن المثل المشهور ان اعقل الملوك ابصرهم بعواقب الامور ولهذا تنبه ولى النعمة حفظه الله تعالى حيث ولاه الله سبحانه وتعالى على بلاد مصر القاهرة ان يرجع اليها شبابها القديم * ويحيى رونقها الرميم * فمن مبدء توليه حفظه الله سبحانه وتعالى وهو يعالج فى مداواة دائها الذى لولاه كان عضالا * ويصلح فسادها الذى قد كاد ان يكون زواله محالا ويلتجى اليه ارباب الفنون البارعة والصنايع النافعة من الافرنج ويغدق عليهم فائض نعمته حتى ان العامة بمصر بل وبغيرها من جهلهم يلومونه غاية اللوم بسبب قبول الافرنج وترحيبه بهم وانعامه عليهم جهلا منهم بانه حفظه الله انما يفعل ذلك لانسانيتهم وعلومهم لا لكونهم نصارى فالحاجة دعت اليه ولله در من قال *

* ان المعلم والطبيب كلاهما * لم ينصحا اذا لم يكرما *

فاصبر

* فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما *

ولا يتأتى لانسان ان ينكر ان الفنون والصنائع بمصر قد برعت الان بل وقد وجدت بعد ان لم تكن فما انفقه صاحب السعادة على ذلك كان فى محله اتفاقا * فانظر الى الورش والمعامل والمدارس ونحوها وانظر الى ترتيب امر العساكر الجهادية فانه من احسن ما صنعه صاحب السعادة واحق ما يورخ من فعل الخيرات ولا يمكن ادراك ضرورية هذا النظام الا من رأى بلاد الافرنج او شاهد الوقايع وبالجملة والتفصيل فولى النعمة آماله دائما متعلقة بالعمارات ومن الحكم المعروفة العمارة كالحياة والخراب كالموت وبناء كل ملك على قدر همته وقد سارع ولى النعمة حفظه الله تعالى فى تحسين بلاده فاحضر فيها ما امكنه احضاره من علماء الافرنج وبعث ما امكنه بعثه من مصر الى تلك البلاد فان علماءها اعظم من غيرهم فى العلوم الحكمية * وفى الحديث الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو فى اهل الشرك * قال بطليموس الثانى خذوا الدر من البحر والمسك من الفارة * والذهب من الحجر * والحكمة ممن قالها * وفى الحديث اطلب العلم ولو بالصين ومن المعلوم ان اهل الصين وثنيون وان كان المقصود من الحديث السفر الى طلب العلم * وبالجملة حيثما امن الانسان على دينه فلا ضرر فى السفر خصوصا لمصلحة مثل هذه المصلحة * ولعل هذا كله مطمح نظر صاحب السعادة فى هذا التسفير * فثمرة هذا السفر تحصل ان شاء الله تعالى بنشر هذه العلوم والفنون الآتية فى الباب الثانى وبكثرة تداولها وترجمة كتبها وطبعها فى مطابع ولى النعم * فينبغى لاهل العلم حث جميع الناس على الاشتغال بالعلوم والفنون والصنايع النافعة وليس هذا الزمان قابلا لان يقال فيه كما قال بهاء الدين ابو حسين العاملى فى صرف العمر فى جمع كتب العلم وادخارها ومطالعتها فى شعره *

* على كتب العلوم صرفت مالك * وفى تصحيحها اتعبت بالك *
* وانفقت البياض مع السواد * الى ما ليس ينفع فى المعاد *
* تظل من المساء الى الصباح * تطالعها وقلبك غير صاح *
* وتصبح مولعا من غير طائل * بتحرير المقاصد والدلائل *

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

*وتوضيح الخفا فى كل باب * وتوجيه السؤال مع الجواب *
*لعمرى قد اضلتك الهدايه * ضلالا ماله ابدا نهايه *
*وبالمحصول حاصلك النّدامه * وحرمان الى يوم القيامه *
*وتذكرة المواقف والمراصد * تسد عليك ابواب المقاصد *
*فلا ينجى النجاة من الضلاله * ولا يشفى الشفاء من الجهاله *
*وبالارشاد لم يحصل رشاد * وبالتبيان مابان السداد *
*وبالايضاح اشكلت المدارك * وبالمصباح اظلمت المسالك *
*وبالتلويح مالاح الدليل * وبالتوضيح مااتضح السبيل *
*صرفت خلاصة العمر العزيز * على تنقيح ابحاث الوجيز *
*بهذا الامر صرف العمر جهل * فقم واجهد فما فى الوقت مهل *
*ودع عنك الشروح مع الحواشى * فهن على البصائر كالغواشى *

وقوله

*ايها القوم الذى فى المدرسه * كلما حصلتموه وسوسه *
*فكركم ان كان فى غير الحبيب * ماله فى النشاة الاخرى نصيب *
*فاغسلوا بالراح عن لوح الفؤاد * كل علم ليس ينجى فى المعاد *

*الباب الثانى من المقدمه *

يتعلق بالعلوم والفنون المطلوبة ولنذكر لك هنا الصنايع المطلوبة لتعرف اهميتها ولزومها فى اى دولة من الدول وهذه الفنون اما واهية فى مصر اومفقودة بالكلية وهى قسمان قسم عام للتلامذة وهو الحساب * والهندسة * والجغرافيا * والتاريخ * والرسم * وقسم خاص متوزع عليهم وهو عدة علوم العلم الاول * علم تدبير الامور الملكية ويتشعب عنه عدة فروع * الحقوق الثلاثة التى يعتبرها الافرنج وهى الحقوق الطبيعية * والحقوق البشرية * والحقوق الوضعية * وعلم احوال البلدان ومصالحها ومايليق بها * وعلم الاقتصاد فى المصاريف * وعلم تدبير المعاملات * والمحاسبات * والخازندارية * وحفظ بيت المال * العلم الثانى * علم تدبير العسكرية * العلم

Visit of an Arab-Egypt-
to France - describing the
people & ^life^ manners of last
century -

autographs of a famous
french orientalist -

R. S. Hislop called with
this - from Prof. Davidson

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

*وتوضيح الخفا فى كل باب * وتوجيه السؤال مع الجواب *

*لعمرى قد اضلتك الهدايه * ضلالا ماله ابدا نهايه *

Digitized by Google

Original from
PRINCETON UNIVERSITY

الثالث * علم القبطانية والامور البحرية * العلم الرابع * فن معرفة المشى فى مصالح الدول * يعنى علم السفاره ومنه الايلجية وهى رسالة البلدان وفروعه معرفة الالسن والحقوق والاصطلاحات * العلم الخامس فن المياه وهو صناعة القناطر والجسور والارصفة والفساقى ونحو ذلك * العلم السادس الميكانيقا وهو آلات الهندسيه وجر الاثقال * العلم السابع هندسة العساكر العلم الثامن * فن الرمى بالمدافع * وترتيبها وهى فن الطبجية * العلم التاسع * فن سبك المعادن لصناعة المدافع والاسلحة * العلم العاشر علم الكيميا وصناعة الورق والمراد بالكيميا معرفة تحليل الاجزاء وتركيبها * ويدخل تحتها امور كثيرة كصناعة البارود والسكر * وليس المراد بالكيميا حجر الفلاسفة كما يظنه بعض الناس فان هذا لا تعرفه الافرنج ولا تعتقده اصلا * العلم الحادى عشر * فن الطب وفروعه فن التشريح والجراحة وتدبير الصحة * وفن معرفة مزاج المريض * وفن البيطرة اى معالجة الخيل وغيرها * العلم الثانى عشر * علم الفلاحة وفروعها معرفة انواع الزروع وتدبير الخلا بالبناء اللايق به وغيرها * ومعرفة ما يخصه من آلات الحراثة المدبرة للمصاريف * العلم الثالث عشر * علم تاريخ الطبيعيات وفروعه مرتبة النباتات ومرتبة المعادن * العلم الرابع عشر * صناعة النقاشة وفروعها فن الطباعة وفن نقش الاحجار ونحوها * العلم الخامس عشر فن الترجمة يعنى ترجمة الكتب وهو من الفنون الصعبة خصوصا ترجمة الكتب العلمية فانه يحتاج الى معرفة اصطلاحات اصول العلوم المراد ترجمتها فاذا نظرت بعين الحقيقة رأيت سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الافرنج ناقصة او مجهولة بالكلية عندنا ومن جهل شيأ فهو دون من اتقن ذلك الشئ وكلما تكبر الانسان عن تعلمه شيأ مات بحسرته فالحمد لله الذى قيض لى النعمة لانقاذنا من ظلمات جهل هذه الاشياء الموجودة عند غيرنا واظن ان من له ذوق سليم وطبع مستقيم يقول كما اقول وسأذكر بعضها بالاختصار فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وهو المستعان

الباب الثالث من المقدمة

الحيوانات

فى ذكر وضع البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة الفرنساوية على ماعداها من الافرنج وتبيين تخصيص صاحب السعادة لها بارسالنا فيها دون ماعداها من ممالك الافرنج فنقول * اعلم ان الجغرافيين من الافرنج قسموا الدنيا من الشمال الى الجنوب ومن المشرق الى المغرب خمسة اقسام وهى بلاد اربا بضم الهمزة والراء وتشديد الباء * وبلاد اسيا بكسر السين وبلاد الافريقية * وبلاد الامريكية * وجزائر البحر المحيط * فبلاد اوربا محدودة جهة الشمال بالبحر المنجمد المسمى بحر الثلج الشمالى * وجهة الغرب ببحر الظلمات المسمى البحر المظلم والبحر الغربى وجهة الجنوب ببحر الروم المسمى البحر المتوسط والبحر الابيض وبلاد اسيا * وجهة الشرق ببحر الخزر بضم الخاء والزاى المسمى بحر جرجان وبحر طبرستان * وبلاد اسيا * فحينئذ بلاد اربا تقال على بلاد الافرنج وبلاد الاروام * وبلاد قسطنطينيه * وبلاد الخزر والبلغار بضم الباء وفتح الغين * والافلاق والصرب وغيرها وهى نحو ثلاثة عشر ارضا اى ولاية اصلية اربعة منها فى الشمال وهى بلاد الانكليز وبلاد دانيمرق بكسر النون وفتح الميم وسكون الراء وبلاد اسوج بفتح الهمزة وسكون السين وكسر الواو وبلاد الموسقو وستة فى الوسط وهى بلاد الفلمنك بفتح الفاء واللام والميم وسكون النون وبلاد الفرنسيس وبلاد السويسة بضم السين الاولى مع التشديد وكسر الواو وبلاد النمسة وبلاد البروسة بضم الباء وبلاد جرمانية المتعاهدة بكسر الجيم وسكون الراء وكسر النون وثلاثة فى الجنوب وهى بلاد اسبانيا مع البرتوغال وبلاد ايطاليا وبلاد الدولة العلية العثمانية فى بلاد اربا وهى بلاد الاروام والارناؤط والبشناق بضم الباء وسكون الشين والصرب بالباء او الفاء والبلغار والافلاق والبغدان بضم الباء وسكون الغين فمن ذلك تعلم ان تفسير بعض المترجمين بلاد اربا ببلاد الافرنج فيه قصور اللهم الا ان يكون بلاد الافرنج تطلق على ما يعم بلاد الدولة العلية ولكن يناقض ذلك ان الدولة العثمانية يقصرون بلاد افرنجستان على ماعدا بلادهم من بلاد اربا ويسمون بلادهم

ببلاد الروم وان كانوا يعممون ايضا فى لفظ الروم فيريدون به مايعم بلاد الافرنج وبعض البلاد الداخلة فى حكمهم من بلاد اسيا وبلاد اسيا محددة ايضا جهة الشمال بالبحر المنجمد الشمالى وجهة الغرب ببلاد اربا والافريقية وجهة الجنوب ببحر الهند وبحر الصين وجهة الشرق ببحر الجنوب المحيط وبحر بهرنغ بكسر الباء وسكون الهاء وفتح الراء وسكون النون وبالغين او الكاف وهى تنقسم ايضا الى عشرة اراض اصلية واحدة جهة الشمال وهى بلاد سبير بكسر السين والباء وسبعة فى الوسط وهى بلاد الدولة العلية العثمانية التى هى الشام وارمنية وكردستان وبغداد والبصرة وقبرص وغيرها وبلاد العجم وبلاد بلوچستان بضم الباء وسكون السين وبلاد قابواستان بكسر اللام وسكون السين وأفغهانستان بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الغين وكسر النون وسكون السين وبلاد التتار الاكبر وبلاد الصين وبلاد يابونيا بكسر النون واثنان فى الجنوب وهى بلاد العرب وبلاد الهند فبلاد الحجاز وبلاد الوهابية تحت حكم الدولة العلية وبلاد اليمن تحت حمايتها وبلاد عمان مستقلة وكلها اقاليم جزيرة العرب فهذه هى ولايات اسيا ثم بلاد الافريقية وهى محددة جهة الشمال ببحر الروم وجهة الغرب بالبحر الأطلنتيقى بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح اللام وسكون النون المسمى بحر الظلمات وجهة الجنوب بالبحر المحيط الجنوبى وجهة الشرق ببحر الهند وبغاز باب المندب وببحر القلزم المسمى البحر الاحمر وببلاد العرب ويمكن تقسيم الافريقية الى ثمانية اراض اصلية اثنان فى الشمال وهى بلاد المغاربة وبلاد مصر واربعة فى الوسط وهى السينغنبية بكسر السين والنون وفتح الغين المعجمة وسكون النون وكسر الباء وبلاد الزنج وبلاد النوبة وبلاد الحبشة واثنان فى الجنوب وهما بلاد غينا بالغين المكسورة او الكاف وبلاد كفر برية فهذا مايسمى الان عند الافرنج بلاد افريقية وان كانت افريقية فى الاصل بلدة معلومة جهة تونس وبلادها ماحواليها ثم اضيف الى بلاد اربا ماقاربها من الجزائر وكذلك لبلاد اسيا وافريقية وهذه الاقسام الثلاثة يعنى اربا واسيا وافريقية تسمى الدنيا القديمة او الارض

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

القديمة يعني المعروفة للقدماء واما بلاد الامريكة اوامريكية بالكاف او القاف فهي تسمى الدنيا الجديدة وتسمى ايضا الهند الغربي وتسمى بالعربية عجائب المخلوقات وهي انما عرفت للافرنج بعد تغلب النصارى على بلاد الاندلس واخراج العرب منها وتتصل بلاد الامريكة بستة بحور فيتصل بها من جهة الشمال البحر المحيط المنجمد وبحر بافين ومن جهة الشرق بحر الظلمات وبحر جزائر الانتيله وبالبحر المحيط الاكبر المسمى اقيانوس وبحر بهرنغ جهة الغرب وهي قسمان الامريكية الشمالية والامريكية الجنوبية فالامريكة الشمالية ستة اراض اصلية وهي الامريكة الروسية او المحكومة بالموسقو وبلاد اغرونلند بضم الهمزة وسكون الغين المعجمة ثم راء مضمومة يليها واو مفتوحة ثم نون ساكنة فلام مفتوحة فنون ساكنة ثم دال مهملة وبلاد ابرطانية الجديدة بكسر الهمزة وسكون الباء وكسر الراء والنون او بلاد الانكليز الجديدة وبلاد الايتازونيا بكسر الهمزة والنون وهي الاقاليم المجتمعة وبلاد مكسيك بفتح الميم وسكون الكاف وكسر السين وبلاد غواتيملا بضم الغين وفتح الميم والامريكة الجنوبية تسعة اراض ايضا وهي بلاد كلنبيا بضم الكاف واللام وسكون النون وكسر الباء وبلاد غيانه بكسر الغين وبلاد ابريزيله بسكون الباء وبلاد برو بكسر الباء وضم الراء وبلاد بولويه بضم الباء وسكون الواو الاولى وكسر الثانية المسمات برو العليا وبلاد براغية بفتح الباء وبلاد بلاطة وبلاد شلّي بكسر الشين وتشديد اللام المكسورة وبلاد بتاغونيا بفتح الباء والتاء وضم الغين وكسر النون واما جزاير البحر المحيط فانها غربي بلاد الامريكة وعلى الجنوب الشرقي من بلاد اسيا وهي محددة من سائر جهاتها بالبحر المحيط وهي ثلاثة اجزاء اصلية النوتازية بضم النون المشددة وكسر الزاى وتشديد الياء المفتوحة والاستورالية بضم الهمزة وسكون السين وضم التاء وكسر اللام والبولينيزية بضم الباء وكسر اللام والنون والزاى ثم بلاد اوربا فيها اربع بنادر اصلية مشهورة بالتجارة اسلامبول تخت الدولة العلية ولوندرة بضم اللام وسكون النون وفتح الدال تخت بلاد الانكليز وباريز تخت بلاد الفرنسيس

ونابلى بضم الباء ببلاد ايطاليا والبنادر الاصلية ببلاد اسيا اربعة ايضا بكين
بكسر الباء والكاف قاعدة بلاد الصين وقلقوطا بفتح القاف واللام وضم
القاف قاعدة بلاد الهند والتى تحت حكم الانكليز وصورة ببلاد الهند ايضا
ويقال هى التى كانت تسمى المنصورة ومياقو بكسر الميم وضم القاف فى بلاد
جزيرة يابونيا بضم الباء وكسر النون وهى بلاد الفرفور والبنادر الاصلية
ببلاد الافريقية اربعة القاهرة قاعدة حاكم مصر وسنار قاعدة حاكم بلاد النوبة
والجزاير وتونس ببلاد المغاربة والبنادر الاصلية ببلاد امريكية الشمالية
هى مكسيكو ببلاد مكسيك ونويرق بضم النون والياء وسكون الراء فى بلاد
الايتازونيا وفيلادلفيا بكسر الفاء والدال وسكون اللام وكسر القاف وفتح
الياء ومدينة وسهنغتون بسكون السين وكسر الهاء ثم نون ساكنة بعدها غين
مكسورة واربعة فى امريكة الجنوبية وهى ريوجانير بكسر الراء وضم الياء
وكسر النون فى بلاد ابريزيله بكسر الباء والراء وبنوسيرس بفتح الباء
وكسر السين والراء فى بلاد بلاطة بفتح الباء وليمة بكسر اللام فى بلاد بروقيطو
بكسر القاف وسكون الياء وضم الطاء فى بلاد غرناطة الجديدة وفى بلاد البحر
المحيط بندران شهيران وهما مدينة بتاويا بفتح الباء ومدينة مانيله وبندر جزيرة
جاوة ثم ان بلاد الافرنج اغلبها نصارى اوكفرة وبلاد الدولة العلية هى بلاد
الاسلام بهذه القطعة واما بلاد اسيا فانها منبع بلاد الاسلام بل وسائر الاديان
وهى اوطان الانبياء والمرسلين وبها نزلت سائر الكتب السماوية وهى
تتضمن اشرف الاماكن والارض المباركة والمساجد التى لا تشد الرحال
الا اليها وفيها منشأ ومضجع عظام سيد الاولين والاخرين والصحابة وهى منشأ
الائمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم لان منشأ الامام الشافعى رضى الله عنه غزة
ومنشأ الامام مالك رضى الله عنه المدينة المشرفة ومنشأ الامام الاعظم ابى
حنيفة النعمان الكوفة ومنشأ الامام احمد بن حنبل بغداد التى كانت كما قيل
فى ايام الخلفاء بالنسبة للبلاد كالاستاذ فى العباد وكلها من بلاد اسيا وبها
يعنى ببلاد اسيا العرب وهم افضل القبائل على الاطلاق ولسانهم افصح الالسن

باتفاق وفيهم بنو هاشم الذينهم ملح الارض وزبدة المجد ودرع الشرف ومما يدل على فضلها ان بها الاماكن المفضلة كالقبلة التى يجب على كل انسان ان يتوجه اليها خمس مرات فى اليوم والليلة والمدينتان اللتان نزل بهما القرأن العظيم ففضائلها لا تحصى وأثار اهلها لا تستقصى قال بعض اهلها

* عطفة ياجيرة العلم * يا اهيل الجود والكرم *
* نحن جيران لذا الحرم * حرم الانسان والحسن *
* نحن قوم به سكنوا * وبه من خوفهم امنوا *
* وبايات الكتاب عنوا * فاتئد فينا اخا الوهن *
* نعرف البطحاء وتعرفنا * والصفا والبيت يألفنا *
* ولنا المعلى وخيف منا * فاعلمن هذا وكن وكن *
* ولنا خير الانام اب * وعلى المرتضى حسب *
* والى السبطين ننتسب * نسبا ما فيه من دخن *

ومع ان الاسلام قد تولد فيها وانتشر منها الى غيرها ففيها جزؤ عظيم باق على الكفر كبلاد الصين وبعض بلاد الهند ومنها جزؤ سالك فى اسلامه طريق الضلال كروافض العجم واما بلاد افريقية فانها تشتمل على اعظم البلاد كبلاد مصر التى هى من اعظم البلاد واعمرها وهى ايضا عش الاولياء والصلحاء والعلماء وكبلاد المغرب التى اهلها اهل صلاح وتقى وعلم وعمل وان شاء الله يمتد بها الاسلام عند كفار السودان بانفاس ولى النعمة حفظه الله تعالى واما امريكة فهى بلاد كفر وذلك انها كانت عامرة فى الاصل بهمل عبدة الاصنام فتغلب عليها الافرنج لما قويت شوكتهم فى الفنون الحربية ونقلوا اليها جماعة من بلادهم وارسلوا اليها قسيسين فتنصر كثير من اهلها فالان بلاد امريكة غالبها نصارى الا الهمل فيهم وثنيون ولم يوجد بها دين الاسلام وسببه قوة الافرنج فى علم ركوب البحر ومعرفتهم العلوم الفلكية والجغرافية ورغبتهم فى المعاملات والتجارات وحبهم للسفر قال الشاعر

* ان العلا حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث ان العز فى النقل *

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

* لو كان فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل *

وقال آخر

* قلقل ركابك للفلا * ودع الغوانى والقصور *

* فمحالفوا اوطانهم * امثال سكان القبور *

* لولا التغرب ما ارتقت * درر البحور الى النحور *

وقال الحريرى

* لجوب البلاد مع المتربه * احب الى من المرتبه *

وقال غيره

* قم واغترب فى البلاد مجتهدا * فمن ثوى فى بلاده هانا *

* كبيدق لا يزال محتقرا * حتى اذا سار صار فرزانا *

وقال

* انفق من الصبر الجميل فانه * لم يخش فقرا منفق من صبره *

* والمرء ليس يبالغ فى ارضه * كالصقر ليس بصائد فى وكره *

ومن المعلوم ان الدر والمسك لا يشرفان ما لم يفارقا وطنهما ومعدنهما وكل هذا لا ينافى ان حب الوطن من شعب الايمان لأن المقصود السياحة والاخذ فى اسباب طلب الرزق وهذا لا يمنع من تعلق الانسان بوطنه ومسقط رأسه فان هذا الامر جبلى قال الشاعر

* يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكى على شجنه *

* كلما جد الرحيل به * زادت الاسقام فى بدنه *

وقال غيره

* ولقد زاد الفؤاد شجى * طائر يبكى على فننه *

* شفه ما شفنى فبكى * كلنا يبكى على سكنه *

ولا ينافى ايضا هذا الامر مادة التوكل والاعتماد على المولى كما يفهم من كلام الشاعر فى قوله

* لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى *

*اسعى اليه فيعيينى تطلبه *ولوقعدت اتانى لا يعيينى*

وقول الاخر

* اقنع بأيسر رزق انت نائله *واحذر ولا تتعرض للارادات*

*فما صفى البحر الا وهو منتقص * وما تكدر الا فى الزيادات *

فان هذا معناه التسلية لمن لا يحب الاسفار او النهى عن السفر للطمع واما بلاد جزائر البحر المحيط فانها قد فتح كثير منها بالاسلام كجزيرة جاوه بفتح الواو فان اهلها مسلمون وبالجملة فبلاد النوتازية اغلبها اسلام وندر وجود دين النصرانية فيها ومن ذلك كله تعلم انه يمكن ان اقسام الدنيا الخمسة يصح تفضيل بعضها على بعض يعنى تفضيل جزء تمامه على الاخر تمامه بحسب مزية الاسلام وتعلقاته فحينئذ تكون اسيا افضل الجميع ثم تليها افريقية لعمارها بالاسلام والاولياء والصلحاء خصوصا باشتمالها على مصر القاهرة ثم تليها بلاد اوروبا لقوة الاسلام ووجود الامام الاعظم امام الحرمين الشريفين سلطان الاسلام فيها ثم بلاد الجزائر البحرية لعمارها بالاسلام ايضا مع عدم تبحرها فى العلوم كما هو الظاهر فاد فى الاقسام بلاد امريكة حيث لا وجود للاسلام بها ابدا هذا ما يظهر لى والله اعلم بالصواب وهذا كله بالنظر للاسلام والامور الشرعية والشرف الذاتى فان المراد بالشرف ملايم الشرعى وغيره فلا يقال ان اغلب ذلك من باب المزية وهى وحدها لا تستدعى افضلية ولا ينكر منصف ان بلاد الافرنج الان فى غاية البراعة فى العلوم الحكمية واعلاها فى التبحر فى ذلك بلاد الانكليز والفرنسيس والنمسا فان حكماءها فاقوا الحكماء المتقدمين كارسطاطاليس وافلاطون وبقراط وامثالهم واتقنوا الرياضيات والطبيعيات والالهيات وماوراء الطبيعيات اشد اتقان وفلسفتهم اخلص من فلسفة المتقدمين لما انهم يقيمون الأدلة على وجود الله تعالى وبقاء الارواح والثواب والعقاب فاعظم مدائن الافرنج مدينة لوندرة وهى كرسى الانكليز ثم باريز وهى قاعدة ملك فرانسا وباريز تفضل على لوندرة بصحة هوائها كما قيل وطبيعة الاهل وبقلة الغلا التام واذا رأيت كيفية سياستها علمت كمال راحة الغرباء فيها وحظهم وانبساطهم مع اهلها فالغالب

على

على اهلها البشاشة فى وجوه الغرباء ومراعاة خاطرهم ولو اختلف الدين وذلك
لان اكثر اهل هذه المدينة انما له من دين النصرانية الاسم فقط حيث لا يتبع
دينه ولا غيرة له عليه بل هو من الفرق المحسنة والمقبحة بالعقل اوفرقة من
الاباحيين الذين يقولون ان كل عمل يأذن فيه العقل صواب فاذا ذكرت له
دين الاسلام فى مقابلة غيره من الاديان اثنى على سائرها من حيث انها كلها
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر واذا ذكرته له فى مقابلة العلوم الطبيعية قال انه
لا يصدق بشئ مما فى كتب اهل الكتاب لخروجه عن الامور الطبيعية وبالجملة ففى
بلاد الفرنسيس يباح التعبد بسائر الاديان فلا يعارض مسلم فى بنائه مسجدا
ولا يهودى فى بنائه بيعة الى آخره كما سيأتى فى ذكر سياستها ولعل هذا كله هو علة
تخصيص ولى النعمة لها بارساله فيها ابلغ من اربعين نفسا لتعلم هذه العلوم
المفقودة بل سائر ممالك النصارى تبعث ايضا اليها فيأتى اليها من بلاد امريكه
وغيرها من الممالك البعيدة وقد بعث حفظه الله عدة للعلوم ببلاد الانكليز
لكنهم ليسوا عديدين وبالجملة فسائر الامم تطلب العز وتسعى اليه كما قال الشريف
الرضى * اطلب العز فما العز بغال *
ولا اعز من العلوم والفنون * تطلبها الملوك فانه كما كان الملك اجل خطرا
وجب ان يكون ادق نظرا

البـاب الرابع من المقدمة فى ذكر رؤساء هذه السفرة

قد بعث صاحب السعادة فى السفر الى بلاد فرانسا ثلاثة رؤساء من اكابر ديوانه
السعيد وجعلهم ارباب نظر عام على من عداهم وهم على هذا الترتيب فاولهم
صاحب الرأى التام * والمعرفة والاحكام * حائز فضيلتى السيف والقلم *
والعارف برسوم العرب والعجم * حضرة جناب عبدى افندى المهردار *
والثانى صاحب الرأى السديد والطالع السعيد * من خلع فى حب المعالى العذار
حضرة مصطفى مختار افندى الدويدار * والثالث الحاوى بين العلم والعمل *
واليراع والاسل * حضرة الحاج حسن افندى الاسكندرانى *
بلغه الله فى الدارين الامانى * امين * ثم ان حضرة الافندية الثلاثة يتعلمون ايضا

كالباقى لحضرة الافندى المهردار سابقا يشتغل بعلم تدبير الامور الملكية
وحضرة الافندى الدويدار سابقا يشتغل بعلم تدبير الامور العسكرية وحضرة
الحاج حسن افندى يشتغل بعلم القبطانية والهندسة البحرية ولسائر الثلاثة
اجتهاد زائد وتحصيل بالغ مع ان الامرية فى الغالب تأنف ذلك وقد كان حكم
هؤلاء الثلاثة بالنوبة فكانت نوبة الواحد يوما والآخر يوما آخر وهكذا فآل
الامر الى ان صارت شهرا شهرا ثم صار الافندى المهردار وحده ثم ان حضرة
الافندية الثلاثة كان معهم فى تدبير الدروس جناب مسيو جومار الذى
ولاه صاحب السعادة ناظرا على الدروس وهو احد علماء الانستتوت بفتح
الهمزة وسكون النون وكسر السين اى مشورة العلوم واكابرهم والذى يتراءى
فى طبعه حب حضرة صاحب السعادة وخدمته بنصح ويشاهد منه دائما
انه يرغب فى الاعتناء بمصالح مصر من جهة نشر المعارف والعلوم فيها
بل وفى سائر بلاد الافريقية كما يفهم ذلك من حاله ومما قاله فى طالعة رزنامته
التى الفها سنة الف ومائتين واربعة واربعين من الهجرة وشهرة معارف
مسيو جومار وحسن تدبيره يوقع فى نفس الانسان من اول وهلة تفضيل القلم
على السيف لأنه يدبر بقلمه مالا يدبر غيره بسيفه الف مرة ولا عجب فبالاقلام
تساس الاقاليم وهمته فى مصالح العلوم سريعة كثيرة التأليف والاشتغال
والغالب ان هذه الخصلة فى سائر علماء الافرنج فان مثل الكاتب كالدولاب
اذا تعطل تكسر وكالمفتاح الحديد اذا ترك ارتكبه الصدا وجناب مسيو جومار
يشتغل بالعلوم اناء الليل واطراف النهار وسيأتى ذكره عدة مرات وسنذكر لك
عدة من مكاتيبه التى وصلت بيدى ان شاء الله تعالى وهنا انتهت المقدمة

المقصـــــد

فى مدة السفر من مصر الى باريس وما رأيناه من الغرائب فى الطريق او مدة
الاقامة فى هذه المدينة العامرة بسائر العلوم الحكمية والفنون والعدل العجيب
والانصاف الغريب الذى يحق ان يكون من باب اولى فى ديار الاسلام وبلاد
شريعة النبى صلى الله عليه وسلم وهذا المقصد يتضمن عدة مقالات تشتمل

على

على عدة فصول

المقالة الاولى * فيما كان من الخروج من مصر الى دخول مدينة مرسيليا التى هى فرضة من فرضات الفرنسيس وفيها عدة فصول

المقالة الثانية * فيما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة باريس وفيها فصلان

المقالة الثالثة فى دخول باريس وذكر جميع ماشاهدناه وما بلغنا خبره من احوال باريس وهذه المقالة هى الغرض الاصلى من وضعنا هذه الرحلة فلذلك اطنبنا فيها غاية الاطناب وان كان جميع هذا لا يفى بحق هذه المدينة بل هو تقريب بالنظر لما اشتملت عليه وان استغرب هذا من لم يشاهد غرائب السياحة قال بعضهم

* من لم ير الروم ولا اهلها * ما عرف الدنيا ولا الناس *

فمن باب اولى بلاد افرنجستان

المقالة الرابعة فى ذكر نبذ من العلوم والفنون المذكورة فى الباب الثانى من المقدمة

المقالة الاولى

الفصل الاول فى الخروج من مصر الى دخول ثغر اسكندرية

كان خروجنا من مصر عصر يوم الجمعة الذى هو ثامن يوم من شعبان سنة احدى واربعين ومأتين بعد الالف من الهجرة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام * فتفاءلت بان عقب هذا الفراق يحصل الاجتماع وان التسليم سيقوم مقام الوداع * فركبنا زوارق صغيرة وتوجهنا الى اسكندرية واقمنا على ظهر النيل المبارك اربعة ايام ولا فائدة لذكر بعض البلاد والقرى التى رسينا عليها * وكان دخولنا اسكندرية يوم الاربعا ثالث عشر يوما من شهر شعبان فمكثنا فيها ثلاثة وعشرين يوما فى سراية ولى النعمة * وكان خروجنا الى البلد فى هذه المدينة قليلا فلم يسهل لى ذكر شئ عليها غير انه ظهر لى انها قريبة الميل فى وضعها

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

وحالها الى بلاد الافرنج وان كنت وقتئذ لم ار شيأ من بلاد الافرنج اصلا وانما فهمت ذلك مما رأيته فيها دون غيرها من بلاد مصر ولكثرة الافرنج بها ويكون اغلب السوقة يتكلم ببعض شئ من اللغة الطليانية ونحو ذلك وتحقق ذلك عندي بعد وصولي الى مرسيليا فان اسكندرية عينة مرسيليا وانموذجها

الفصل الثاني

في ذكر نبذة تتعلق بهذه المدينة لخصناها من عدة كتب عربية وفرنساوية وذكرنا ما ظهر لنا صحته * فنقول ان اسكندرية منسوبة الى اسكندر بن الفيلسوف بفتح الهمزة وهو الذي قتل دارا وملك البلاد * والاسكندرية ستة عشر بلدا منسوبة اليه منها بلدة ببلاد الهند وبلدة بارض بابل وبلدة بشاطئ النهر الاعظم وبلدة بصغد سمرقند وبلدة بمرو واسم لمدينة بلخ والثغر الاعظم ببلاد مصر وقرية بين حماه وحلب وقرية على دجلة قرب واسط منها الاديب احمد ابن المختار بن مبشر وقرية بين مكة والمدينة وبلدة في مجاري الانهار بالهند وخمس مدن اخر انتهى * ومرو بلدة من خراسان ببلاد الفرس والنسبة اليها مروي ومروزي وانظر ما مراده بالنهر الاعظم ثم رأيت في كتاب تقويم البلدان لعماد الدين ابي الفدا اسماعيل بن ناصر سلطان حماه ان بالاندلس نهرا يسمى بالنهر الاعظم وهو نهر اشبيلية ونص عبارته ومنها نهر اشبيلية من بلاد الاندلس ويسمى عند اهل الاندلس النهر الاعظم انتهى ولعله انما سمي عندهم بالنهر الاعظم لامتيازه بحادثة المد والجزر كما نبه على ذلك ابو الفدا في قوله يدخله المد والجزر عند مكان يسمى الارحا لاتزال فيه المراكب منحدرة مع الجزر صاعدة مع المد وقال بعضهم في المد والجزر

*خليلي بادر بي الى النهر بكرة * وقف منه حيث المد يثني عنانه*

*ولا تجز الارحا فان وراءها * يبابا وعيني لا تريد عيانه *

انتهى فعلى هذا تكون اسكندرية اسم بلدة بالاندلس * ولعل اسكندر حين اجتيازه بجزيرة الاندلس بنى بها بلدة * وذكر صاحب كتاب نشق الازهار

فى عجائب الاقطار ان اسكندر ذا القرنين اجتاز بلاد الاندلس وفتح بها بغاز
جبل الطارق المسمى بحر الزقاق وان محل هذا البغاز كان ارضا بين طنجة
وبلاد الاندلس ولم يذكر فى هذا الموضع ان اسكندر بنى بلدة بهذه الجزيرة لكن هذا
لا يدل على عدم وجود بلدة بها * وظاهر عبارتهم انه يوجد اثنان كل منهما يسمى
الاسكندر احدهما اسكندر بن فيلسوف والآخر بفتح الهمزة هو قاتل دارا
وقال فى القاموس فى موضع اخر ذو القرنين اسكندر الرومى لانه لما دعاهم الى الله
تعالى ضربوه على قرنه فاحياه الله تعالى ثم دعاهم فضربوه على قرنه الآخر فمات
ثم احياه الله اولانه بلغ قطرى الارض او اضفيرتين له انتهى فظاهر كلامه
ان اسكندر ذا القرنين هو نفس اسكندر الرومى * والذى عليه علماء الشرق ان
ذا القرنين المذكور فى الاية الشريفة هو غير اسكندر اليونانى فان الاول اقدم
من الثانى وهو الذى قيل بنبوته وانه بنى سد ياجوج وماجوج وانه بحث عن ماء
الحياة بلا طائل وفاز به الخضر عليه السلام فلذلك كان حيا الى الآن *
واما الثانى فانه يسمى اسكندر الرومى او اليونانى يعنى الاغريقى لأن قدماء
الاغارقة تسمى اليونان والمتأخرون يشتهرون باسم الاروام * واما الافرنج فلا
يقولون الا بوجود اسكندر الاكبر ابن فليبش او ابن فيلبوش المقدونى ويجعلونه
عين ما يعبر عنه فى التواريخ العربية باسم اسكندر ذى القرنين وينسبون اليه
سائر ما يحكى عنه من العجائب كسد ياجوج وماجوج ونحو ذلك غير انهم
لا يصدقون بما لا يوافق للعادة * وعلى كل حال فقد اتفق كلام العلماء وحكماء
الافرنج على ان اسكندرية تنسب الى اسكندر الرومى * وقد سلف فى عبارة
القاموس اسماء البلاد التى تسمى باسكندرية وليس مما ينسب الى اسكندر الرومى
الشهير بلدة الارناؤط المسماة اسكندرياسى يعنى اسكندرية بل هى منسوبة الى
اسكندر بيك * وقال بعضهم مدينة اسكندرية ببر مصر كانت تسمى قبل بناء
الاسكندر لها بنحو ثلاثمائة واثنين قبل ظهور عيسى عليه السلام قيسون
بفتح القاف وسكون الياء * وقال الافرنج انها كانت تسمى نو بضم النون
وقبل فتحها بالاسلام كانت تارة تحت حكم الرومان وتارة تحت حكم الاروام

اواليونان * وفتحها عمرو بن العاص بأمر عمر بن الخطاب ولما فتحها عمرو بن العاص كتب الى عمر رضى الله عنهما انه وجد بها اربعة الاف قصر واربعة الاف حمام واربعين الف يهودى تدفع الجزية واربعمائة ميدان واثنى عشر الف بقال وخضرى وفاكهانى ولعل هذا من مبالغات المؤرخين كما بالغوا فى غيرها من البلاد كمدينة بغداد * ومن عجائب ما فيها خزانة الكتب التى حرقها عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فكانت عدة ما فيها من الكتب سبعمائة الف مجلد وقد كان اهل هذه المدينة فى سالف الزمان ثلثمائة الف نفس تقريبا واهلها الآن اقل من ذلك بكثير وقد تغلب عليها الفرنسيس ثم اخرجهم الانكليز منها ورجعت الى يد الاسلام وهى الآن يلوح عليها انوار العمارات بانفاس صاحب السعادة وبها بهجة التجارة كما انها كانت فى الزمن السابق مركزا للتجارات وصارت فى هذا ادار اقامة صاحب السعادة بها اغلب الاوقات وهى اشبه وضعا وعمارة بفرضات الافرنج وهى على الشمال الغربى من القاهرة بنحو خمسين فرسخا موضوعة فى احدى وثلاثين درجة وثلاثة عشر دقيقة من العرض يعنى درجة البعد عن خط الاستوا وسيأتى ذكر المسافة بينها وبين باريس

الفصل الثالث

فى ركوب البحر المالح المتصل بثغر سكندرية * اعلم ان هذا البحر يسمى فى كتب الجغرافيا العربية بحر الروم لانه يتصل احد جهاته ببلاد الروم ويسمى ايضا فيها بحر الشام لمجاورته ايضا لبلاد الشام ويسمى ايضا عند الافرنج البحر المتوسط او الحوانى وانما سمى بذلك لانه داخل الاراضى الناشفة بخلاف البحر المحيط فانه محيط بجميع الاراضى حتى قال بعضهم انه متواصل الجريان تحت الاراضى العالية على سطح مائه وان حقق بعضهم خلافه لوجود الاراضى اليابسة تحت سطحه كبعض اراضى الموسقو * ويسمى هذا البحر الحوانى باللسان التركى بحر صفيد والبحر الابيض لمقابلته بحر بنطش او البحر الاسود وهناك بحر آخر يسمى بالبحر الابيض وهو فى بلاد الموسقو وهو المراد بالبحر

الابيض

الابيض فى اطلاقات علماء الجغرافيا كان ركوبنا هذا البحر عصر يوم الاربعا الخامس يوم من رمضان وقد امتطينا سفينة حرب فرنساوية لا تغادر فى فؤاد الانسان رعبا * وزينة صناعة تجذب قلب الراكب حتى يصير فى وسطها صبا * محتوية على سائر ما يحتاج اليه من الحرف والصنائع * مشتملة على آلات الحروب وعلى الجربجية ومحصنة بثمانية عشر من المدافع * وكان مجراها يوم الخميس سادس يوم من شهر رمضان المبارك وكان هبوب الريح وقتئذ خفيفا فسرنا من غير اشعار بالسير ولم نتألم بذلك ابدا وكنت قبل ركوب البحر عملت بما علمه لى بعض من سافر من العلماء الى اسلامبول من تجرع حثوات عظيمة من ماء البحر المالح وقال انه يدفع المه فكان الواقع انه لم يحصل لى الم على انى حين نزلت المركب كنت متمرضا بالحمى فبرئت منها بمجرد السفر وحركة السفينة * وربما صحت الاجسام بالعلل * ولا زلنا نسير من غير شدة تحرك واضطراب نحو اربعة ايام وبعدها عصفت الرياح وتموج ماء البحر وتلاعب بالاشباح والارواح * فلازم اكثرنا الارض * وتوسل جميعنا بالشفيع يوم العرض * ووقع عندنا الموقع قول بعض الظرفا خاطر من ركب البحر واشد منه خطرا من جالس الملوك بغير علم ومعرفة وتحقق عندنا تضمين صاحبنا العلامة الصفتى لهزل ابى نواس فى قوله

* رايت جميع الهائلات محيطة * بوطىء لاجل الحمل جارية البحر *
* فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على الظهر *

غير ان المعتمد على الكريم * لا يخشى من الخطب العظيم * وما احسن قول من قال

* لما ركبنا بحر * وكاد من خاف يتلف *
* على الكريم اعتمدنا * حاشاه ان يتخلف *

وقد ذهب هذا الامر بعد نحو ثلاثة ايام وصار يزور غبا ومما يستحسن فى طباع الافرنج دون من عداهم من النصارى حب النظافة الظاهرية فان جميع ما ابتلى الله سبحانه وتعالى به قبطة مصر من الوخم والوسخ اعطاه للافرنج من النظافة ولو على ظهر البحر فان اهل المركب التى كنا فيها يحافظون

على تنظيفها واذهاب الوسخ ما امكن حتى انهم يغسلون مقعدها كل يوم من الايام ويكنسونها فى صف النوم كل نحو يومين وينفضون الفراش وغيره ويشممونها رايحة الهواء ويزيلون اوخامها مع ان النظافة من الايمان وليس عندهم منه مثقال ذرة ومع ما عند الفرنساوية من النظافة الغريبة بالنسبة لبلادنا فانهم لا يعدون انفسهم من الامم كثيرة الاعتناء بالنظافة كما يفهم من هذه العبارة المترجمة من كتاب العوائد والاخلاق المؤلف باللغة الفرنساوية وعبارته اعظم الناس اعتناء بنظافة المنازل اهل الفلمنك فتجد فى مدنهم غالب حاراتهم مبلطة بالحجر الابيض المتعهد بالتنظيف وبيوتهم مجملة من خارجها ايضا وشبابيكهم القزاز تغسل دائما بل وحيطانهم الخارجة وقد توجد النظافة فى حصة من بلاد الانكليز وبلاد الاقاليم المجتمعة من امريكة وهى قليلة فى فرانسا والنمسا وغيرهما ومن الامم من هى كثيرة الاتساخ وكثيرة القمل بل تجد بعض اناس يأكلهم القمل ولا يبالون وقد ذهب داء البرص من منذ انتشار الاقمصة البيض التى تغسل ويغير بها كل اسبوع مرة او عدة مرات فالملابس البيض من جملة ما انتج النظافة والسلامة من اثار الاوساخ الرديئة

الفصل الرابع فيما رأيناه من الجبال والبلاد والجزائر

قد مررنا على جزيرة كريد سابع يوم من سفرنا ورأينا على بعد جبلها الشامخ المسمى عند اليونان ايدا الشهير بالامور الغريبة فى تواريخهم ثم فى اليوم الثالث عشر منه رأينا جزيرة سيسيليا بكسر السينين واللام وبالمهملتين وبعضهم يكتبها بالمعجمتين وهى مشهورة باللسان العربى باسم صقالية او صقلية وهذه الجزيرة على الجنوب من بلاد ايطاليا ومنفصلة عنها بالبغاز المسمى بغاز مسينة بفتح الميم وتشديد السين المكسورة المهملة وسكون الياء وفتح النون وهى من اعظم جزائر البحر المتوسط واخصبها ولذلك كانت تسمى فى الزمن السابق شونة رومة وكانت فى الاعصر السالفة سببا لحرب الرومانيين مع اهل قرطاجنة اى سكان الغرب ثم انتهى الامر الى انها وقعت تحت حكم

الرومانيين

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

الروما نيين ثم انتقلت منهم الى ملوك اليونان ثم فتحها المسلمون ثم تغلب عليها
النصارى النرمندية بضم النون المشددة وسكون الراء وفتح الميم وكسر الدال
وفتح الياء المشددة فرقة من الفرنساوية ثم حكمها بعض ملوك الاسبانيول
ثم النيمسا ثم انتهى الامر الى ان كانت جزأ من مملكة نابلى الكنان المسماة بولية
حتى انها هى ونابلى قد يسميان الان عند الافرنج السيسليتين بتغليب
سيسيليا على نابلى وفى كتب الجغرافيا ان اهل هذه الجزيرة مائة الف نفس
ومدنها فوق الجبال وقد رأينا بهذه الجزيرة على بعد فى اليوم الرابع عشر الجبل
المسمى منتنا بفتح الميم وسكون النون وكسر التاء الفوقية وسكون الثاء
المثلثة ومنتنا كلمة مركبة من كلمتين احداهما منت معناها جبل والاخرى
اتنا فالاحسن كتابتها هكذا منت اتنا وهو مشهور الان بلفظة جبيل
ويظهر لى ان هذا الاسم تحريف جبل فهو عربى ادخله المسلمون فى هذه الجزيرة
واطلقوه على هذا الجبل فبقى بعد خروجهم الى الان وتغير بتصحيف اهل هذه
الجزيرة له وهذا الجبل جبل نار فانه يخرج منه بالنهار دخان وبالليل لهب وقد
يقذف مواد حجرية محترقة ثم ان جبال النار تسمى بالافرنجية الجبال
البلكانية ويسمى الجبل النارى بلكان بضم الباء الموحدة وسكون اللام
وقد صحف هذا الاسم بالعربية الى لفظة بركان بالراء ولعله تعريب عن لغة اهل
الاندلس ويسمى طهمه بفتح الطاء وسكون الهاء كما ذكره المسعودى
فى كتابه المسمى مروج الذهب وفوهة البركان تسمى بالفرنساوية كراتيره
بكاف وتاء فوقية مكسورتين وفتح الراء الثانية ولا يوجد جبل النار غالبا
الا فى الجزائر وقد ذكر ارباب رصد هذا الجبل ان ارتفاعه على ظهر سطح البحر
المحيط الف وتسعمائة قدم وثلاثة اقدام وان دورة قاعدته نحو خمسة وخمسين
فرسخا فرنساويا ودائرة فوهته ربع فرسخ ثم ان العادة ان جبل النار يهيج
ثم يسكن ثم يهيج وقد يمكث مدة مطفيا حتى يظن الناس خموده بالكلية ثم يهيج
ثانيا بعد مضى مدة اعصر وقد هاج جبل اتنا احدى وثلاثين مرة ومنها
هيجانه سنة الف وثمانمائة وتسعة بتاريخ الافرنج واعظم هيجانه ما كان سنة

سبعمائة وثلاثة وتسعين حيث انه خرب مدينة كابان واهلك ثمانية عشر الف
نفس وعلامة هيجان البراكين شدة الهيج والقرقعة والدوى تحت الارض
وابتداء التدخين اوازدياده قال بعض الطبائعية اننا اذا قابلنا حوادث الزلازل
بحوادث البراكين رأيناها كأن هاتين الحادثتين معلولتان لعلة واحدة
وهى النيران التى تحت الارض اوالمحتقنة فى باطنها الا ان اثار الزلازل اوسع
من اثار البراكين يعنى ان اثار الزلازل تظهر فى متسع عظيم من الارض
بخلاف اثار جبال النار فلا تمتد الا بجوار قرب جبل النار وقد جرت العادة
ايضا ان الزلزلة تعظم بقدر البعد من البركان علل ذلك بعضهم بقوله ان النار
التى تحت الارض تحاول منفسا لتخرج منه فان كان فى الارض بركان فانها
تخرج منه فتذهب قوة النار فتنفقد الزلزلة بخلاف الارض الخالية عن
البراكين فان النيران تحاول منفسا فيها فلا تجده فترتج الارض بذلك
وقال بعض الحكماء ايضا ان كلا من الحوادث البركانية والزلازل صادر عن
جاذبية الحاكة المسماة بالفرنساوية الاكتريسته بكسر الهمزة وسكون
الكاف وكسر التاء والراء وكسر السين وفتح التاء المسماة الرسيس بفتح الراء
المشددة وكسر السين التى هى خاصة الكهربا عند حكها قال بعضهم فى رد هذا
القول انه ينافى ما اعتمده بعض الحكماء فى بناء الارض ونظم طبقات صخورها
ومن القواعد المقررة ان ثوران البركان يغلب كل ما قل علوه ويقل كلما عظم
العلو وهذا ما جرت به العادة والله سبحانه وتعالى اعلم * وفى اليوم الخامس عشر
رسينا على مدينة مسينة ولم نخرج من السفينة ابدا لانهم لا يمكنون من يجئ
من البلاد الشرقية الى بلادهم ان يدخلها الا بعد الكرنتة وهى مكث ايام
معلومة لاذهاب رايحة الوبا ولكنهم يجيئون للانسان بسائر ما يحتاج
ويناولهم الثمن فيضعونه فى ماعون فيه خل ونحوه مع التحفظ التام راجع الفصل
الاول من المقالة الثانية وقد تزودنا من هذه المدينة ما احتجنا اليه من الفواكه
والخضراوات والمياه العذبة الى اخره وقد اقمنا بمورد تها خمسة ايام وشاهدنا من
بعد قصورها العالية وهيا كلها الشامخة السامية ورأينا هانوقد قنا ديلها

ووقداتها

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

ووقدانها قبل ان يدخل وقت الغروب وتمكث بعد شروق الشمس وقد سمعنا بها اصوات النواقيس مدة اقامتنا حتى ان ضرب بهم النواقيس مطرب جدا وقد صنعت فى ليلة من هذه الليالى فى المحادثة مع بعض الظرفاء مقامة ظريفة مضمونها ثلاثة معان الاول المجادلة فى انه لا مانع من ان الطبيعة السليمة تميل الى استحسان الذات الجميلة مع العفاف وانشأت فى ذلك جملة شواهد لطيفه وانشأت فيه قولى

*اصبو الى كل ذى جمال *ولست من صبوتى اخاف*

*وليس بى فى الهوى ارتياب *وانما شيمتى العفاف *

الثانى سكر المحب من معانى خمر عينى محبوبه واستغنائه عن الراح براحته وانشأت فى هذا المعنى قولى

*قد قلت لما بدا والكاس فى يده *وجوهر الخمر فيها اشبه خديه*

*حسبى نزاهة طرفى فى محاسنه *ونشوتى من معانى سحر عينيه*

الثالث فى تأثر النفس بضرب الناقوس اذا كان من يضرب الناقوس ظريفا يحسن ذلك وقد انشدت فى هذا المعنى قول الشاعر

*ومذ جاء يضرب بالناقوس قلت له *من علم الظبى ضربا بالنواقيس*

*وقلت للنفس اى الضرب يؤلمكى *ضرب النواقيس ام ضرب النوى قيسى

وذيلتها ببعض ابيات مجنسة والبحث فى معناها ونوع تجانسها وبالجواب من بعض الغاز نحوية الى اخره وليس هذا محل بسط الكلام فى ذلك ثم سرنا من هذه المدينة اليوم المتمم العشرين من مدة سفرنا وسرنا حتى حاذينا جبل النار وجاوزناه وفى الرابع والعشرين جاوزنا مدينة نابلى وتسمى باللغة التركية نولية وتعدينا ها بنحو تسعين ميلا فانعكس الريح وصار قدام السفينة هابا من المقصد اليها فصارت تميل عن المقصد لا اليه لانه من جهة الهواء ويعجبنى قول بعضهم

* ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من الم النوى *

* لم لا تميل الى يا غصن النقا *فاجاب كيف وانت من جهة الهوا*

فبانعكاس الريح رجعنا الى مدينة نابلى بعدان جاوزناها ورسينا عندها ولم ندخلها لما تقدم وهى من المدن العظمى ببلاد الافرنج وملكها يحكم على بلاد جزيرة صقلية المتقدمة ومدينة نابلى هى كرسى هذا الملك وقد تسمى باللغة العربية نابل الكتان ولعله لان كتانها جيد للغاية وقد كانت مملكة نابلى فى يد الاسلام ومكثت نحو مائتى سنة ثم تغلبت عليها النصارى النورمندية هى ومملكة صقلية ولم تزل الى الان فى ايدى النصارى الايطاليانية حتى انها تسمى بلاد ايطاليا الجنوبية وقد اسلفنا ان مدينة نابلى هى احدى البنادر الاربعة الاصلية بالبلاد الافرنجية ثم رأينا فى اليوم التاسع والعشرين جزيرة قرسقه بضم القاف وسكون الراء وضم السين وفتح القاف التى هى فى حكم الفرنسيس وتسمى الان جزيرة قرس وقد فتحها المسلمون ولم يمكثوا فيها زمنا طويلا وهى وطن نابليون بضم الباء وسكون اللام وبالياء الشهير باسم بونابارته الذى تغلب على مصر فى غزوة الفرنساوية ثم تولى سلطنة فرانسة مع ان اباه كان رئيسا فى الطوبجية وفى اليوم الثالث والثلاثين رسينا على فرضة مرسيليا فكانت مدة مكثنا فى البحر ثلاثة وثلاثين يوما ومنها مكثنا خمسة ايام قدام مسينة بفتح الميم وتشديد السين واللام وفتح النون ونحو يوم قدام نابلى وتأخرنا كثيرا بلعب الرياح ولولا ذلك لوصلنا فى اقل من هذه المدة بشئ يسير

المقالة الثانية

الفصل الاول فى مدة اقامتنا فى مدينة مرسيليا

قد رسينا على موردة مرسيليا التى هى احدى فرض بلاد فرانسا فنزلنا من سفينة السفر فى زوارق صغيرة فوصلنا الى بيت خارج المدينة معد للكرنتينة على عادتهم من ان من اتى من البلاد الغريبة لابد ان يكرتن قبل ان يدخل المدينة ولنذكر هنا ما قيل فى الكرنتينة بين علماء المغرب على ما حكاه لى بعض من يوثق به من فضلاء الغرب قال وقعت بين العلامة الشيخ محمد المناعى التونسى المالكى المدرس بجامع الزيتونة ومفتى الحنفية العلامة الشيخ محمد البيرم المؤلف عدة كتب فى المنقول والمعقول وله تاريخ دولة بنى عثمان من مبدئها

الى السلطان محمود الحالى محاورة فى اباحة الكرنتينة وحظرها فقال الاول
بتحريمها والثانى باباحتها بل وبوجوبها والف فى ذلك رسالة واستدل على ذلك
من الكتاب والسنة واقام الثانى الادلة على التحريم والف رسالة فى ذلك على
اعتماده فيها فى الاستدلال على ان الكرنتينة من جملة الفرار من القضاء ووقعت
بينهما محاورة ايضا نظير هذه فى كروية الارض وبسطها فالبسط للمناعى
والكروية لخصمه وممن قال من علماء المغرب بان الارض مستديرة وانها سائرة
العلامة الشيخ مختار الكنتاوى بارض ازوات بقرب بلاد تمبكتو وهو مؤلف
مختصر فى فقه مالك ضاهى به متن خليل وضاهى ايضا الفية ابن مالك فى النحو
وله غير ذلك من المصنفات فى العلوم الظاهرية والباطنية كاوراد واحزاب كحزب
الشاذلى وقد الف كتابا وسماه النزهة جمع فيه جملة علوم فذكر بالمناسبة علم
الهيئة فتكلم على كروية الارض وعلى سيرها واوضح ذلك فتلخص من كلامه
ان الارض كرة ولا يضر اعتقاد تحركها او سكونها مات هذا الشيخ سنة الف
ومائتين وستة وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى
السلام وخلفه حفيده المسمى باسمه ثم ان هذا البيت الذى كنا فيه للكرنتينا
متسع جدا به القصور والحدائق والبناء المحكم فبه عرفنا كيفية احكام ابنية
هذه البلاد واتقانها وامتلائها بالرياض والحياض الى اخره ولم نشعر فى اول
يوم الا وقد حضر لنا امور غريبة فى غالبها وذلك انهم احضروا لنا عدة خدم
فرنساوية لا نعرف لغاتهم ونحو مائة كرسى للجلوس عليها لان هذه البلاد
يستغربون جلوس الانسان على نحو سجادة مفروشة على الارض فضلا
عن الجلوس بالارض ثم مدوا السفرة للفطور ثم جاؤا بطبليات عالية ثم رصوها
من الصحون البيضا الشبيهة بالعجمية وجعلوا قدام كل صحن قدحا من القزاز
وسكينة وشوكة وملعقة وفى كل طبلية نحو قزازتين من الماء واناء فيه ملح
وآخر فيه فلفل ثم رصوا حوالى الطبلية كراسى لكل واحد كرسى ثم جاؤا بالطبيخ
فوضعوا فى كل طبلية صحنا كبيرا او صحنين ليغرف احد اهل الطبلية ويقسم
على الجميع فيعطى لكل انسان فى صحنه شيأ يقطعه بالسكينة التى قدامه ثم يوصله

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

الى فمه بالشوكة لا بيده فلا يأكل الانسان بيده اصلا ولا بشوكة غيره او سكينته
او يشرب من قدحه ابدا ويزعمون ان هذا انظف واسلم عاقبة ومما يشاهد عند
الافرنج انهم لا يأكلون ابدا فى صحون النحاس بل ولا فى اوانيه ابدا ولو مبيضا
فهى للطبخ فقط بل دائما يستعملون الصحون المطلاة وللطعام عندهم عدة
مراتب معروفة وربما كثرت وتعددت كل مرتبة منها فاول افتتاحهم الطعام
يكون بالشوربة ثم بعده باللحوم ثم بكل نوع من انواع الاطعمة كالخضراوات
والفطورات ثم بالسلطة وربما كانت الصحون المطلاة بلون الطعام المقدم فصحون
السلطة مثلا اخضر منقوشة بلون السلطة ثم يختمون اكلهم باكل الفواكه
ثم بالشراب المخدر الا انهم يتعاطون منه القليل ثم بالشاى والقهوة وهذا الامر
مطرد للغنى والفقير كل على حسب حاله ثم ان الانسان كلما اكل طعاما فى صحنه
غيره واخذ صحنا غير مستعمل ليأكل فيه طعاما آخر ثم انهم احضروا لنا آلات
الفراش والعادة عندهم انه لا بد ان ينام الانسان على شئ مرتفع نحو سرير
فاحضروا ذلك لنا ومكثنا فى هذا المحل ثمانية عشر يوما لا نخرج منه ابدا
غير انه متسع جدا وفيه حدائق عظيمة ومحال متسعة للتماشى فيها والتنزه
فى رياضها ومن هذا البيت ركبنا العربيات المزينة المجملة التى تستمر عندهم
اثناء الليل واطراف النهار تقرقع وسرنا بها الى بيت فى المدينة لكنه فى حواشيها
من القصور المصنوعة خارج المدينة بحدائقها وادواتها فكثنا منتظرين
التوجه الى مدينة باريس ومدة مكثنا فى هذا البيت كنا نخرج بعض ساعات
للتسلى فى البلد وندخل بعض القهاوى والقهاوى عندهم ليست مجمعا
للحرافيش بل هى مجمع لارباب الحشمة اذ هى مزينة بالامور العظيمة النفيسة
التى لا تليق الا بالغناء التام واثمان ما فيها غالية جدا فلا يدخلها الا اهل الثروة
واما الفقراء فانهم يدخلون بعض قهاوى فقيرة او الخمارات والمحاشش وقد اسلفت
ان مدينة سكندرية تشبه فى حالها مرسيليا واذكر هنا ان الفرق بينهما اتساع
السكك والطرق اتساعا مفرطا المرور جملة عربيات معا فى طريق واحد ثم ان
سائر القاعات او الاروقة او المنادر العظيمة يوضع فى حيطانها الجوانية مرائى

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

عظيمة كبيرة حتى انه ربما كانت سائر جوانب القاعة كلها من زجاج
المرآة ليظهر لها رونق عظيم فاول مرة خرجنا الى البلدة ومررنا بالدكاكين
العظيمة الوضع المزججة بهذه المرايا والمشحونة بالنساء الجميلات وكان هذا
الوقت وقت الظهيرة وعادة نساء هذه البلاد كشف الوجه والرأس والنحر
وما تحته والقفا وما تحته واليدين الى قرب المنكبين والعادة ايضا ان البيع
والشراء بالاصالة للنساء واما الاشغال فهى للرجال فكان لنا بالدكاكين
والقهاوى ونحوها فرجة عليها وعلى ما يعمرها وكان اول ما وقع عليه بصرنا
من التحف قهوة عظيمة دخلناها فرأيناها عجيبة الشكل والترتيب والقهوجية
امرأة جالسة على صفة عظيمة وقدامها دواة وريش وقائمة وفى قاعة بعيدة
عن الناس محل لعمل القهوة وبين محل جلوس الناس ومحل القهوة صبيان
القهوة ومحل الجلوس للناس مرصوص بالكراسى المكسوة بالمسجرات ومن
الطاولات المصنوعة من الخشب الكابلى الجيد وكل طاولة مفروشة بحجر من
الرخام الاسود او المنقوش وفى هذه القهوة يباع سائر انواع الشراب والفطورات
فاذا طلب الانسان شيأ طلبه الصبيان من القهوجية وهى تأمر باحضاره له
وتكتبه فى دفترها وتقطع به ورقة صغيرة فيها الثمن وتبعثها مع الصبى للطالب
حين يريد الدفع والعادة ان الانسان اذا شرب القهوة احضر له معها السكر
ليخلطه فيها ويذيبه ويشربه ففعلنا ذلك كعادتهم وفنجان القهوة عندهم كبير
نحو اربعة فناجين من فناجين مصر وبالجملة فهو قدح لا فنجان وبهذه القهوة
اوراق الوقائع اليومية لاجل المطالعة فيها وحين دخولى بهذه القهوة ومكثى بها
ظننت انها قصبة عظيمة نافذة لما ان بها كثيرا من الناس فاذا بدا جماعة داخلها
او خارجها ظهرت صورهم فى كل جوانب الزجاج وظهر تعددهم مشيا وقعودا
وقياما فيظن ان هذه القهوة طريق وما عرفت انها قهوة مسدودة الا بسبب انى
رأيت عدة صور نا فى المرآة فعرفت ان هذا كله بسبب خاصية الزجاج فعادة المرآة
عندنا ان تثنى صورة الانسان كما قال بعضهم فى هذا الشأن

* ابرقع منظر المرآة عنه * مخافة ان تثنيه لعينى *

*اقاسي ما اقاسي وهو فذ * فكيف اذا تجلى فرقدين *

وعادتها عند الافرنج بسبب تعددها على الجدران وعظم صورتها ان تعدد الصورة الواحدة في سائر الجوانب والاركان ومن كلامي

* يغيب عني فلا يبقى له اثر * سوى بقلبي ولم يسمع له خبر *

* فان بدا وارى المرآة طلعته * يلوح فيها بدورا كلها صور *

وقال شيخنا العطار لم ار الطف تخيلا في هذا المعنى من قول ابن سهل

* القى بمرآة فكري شمس صورته * فعكسها شب في احشائي اللهبا *

قال الحريري في مليح بيده مرآة

* رأى حسن صورته في المرآة * فاصبح صبا بها مدنفا *

* وصير يعقوب اسماله * يشير بان قد رأى يوسفا *

وسيأتي كمال الكلام على ذلك كله في ذكر مدينة باريس ومدة اقامتنا في مرسيليا بعد الكرنتينة اشغلناها ايضا بتعلم تقطيع الحروف يعني تعلم تهجي اللغة الفرنساوية ثم انه يوجد في مدينة مرسيليا كثير من نصارى مصر والشام الذين خرجوا مع الفرنساوية حين خروجهم من مصر وهم جميعا يلبسون لبس الفرنسيس وندر وجود احد من الاسلام الذين خرجوا مع الفرنسيس فان منهم من مات ومنهم من تنصر والعياذ بالله خصوصا المماليك الجورجية والجركسية والنساء اللواتي اخذهن الفرنسيس صغار السن وقد وجدت امرأة عجوزا باقية على دينها وممن تنصر انسان يقال له عبد العال ويقال انه كان ولاه الفرنسيس بمصر اغاة انكشارية في ايامهم فلما سافروا تبعهم وبقي على اسلامه نحو خمسة عشر سنة ثم بعد ذلك تنصر والعياذ بالله بسبب الزواج بنصرانية ثم مات بعد قليل ولقد رأيت له ولدين ويتشابوا في مصر وهم على دين النصرانية احدهما معلم الآن في مدرسة ابي زعبل ومثله ما حكاه لي بعضهم ان سر عسكر المسمى منو المتولي في مصر بعد قتل الجنرال كليبر بفتح الكاف وكسر اللام وكسر الباء كان اسلم في مصر نفاقا كما هو الظاهر وسمى عبد الله وتزوج بنت شريف من اشراف رشيد فلما خرج الفرنسيس

من

من مصر واراد الرجوع اخذها معه فلما وصل رجع الى النصرانية وابدل العمامة بالبرنيطة ومكث مع زوجته وهى على دينها مدة ايام فلما ولدت واراد زوجها ان يعمد ولده على عادة النصارى لينصره ابت الزوجة ذلك وقالت لا انصر ولدى اصلا ولا اعرضه للدين الباطل فقال لها الزوج ان كل الاديان حق وان ما ألها واحد وهو عمل الطيب فلم ترض بذلك ابدا فقال لها ان القران ناطق بذلك وانت مسلمة فعليك ان تصدقى بكتاب نبيك ثم ارسل باحضار اعلم الافرنج باللغة العربية البارون دساسى فانه هو الذى يعرف يقرأ القران وقال لها سليه عن ذلك فسألته فاجابها بقوله انه يوجد فى القران قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فحجها بذلك فاذنت بعمودية ولدها ثم بعد ذلك انتهى الامر على ما قيل انها تنصرت وماتت كافرة ومما رأيت من جملة المصريين فى مرسيليا انسانا لابسا ايضا كالافرنج واسمه محمد منطلق اللسان فى غير اللغة العربية فلا يعرف من اللسان الغربى الا اليسير فسألته عن بلده بمصر فاجاب بانه من مدينة اسيوط من اشرافها وان اباه يسمى السيد عبد الرحيم وهو من اكابر هذه البلدة وامه تسمى مسعودة او قريبا من ذلك الاسم وانه اختطفه الفرنساوية فى حال صغره ويقول انه باق على اسلامه وانه يعرف من الامور الدينية الله واحد ومحمد رسوله والله كريم ومن العجائب انى بعد كلامه توسمت فيه الخير وكان على وجهه سمة اشراف اسيوط حقيقة فان صح كلامه كان من اولاد سيدى حريز بن سيدى ابى القاسم الطهطاوى واشراف طهطا من اولاد سيدى يحيى بن القطب الربانى سيدى ابى القاسم وله ولد ثالث يسمى سيدى على البصير ذريته اهل جزيرة شندويل وشهرة سيدى ابى القاسم الطهطاوى لا تخفى على من يعرفه وان لم يذكره سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الطبقات وكثير من الاشراف بالبلاد العثمانية ينتهى نسبهم الى سيدى حريز المتقدم ومما رأيته فى مرسيليا اللعبة المسماة السبكتاكل وامرها غريب ولا يمكن معرفتها بوصفها بل لابد

من رؤيتها بالعين ولنذكرها فى الكلام على باريس ومكثنا فى هذه البلدة خمسين يوما وتوجهنا الى باريس

الفصل الثانى فى الخروج من مرسيليا الى دخول باريس وفى المسافة بينهما

اعلم ان عادة المسافرين من مرسيليا الى باريس بالعربات ان يستأجروا العربة اوموضعا فيها فاما ان يأكلوا على كيسهم اويدفعوا قدرا معلوما للعربية والقوت مدة الطريق ثم ان السفر يكون ليلا ونهارا الا وقت الاكل ونحوه وكل البلاد التى فى الطريق فيها مواضع معدة للطعام والشراب مشتملة على سائر انواع المطعومات والمشروبات فى غاية النظافة والظرافة وفيها محال للنوم مفروشة بالفرش العظيم وبالجملة فهى مستكملة الآلات والادوات فلما ركبنا عربات السفر كل جماعة منا فى يوم وسرنا من مرسيليا سيرا سريعا مستمرا على حالة واحدة ولا يتأثر الانسان كسفر البحر بالرياح ونحوها وصلنا مدينة ليون فى ضحوة اليوم الثالث ومدينة ليون على البعد من مرسيليا باثنين وتسعين فرسخا فرنساويا ومن ليون الى مدينة باريس مائة وتسعة عشر فرسخا ومن مرسيليا الى باريس مائتان واحدى عشر فرسخا فرنساويا وقد مكثنا فى ليون نحو اثنتى عشرة ساعة للاستراحة ولم ار داخل هذه المدينة الا بالمرور فيها ومن شباك البيت الذى كنا فيه ثم سرنا منها ليلا الى باريس فدخلناها صباحية اليوم السابع من خروجنا من مرسيليا وقد مررنا بقرى كثيرة واغلبها مشتمل على البيع والشراء والحفر عظيمة الابنية مزينة بالاشجار وبالجملة فالقرى مسلسلة متصلة ببعض غالبا خصوصا مع جد السير حتى ان الانسان لا يظن الا انه فى بلدة واحدة والمسافرون غالبا فى ظل الاشجار المرصوصة بوجه مرتب مطرد فى سائر الطرق وندر تخلفه فى بعض المحال ثم ان الظاهر فى هذه القرى والبلاد الصغيرة ان جمال النساء وصفاء ابدانهن اعظم من ذلك فى مدينة باريس غير ان نساء الارياف اقل تزينا من نساء باريس كما هو العادة المطردة فى سائر بلاد العمران

المقالة الثالثة

الفصل الاول فى تخطيط باريز من جهة وضعها الجغرافى وطبيعة ارضها

ومزاج

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

ومزاج اقليمها وقطرها

اعلم ان هذه المدينة تسمى عند الفرنسيس پارى بالباء الفارسية التى تلفظ بين الفاء والباء ولكن يكتب هذا الاسم باريس ولا ينطق بالسين ابدا فيه كما هو عادة الفرنساويه من انهم يكتبون بعض الحروف ولا يلفظون بها ابدا خصوصا حرف السين فى اخر بعض الكلمات فانه لا ينطق به ابدا مثلا اتينه بامالة التاء مدينة حكما اليونان تكتب بالفرنساويه اتينس وتقرأ اتين ثم ان العرب والترك ونحوهم يكتبون باريس او بريس اوبارز وربما قالوا فاريس واظن ان الاوفق كتابتها بالسين وان اشتهر على السنة غير اهلها اقراءتها بالزاى ولعل ذلك انما نشأ عن ان السين فى اللغة الفرنساويه قد تقرأ زايا فى بعض الاحيان ببعض شروط وان كانت مفقودة هنا الا فى حال النسبة فان النسبة الى باريس عند الفرنسيس بارزيانى وهذا بعينه هو السبب لان النسبة ترد الاشياء الى اصولها ولكن هذه القاعدة فى النسبة العربية والنسبة هنا عجمية وقد مشيت فى بعض اشعارى التى انشدتها فيها على كتابتها بالسين حيث قلت

* لئن طلقت باريسا ثلاثا * فما هذا سوى لوصال مصر *
* فكل منهما عندى عروس * ولكن مصر ليست بنت كفر *

وقلت

* لقد ذكروا شموس الحسن طرا * وقالوا ان مطلعها بمصر *
* ولكن لورآها وهى تبدو * بباريس لخصوها بذكر *

وسميت بذلك لان طائفة من قدماء الفرنساوية كانت على نهر السين تسمى الباريزيين ومعناها فى اللسان القديم الفرنساوى سكان الاطراف والحواشى وليس هذا الاسم منقولا عن باريس اسم رجل شهير كما قاله بعضهم ثم ان هذه المدينة من اعمر مدائن الدنيا ومن اعظم مدائن الافرنج الان وهى كرسى بلاد الفرنسيس وقاعدة ملك فرانسا وسيأتى تفصيل ذلك فى محله وهى موضوعة فى التاسعة والاربعين درجة وخمسين دقيقة من العرض الشمالى يعنى انها بعيدة عن خط الاستوا جهة الشمال بهذا القدر واما طولها فانه يختلف فاذا اعتبرنا خط

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

نصف النهار الذى ينسب اليه الفرنساوية اطوال سائر الاماكن وهو خط نصف النهار المرسوم فى رصدهم السلطانى وهو يمر بباريس فهو حينئذ مبدأ الاطوال على حساب الفرنساوية فيكون طولها صفرا واما اذا حسبنا على خط نصف النهار الذى كان يأخذ بطليموس الاطوال منه ولا زال الى الان مبدأ اطوال بعض الامم كاهل الفلمنك وهو خط نصف نهار الجزائر الخالدات ببحر المغرب كانت باريس فى عشرين درجة تقريبا من الطول الشرقى ولنذكر لك هنا كيفية معرفة درجتى الطول والعرض من مكان من الامكنة وثمرة ذلك وان كان يخرجنا عما نحن بصدده فنقول اعلم ان علماء الهيئة قد اوضحوا بالادلة كروية الارض وانها غير صادقة التكوير ثم صنعوا على هيئتها صورة وسموها صورة الارض ولامكان تقسيم الارض وتسهيل معرفتها توهموا فيها دوائر انصاف نهار ودوائر متوازية ومحورا وقطبين ورسموها على صورتها المصطنعة فمحور الكرة الارضيــة هو الخط الموازى لمحور الفلك وطرفاه هما القطبان ويسمى احدهما القطب الشمالى والاخر القطب الجنوبى ودوائر انصاف النهار هى الدوائر التى تعبر من احــد القطبين الى الاخر وعلة تسميتها بذلك انه اذا كانت الشمس فى سمت رأس محل يمر عليه هذا الخط دخل وقت الظهر بذلك المحل ومركز هذه الدوائر هو مركز الارض واما الدوائر المتوازية فهى الدوائر الواقعة اعمــدة على دوائر انصاف النهار وهى التى بينها وبين مركزها توازٍ على محور الارض واعظمها دائرة الاستوا وهى الدائرة العظمى المستوية البعد من القطبين وهى تنصف الكرة نصفين احدهما النصف الشمالى والاخر النصف الجنوبى ثم ان دوائر انصاف النهار والدوائر المتوازية كسائر الدوائر تنقسم الى ثلثمائة وستين درجــة وكل درجة تتجزأ الى ستين دقيقة وكل دقيقة الى ستين ثانية وكل ثانية الى ستين ثالثة وهكذا وللافرنج تقسيم اخر جديد وهو ان الدائرة تنقسم الى اربعة ارباع وكل ربع يتجزى مائة تسمى درجات مائينية وكل درجة مائة دقيقة مائينية وكل دقيقــة مائة ثانية كذلك وهكذا وهذا انشأ عن استعمالهم الحساب الاعشارى والحساب المترى والاول اشهر استعمالا وبهذه الدوائر يتحدد الطول والعرض وذلك

ان العرض

ان العرض هو بعد دائرة متوازية عن المتوازية العظمى التى هى دائرة الاستوا فان اخذته جهة الشمال كان عرضا شماليا ونهايته تسعون درجة وان كان جهة الجنوب جنوبى ونهايته كذلك واما الطول فهو بعد خط نصف النهار عن خط نصف نهار آخر مصطلح على انه اولى ـ وهو شرقى وقدره مائة وثمانون درجة وغربى وقدره كذلك وقد وضع اصحاب الجغرافيا فى الاكرة او الخرطات على كل دائرة متوازية ما تبعد به من الدرجات عن دائرة الاستوا كما جعلوا على كل دائرة نصف نهار عدد درج بعدها من دائرة نصف النهار الاولية وقد رسم كما اسلفناه بطليموس الحكيم دائرة نصف النهار الاولية فى الجزائر الخالدات فلما انكشفت بلاد امريكة اختار الافرنج ان يجعل اهل كل قطر من الاقطار خط نصف نهارهم الاولى ببلادهم لينسبوا اليها ما عداها كما صنع الفرنساوية فانهم جعلوا خط نصف نهارهم الاولى فى مدينة باريس وبقيت منهم امم كالفلمنك على اخذ الاطوال من جزيرة الحديد بالجزائر الخالدات وفى الواقع ان الاولى كما هو الظاهر اتخاذ مبدأ اطوال مشترك لجميع الامم ينسب اليه ما عداه ويكون فى قطر لا عمار بعده معلوم او ممتاز بمزية كمكة المشرفة ثم ان كيفية تحديد الطول حينئذ يمكن اخذها بتفاوت الاوقات وذلك انه من المعلوم ان الشمس او الارض كما يقوله الافرنج تقطع حركتها اليومية فى اربعة وعشرين ساعة فهى تقطع من الدائرة التى ترسمها فى سيرها خمسة عشر درجة فى كل ساعة فتكون تقطع درجة كل اربع دقايق يعنى انه اذا دخل وقت الظهر فى القاهرة مثلا فلا يدخل وقته فى المكان الذى يبعد عنها جهة الغرب بخمسة عشر درجة الا بعد ساعة ويدخل بعد ساعتين فيما يبعد عنها بثلاثين درجة وهلم جرا وبعكس ذلك فى المكان الذى يبعد عنها جهة المشرق فانه اذا كان الظهر فى القاهرة يكون مضى ساعة بعد الظهر فى المكان الذى يبعد عنها جهة المشرق بخمسة عشر درجة ويكون مضى ساعتان فيما يبعد عنها فى هذه الجملة بثلاثين درجة الى آخره فلنذكر هنا حينئذ انه اذا كان الظهر فى اصول البلاد الغربية من باريس والشرقية منها كيف يكون فيها وبذلك يفهم بعدها عن هذه البلاد فيقال

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

اذا كان وقت الظهر فى مصر القاهرة لايدخل وقته فى باريس الابعد مضى
ساعتين الا اربع دقايق واذا كان الظهر فى اسلامبول كان فى باريس بعد مضى
ساعة وستة واربعين دقيقة واذا كان فى بغداد كان دخوله فى باريس بعد
ساعتين وثمانية واربعين دقيقة وفى حلب اذا دخل الظهر لايدخل فى باريس
الابعد ساعتين وثلث واذا دخل الظهر فى الجزائر لايدخل فى باريس الابعد
اربعة دقايق تقريبا واذا دخل فى تونس فيدخل فى باريس بعد مضى نصف ساعة
ودقيقتين ووقت الظهر فى اصفهان يدخل فى باريس بعد مضى ثلاث ساعات
واثنين وعشرين دقيقة واذا كان فى مدينة بكين بكسر الباء والكاف كرسى
ملك الصين يكون فى باريس سبع ساعات واحدى واربعين دقيقة وفى مدينة
الباب والابواب تكون ساعة وثمانية واربعين دقيقة وفى مدينة رومة الكبرى
نصف ساعة وثمانية دقايق وهذه البلاد على الشرق من مدينة باريس واما
البلاد التى على غربها فاذا كان الظهر فى مدينة مدريد كرسى ملك الاندلس فانه
يكون فات وقته فى باريس باربعة دقايق واذا كان فى مدينة اشبونة كرسى
البرتوغال فانه يكون فات وقته فى باريس بخمسة دقايق ونصف واذا دخل وقته
فى فيلادلفياء بكسر الفاء وسكون الياء وفتح اللام وكسر الدال المهملة وسكون
اللام وكسر الفاء مدينة بامريكة فانه يكون قد مضى بعده فى باريس خمس
ساعات وثلاثة عشر دقيقة واذا كان وقته فى مدينة ريوجانيرو بكسر الراء وضم
الياء وكسر النون وسكون الياء فانه ثلاث ساعات تقريبا واذا كان نصف النهار
فى جزيرة كنغو كرسى سلطنة ابريزيله فى امريكة الموسقو يكون نصف الليل
فى باريس فانهما متقاطران والمسافة بين باريس واسكندرية سبعماية وتسعة
وستون فرسخا فرنساويا وبينها وبين القاهرة ثمانمائة وتسعة فراسخ وبينها وبين
مكة المشرفة سبعماية واربعون فرسخا وبينها وبين اسلامبول خمسماية وستون
فرسخا وبينها وبين حلب ثمان ماية وستة وستون فرسخا وبينها وبين مراكش
سبعماية وخمسة وعشرون فرسخا وبينها وبين تونس ثلثماية وسبعون فرسخا
وبينها وبين مدينة لوندره كرسى الانكليز ماية فرسخ وبينها وبين مدينة بترغ كرسى

الموسقو خمسماية وستة واربعون فرسخا وبينها وبين مدينة موسقو كرسى الموسقوبية القديم ستماية فرسخ وبينها وبين مدينة رومه كرسى البابا ثلاثماية وخمسة وعشرون فرسخا وبينها وبين مدينة بجه كرسى النمسا ثلثماية وخمسة وعشرون ايضا وبينها وبين مدينة نابلى ثلثماية واربعة وثمانون فرسخا وارتفاعها بالنسبة لسطح البحر المحيط ثمانية عشر قامة ومن المعلوم انها من بلاد المنطقة المعتدلة فليست فى غاية الحرارة ولا فى غاية البرودة فان اقصى درجات الحر فيها يكون احدى وثلاثين درجة ونصف وهذا نادر والحر الاوسط تسعة وعشرون درجة واقصى درجات البرد بها فى الغالب اثنا عشر درجة وندر بلوغه ثمانية عشر والبرد الاوسط سبع درجات ومعلوم ان درجة الحر تحسب من شروع المتجمدات فى الذوبان الى حد فوران الماء ودرجات البرد من شروعه فى الجمود والاغلب فيها عدم صحو الزمن وكثرة الغيوم بحيث تمكث الشمس فى الشتاء عدة ايام لا تنكشف ولا يرى جرمها غالبا وفى ايام الغيوم يصلح انها ما فى ديوان الشهاب الحجازى من قول الشاعر

* تظل الشمس ترمقنا بطرف * خفى مدنف من خلف ستر *

* تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يحاول فتق بكر *

وقد فقد بعض الشعراء الورقة المشتملة على البيت الاول وعثر على الورقة المشتملة على البيت الثانى من هذين البيتين فكمله بقوله

* ازال الغيم ضوء الشمس عنا * فما زالت وقد حجبت بستر *

* تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يحاول فتق بكر *

وقد ضمن هذا المعنى العلامة الصفى فى قوله

* وطلعة مصر معشوقى ولكن * اريد وصالها وتريد هجرى *

* احاول من محبتها اختراقا * كعنين يحاول فتق بكر *

وضمن ذلك ايضا فى عكا فقال

* وعكاء الفريدة فى جمال * لها مهج الفرا عن دون مهر *

* وخاطبها سوى من كان فيها * كعنين يحاول فتق بكر *

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

ففض ولى النعم ختامها وزالت بكارتها فكان ما ظن انه عنين بالنسبة اليها
هو شديد قوى على فض الختام لجميع مدن الشام وغير الشام وكان جديرا
بقول الشاعر

*يا مليك الارض بشرا * لك فقد نلت الاراده*
*حصن عكار يقينا * هو عكا وزياده*

وقد ارخ شعراء مصر اخذ مدن الشام والروم واجادوا * واما المطر فانه لا ينقطع
فى هذه المدينه فى سائر فصول السنة واذا نزل فى الغالب نزل بكثرة فلذلك
احتاجوا فى دفع ضرره الى جعل اعالى الدور منحدرة لتنزل منها المياه الى اسفل
الدور وفى سائر البيوت والطرق مجار وبالوعات فترى وقت المطر سائر طرق
باريس محدودة بمجار كالقناة الجارية المياه خصوصا وارض هذه المدينة
مبلطة بالحجر فلا تتشرب المياه ابدا بل تسير الى هذه المجارى ومنها الى البالوعات
وتغير مزاج الهوا والزمن فى باريس امر عجيب فانه قد يتغير فى اليوم الواحد
اومع ما بعده حال الزمن مثلا يكون فى الصباح صحو عجيب لا يظن الانسان
تغيره فلا يمضى نصف ساعة الا ويذهب بالكلية ويخلفه المطر الشديد وقد يكون
حر يوم من الايام اربعة وعشرين درجة ولا يصل اليوم الاتى الى اثنى عشر وهكذا
فقل ان يأمن الانسان تغير الوقت بهذه البلاد فمزاجها كمزاج اهلها كما سيأتى
ومعلوم انه ينبغى ان يتحفظ الانسان من ضرر هذا التغير وان كان هوا باريس
فى الجملة طيبا مناسبا للصحة ومع ان حرها لا يصل الى حر القاهرة فى الغالب
فهو غير مالوف ابدا ولعل ذلك للانتقال من شدة البرد الى شدة الحر واما بردها
فانه وان كان فى طاقة الانسان تحمله من غير عظيم تعب فانه لا يمكن للناس
الشغل الا بالتدفئة بالنار فلذلك كانت سائر قهاويها وخاناتها ومعاملها
وحوانيتها مداخن مبنية فى الاوض ليوقد فيها النار وهى مرتبة على وجه
بحيث لا ينتشر فى الاوضة دخان الحطب فان هذه المداخن نافذة الى الهواء
فيجذب الهوا الدخان ويطرده خارج البيت وفى بعض الاوض يصنعون نوعا
من الفرن له باب من حديد ويلحقون به قصبة من صفيح وينفذون هذه القصبة

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

فى فرجة تتصل بالهوا فيضعون الخشب فى الفرن ويغلقون باب المحمى فيصعد
الدخان جهة القصبة ومنها يصعد الى الخلا فتسخن الفرن وتحمى قصبتها فتسخن
الاوضة او الرواق او نحوها وعندهم نوع آخر عجيب يسمى المداخن المسقوبة
وعادة المدخنة او الفرن المسماة عند الفرنساوية بوالا ان ظاهرها مطلى طلاء
عظيما فى غاية النظافة والمدخنة دائما رخمة الجوانب ولها عرصة من حديد
وهى عند الفرنساوية لحسن صناعتها من زينة المحل فيكتنفونها فى الشتاء
ومن اعظم اكرام الضيف عندهم فى الشتاء تقريبه جهة النار ولا عجب فى ذلك
نسال الله انقاذنا من حر نار جهنم ولله در القائل

* النار فاكهة الشتاء فمن يرد * اكل الفواكه شاتيا فليصطل *

وبالجملة فالتدفئة فى الشتاء عند الفرنساوية جزء من المؤنة فهذا ما يستعينون
به على البرد واما ما يستعينون به على التوقى من ضرر المطر فهو المظلات المسماة
فى مصر بالشمسيات يعنى وقايات الشمس وتسمى تلك عند الفرنساوية وقاية المطر
وفى الحر تمشى النساء بالشمسيات ولا يمكن للرجال ذلك ابدا وارض هذه المدينة
مفلحة دسمة مثمرة فكيف لا وما من بيت من البيوت الوافرة الا وبه بستان عظيم
الاشجار والخضراوات وغيرها واغلب النباتات الغريبة توجد بهذه البلدة
فانهم يعتنون بتطبيع النباتات كالحيوانات الغريبة ببلادهم مثلا شجر النخل
لا يخرج الا فى الاقاليم الحارة ومع ذلك فان الفرنساوية صنعوا كل الحيل
حتى زرعوا منه شيأ وان كان لا يثمر الا انه ينفعهم فى الرجوع اليه عند قرآتهم
فى علم النباتات وقد اشتهر عندنا ان النخل لا يوجد الا ببلاد الاسلام ويرد عليه
انه عند كشف بلاد امريكة وجدوا بها نخلا غير منقول كما هو الظاهر من بلادنا
فانظر هذا مع قول الفاضل القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات وغرائب
الموجودات ما نصه * نخل شجرة مباركة عجيبة من عجائبها انها لا تنبت الا فى بلاد
الاسلام انتهى ولعل النخل الموجود فى غير بلاد الاسلام نوع مخصوص يصدق
عليه اسم النخل عند اهل النباتات والمقصور على بلاد الاسلام نخل التمر لمناسبة
مزاج قطرها فتأمل وبقرب ارض باريس عين ماء معدنى باردة الماء ويشقها نهران

احدهما وهو الاعظم والاشهر يقال له نهر السين بفتح السين والاخر نهر غو بلان قال بعض علماء الكيميا من الافرنج ان اقل المياه خليطا بالمواد الخارجية نيل مصر ونهر الكنك ببلاد الهند ونهر السين بباريس ويتفرع على ذلك اعتبار مائها فى فن الطب من الامور المناسبة لصحة الابدان وانه يحسن تطبيب وطبخ الخضراوات بها دون غيرها وتحليل الصابون بها للغسل ونحو ذلك وفى نهر السين بداخل باريس ثلاثة جزائر احداها تسمى جزيرة السيتة وكان بها باريس القديمة والسيتة بكسر السين وسكون الياء وفتح الفوقية معناها المدينة فكانه قيل جزيرة المدينة وشتان بين هذا وبين النيل والروضة والمقياس فان نزهة الانسان فى الروضة والمقياس لا تضاهى لان الخليج يعبر مصر والسين يعبر باريس الان نهر السين بتمامه يشق باريز وتجرى بها السفن العظيمة الوسق وبه الارصفة الجيدة والنظافة على حوافيه ومع ذلك فنزهته غير سارة وشتان ايضا بين ماء النيل والسين من جهة الطعم وغيره فان ماء النيل لو كانت العادة جرت بترويقه قبل استعماله كما هو العادة فى ماء نهر السين لكان من اعظم الادوية واقول ايضا انه فرق بعيد بين طعم ماء نهر السين وماء العيون والقطوع والسواقى ببلاد صعيد مصر وبالجملة والتفصيل ففرق بعيد بين تربة مصر وباريس ومياههما وفواكههما الا فى نحو الخوخ واقليميهما فلولا نجابة اهل باريس وحكمتهم وبراعتهم وحسن تدبيرهم واعتناؤهم بتعهد مصالح بلادهم لكانت مدينتهم كلا شئ فانظر مثلا الى نهر السين فانه وان كان نزهة فى ايام الحر فانه قد يبلغ فى وقت الشتاء ثمانى درجات من الجمود والانعقاد حتى انه يمكن ان يداس عليه بالعربيات وانظر الى اشجار هذه المدينة فانها تكون مورقة فى ايام الحر وفى ايام البرد لا تجدها الا قرعة رديئة المنظر كانها حطب مصلب وهذا فى سائر البلاد الباردة وقال بعضهم فى هذا المعنى

*سالت الغصن لم تعرى شتاء *وتبدو فى الربيع وانت كاسى*

* فقال لى الربيع على قدوم *خلعت على البشير به لباسى*

قال بعضهم فى وصف يوم برد واجاد* فى يوم برد جعله الله منه فى حمى ومحال

حرب كان الظفر فيه لابن ماء السماء كانما ماجت الارض فرحا لانهلال السحاب وقويت اوتادها اذ صار لها بالسماء من حبال المطر امدّ الاسباب * وكان السماء قد رأت ما بالارض من السرور * فبعثت تهنيها بصوت الرباب * فلكم تفتحت اعين النور لعيون الغمام الساجمة * ولكم استمرت به مسرة واستقرت به سائمة * ولكم ضحكت الارض لبكاء السماء بمدامعها * وظهر البشر على وجهها وانظر الى زمن تلك المدينة فانه دائما معتم فى سائر ايام الشتاء وغالب ايام الخرف فاذا تنزه الانسان ساعة تنكد ساعة اخرى وذهب حظه بالرعد والبرق وانهطال المطر والصواعق واهلها لا يبالون بذلك فيقال فى سائر ايامها ما قاله بعضهم فى وصف يوم شديد البرد من انه يوم يجمد خمره ويخمد جمره ويخف فيه الثقيل اذا هجر ويثقل فيه الخفيف اذا هجم الا ان الفرنساوية يكثرون من الملاهى فى ليالى الشتاء لانهم يبذلون جهدهم فى التوقى من مضارها نسأل الله تعالى الوقاية من برد الزمهرير فلو تعهدت مصر وتوفرت فيها ادوات العمران لكانت سلطان المدن ورئيسة بلاد الدنيا كما هو شائع على لسان الناس من قولهم مصر ام الدنيا وقد مدحتها مدة اقامتى بباريس بقصيدة تتضمن مدح ولى النعمة دام عز دولته امين وها هى هذه القصيدة

ناح الحمام على غصون البان * فاباح شيمة مغرم ولهان
ما خلته مذ صاح الا انه * اضحى فقيد اليفه ومعانى
وكانه يلقى الى اشارة * كيف اصطبارى مذ نأى خلانى
مع اننى والله مذ فارقتهم * ما طاب لى عيشى وصفو زمانى
لكننى صب اصون تلهفى * حتى كأنى لست بالهفان
وبباطن الاحشاء نار لو بدت * جراتها ما طاقها الثقلان
ابكى بعينى مهجتى لفراقهم * واود ان لا تشعر العينان
لى مذهب فى عشقهم وارته * ومذاهب العشاق فى اعلان
ماذا على اذا كتمت صبابتى * حتى لوان الموت فى الكتمان
ما احسن القتلى باغصان النقى * ما اطيب الاحزان بالغزلان

قالوا التهوى والهوى يكسو الفتى * ابدا ثياب مذلة وهوان
فاجبتهم لو صح هذا انني * اختار ذلي فيه طول زماني
والذل للعشاق غير معرة * بل عين كل معزة للعاني
اصبو الى من حاز قدا اهيفا * يزري ترنحه بغصن البان
واحن نحو شقيق تم خده * قد نم فيه شقايق النعمان
ويروقني ابدا نزاهة مقلتي * في حسن طلعة فاتك فتان
امسي واصبح بين شعر حالك * ومنير وجه هكذا الملوان
ولطالما قضيت معه حقبة * ونسيم مصر معطر الاردان
زمن على به لمصر فديتها * حق وثيق عاطل النكران
لو شابهت عيناي فايض نيلها * لم يوف بعض شفائه احزاني
اولو حكى قلبي بحار علومها * طربا لما اشكو من الخفقان
ولكم بازهرها شموس اشرقت * وانارت الاكوان بالعرفان
فشذا عبير علومهم عم الورى * وسرت مآثرهم لكل مكان
وحوتهمو مصر فصارت روضة * وهمو جناها المجتنى للجاني
قد شبهوها بالعروس وقد بدا * منها العروسي بهجة الاكوان
قالوا اتعطر روضها فاجبتهم * عطارها حسن شذاه معاني
حبر له شهدت اكابر عصره * بكمال فضل لاح بالبرهان
لو قلت لم يوجد بمصر نظيره * لاجبت بالتصديق والاذعان
هذا لعمري ان فيها سادة * قد زينوا بالحسن والاحسان
يا ايها الخافي عليك فخارها * فاليك ان الشاهد الحسنان
لو كنت اقسم ان مصر لجنة * لابر كل البر في ايماني
دار يحق لها التفاخر سيما * بعزيزها جدوى بني عثمان
حاز المحامد اذ دعى بمحمد * ورقى العلى فعلى على الاقران
من كان مثل اميرنا فقرينه * اسكندر او كسرى انوشروان
في وجهه النصر القريب على العدا * لاحت بشائره لكل معاني

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

فى كفه سيفان سيف عناية * والشهم ابراهيم سيف ثانى
سل عنه ينبيك الحجاز مشافها * بدمار اهل الزيغ والبهتان
من قبل كانت سبله مذعورة * والان صارت فى كمال امان
لاغروان نجدا دامت شكره * فلقد كساها حلة الايمان
وسعت الى زنج طلايع جيشه * فاطاعت العاتى من السودان
وثقلب الاروام عدل شاهد * كم منه قدنا لوا شديد طعان
حتى لقد باؤا بوافر خزيهم * وتقاسموا حظا من الخسران
لم تخط قامة رمحه اغراضها * واصابة الاغراض نيل امانى
احيى بدولته علوما قد غدت * لوضوحها تجلى على الاذهان
بطل مكارمه الجليلة قلدت * هام الزمان مكلل التيجان
يهنيك يا مصر لقد حزت البها * بمحمد باشا على الشان *
فاحظى بفاخر حكمه وتمتعى * وبذلك افتخرى على البلدان
مدى اكف الشكر وابتهلى بان * يبقيه مولاه طويل زمانى

واما مصر فانها سليمة من مكاره برد باريس كما انها خالية ايضا عن الامور المحتاج اليها فى وقت الحر مثل الاستعانة على تطرية الزمن فان اهل باريس مثلا سهل عندهم رش ميدان متسع من الارض وقت الحر فانهم يصنعون دنا عظيما ذا عجلات ويمشون العجلة بالخيل ولهذا الدن عدة برابيز مصنوعة بالهندسة تدفع الماء بقوة عظيمة وعزم سريع فلا تزال العجلات ماشية والبرابيز مفتوحة حتى ترش قطعة عظيمة فى نحو ربع ساعة لا يمكن رشها بجملة رجال فى ابلغ من ساعة ولهم غير ذلك من الحيل فمصرنا اولى بهذ الغلبة حرها ثم من غرائب نهر السين انه يوجد فيه مراكب عظيمة فيها اعظم حمامات باريس المشيدة البنا وفى كل حمام منها ابلغ من ماية خلوة وسيأتى ذكرها ومن الامور المستحسنة ايضا انهم يصنعون مجار تحت الارض توصل ماء النهر الى حمامات اخرى وسط المدينة او الى صهاريج بهندسة مكملة فانظر اين سهولة هذا مع ملىء صهاريج مصر بحمل الجمال فان ذلك اهون مصرفا وايسر فى كل زمن وشطوط

هذا النهر داخل المدينة مرصعة بحيطان عظيمة عالية فوق الماء نحو قامتين يطل
المار بجانبها على النهر وهى محكمة البناء وقناطر هذا النهر بباريس ستة عشر
قنطرة فنها قنطرة تسمى قنطرة بستان النباتات ولها اربعماية قدم من الطول
وعرضها سبعة وثلاثون قدما ولهذه القنطرة خمسة قواصير من الحديد محكمة
ومسنودة على حجارة من الحجار النحاتة وقد بنيت هذه القنطرة فى خمس سنوات
وصرف فيها ثلاثون مليون فرنك يعنى ثلاثين الف الف فرنك وتسمى هذه
القنطرة قنطرة استرلتز سميت بذلك باسم محل غلب فيه نابليون ملك النيمسا
والموسقو فيقال لهذه الواقعة واقعة استرلتز ويقال لها واقعة السلاطين الثلاثة
ويقال لها واقعة موسم تتويج نابليون واسترلتز بلدة وقعت هذه النصرة بقربها
وهذه النصرة تستحق عند الفرنساوية الذكر الجميل على ممر الدهور فلذلك
ابدوها ببناء هذه القنطرة فتسميتها بهذا الاسم للتذكار وبقاء الآثار ونهر السين
يشق باريس نحو فرسخين وعرضه فيها مختلف فعند القنطرة المتقدمة يكون
من الطول مائة وستة وستين مترا وقوة سير مياهه المتوسطة عشرون برمقا
فى كل ثانية او الف ومائتان فى كل دقيقة وسطح ارض باريس صنفان
فالاول جبس والثانى طين ماء نهر السين بعد زيادته وارضها مركبة
من راقات مختلفة فالراق الاول مزرعة طينية رملية ذات حصى الثانى طفل
مختلط بجبس وصدف الثالث طفل صوانى الرابع طفل جيرى صدفى الخامس
حجر الجير المخلوط بصدف السادس البحر الملح السابع طين شبيه بالابليزى
الثامن طباشير وجير مفحوم طباشيرى ثم ان هذه المدينة مشقوقة ومحتاطة
بصفوف اشجار مرصوصة على سمت الخطوط المتوازية لا يخرج بعضها عن بعض
ابدا وعلى منوالها طريق شبرا وفى ابى زعبل وجهادا باد وهى مورقة فى ايام الحر
يستظل المار بها من حر الشمس وتسمى البلوار بضم الباء وسكون اللام فيوجد
فى باريس بلوارات خارجة كالسور للمدينة وبلوارات داخل المدينة ومحيط
البلوارات الخارجة ابلغ من خمسة فراسخ ونصف وعدد بلوارات باريس
اثنان وعشرون بلوارا وفى هذه المدينة عدة فسحات عظيمة تسمى المواضع يعنى

المبادين

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

الميادين كفسحة الرميلة بالقاهرة فى مجرد الاتساع لافى الوساخة وعددها خمسة وسبعون ميدانا ولهذه المدينة ابواب خارجية برانية كباب النصر بالقاهرة وهى ثمانية وخمسون بابا وبهذه المدينة اربع قنايات وثلاثة دواليب لجرى المياه بالنواعير الا انها عظيمة وستة وثمانون صهريجا ومائة واربعة عشر حنفية على الطرق ومما يدل على عمارة هذه المدينة كون اهلها دائما فى الزيادة البينة وارضها فى الاتساع وعماراتها فى التكميل والتحسين فان اهلها الآن يعنى اهل الاستيطان بها نحو مليون من الانفس ومحيطها سبع فراسخ فرنساوية ومطايا هذه المدينة كغيرها من بلاد فرانسا العربات الا انه يكثر فيها ذلك ويتنوع ولا تزال تسمع بها قرقعة العربات ليلا ونهارا بغير انقطاع وسيأتى تفصيل ذلك فى غير هذا المحل

الفصل الثانى فى الكلام على اهل باريس

اعلم ان الباريزيين يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل ودقة الفهم وغوص ذهنهم فى العويصات وليسوا مثل النصارى القبطة فى انهم يميلون بالطبيعة الى الجهل والغفلة وليسوا اسراء التقليد اصلا بل يحبون دائما معرفة اصل الشئ والاستدلال عليه حتى ان عامتهم ايضا يعرفون القرأة والكتابة ويدخلون مع غيرهم فى الامور العميقة كل انسان على قدر حاله فليست العوام بهذه البلاد من قبيل الانعام كعوام اكثر البلاد المتبربرة وسائر العلوم والفنون والصنائع مدونة فى الكتب حتى الصنائع الدنيئة فيحتاج الصنائعى بالضرورة الى معرفة القرأة والكتابة لاتقان صنعته وكل صاحب فن من الفنون يحب ان يبتدع فى فنه شيأ لم يسبق به او يكمل ما ابتدعه غيره ومما يعينهم على ذلك زيادة عن الكسب حب الريا والسمعة ودوام الذكر فهم يقتدون بقول الشاعر

لعمرى رايت المرء بعد زواله * حديثا بما قد كان ياتى ويصنع
فخيث الفتى لابد يذكر بعده * فذكراه بالحسنى اجل وارفع

وقول ابن دريد

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وقيل لاسكندر لو استكثرت من النساء كثر ولدك وطاب بهم ذكرك فقال دوام الذكر

فى حسن السيرة والسنن ولا يحسن لمن غلب الرجال ان تغلبه النساء ومن طباع الفرنساوية التطلع والتولع بسائر الاشياء الجديدة وحب التغيير والتبديل فى سائر الامور خصوصا فى امر الملبس فانه لا قرار له ابدا عندهم ولم تقف لهم الى الآن عادة فى التزيى وليس معنى هذا انهم يغيرون ملبسهم بالكلية بل معناه انهم يتنوعون فيه مثلا لا يغيرون لبس البرنيطة ولا ينتقلون منها الى العمامة وانما هم تارة يلبسون البرنيطة على شكل ثم بعد زمن ينتقلون منه الى شكل آخر سواء فى صورتها او لونها وهكذا ومن طباعهم المهارة والخفة فان صاحب المقام قد تجده يجرى فى السكة كالصغير ومن طباعهم ايضا الطيشان والتلون فينتقل الانسان منهم من الفرح الى الحزن وبالعكس ومن الجد الى الهزل وبالعكس حتى ان الانسان قد يرتكب فى يوم واحد جملة امور متضادة وهذا كله فى الامور الغير المهمة واما فى الامور المهمة فارآؤهم فى السياسات لا تتغير كل واحد يدوم على مذهبه ورأيه ويؤيده مدة عمره ومع كثرة ميلهم الى اوطانهم يحبون الاسفار فقد يمكثون السنين العديدة والمدة المديدة طوافين بين المشرق والمغرب حتى انهم قد يلقون انفسهم فى المهالك لمصلحة تعود على اوطانهم فكانهم مصداق قول الحاجرى

كل المنازل والبلاد عزيزة * عندى ولا كمواطنى وبلادى

وقال اخر

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يالفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

ومن خصالهم محبة الغرباء والميل الى معاشرتهم خصوصا اذا كان الغريب متجملا بالثياب النفيسة وانما يحملهم على ذلك الرغبة والتشوف الى السؤال عن احوال البلاد وعوائد اهلها ليظفروا بمقصدهم فى الحضر والسفر وقد جرت عادة النفوس الى الطمع من الدنيا بما لا تظفر به كما قال الشاعر

ان النفوس على اختلاف طباعها * طمعت من الدنيا بما لم تظفر

وليس عندهم المواساة الا باقوالهم وافعالهم لا باموالهم الا انهم لا يمنعون عن اصحابهم ما يطلبون استعارته لا هبته الا اذا وثقوا بالمكافئة وهم فى الحقيقة

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

اقرب للبخل من الكرم وقد ذكرنا عله ذلك فى ترجمتنا مختصر السير والعوائد فى ذكر الضيافة وفى الحقيقة اصل السبب هو ان الكرم فى العرب ومن اوصافهم توفيتهم غالبا بالحقوق الواجبة عليهم وعدم اهمالهم اشغالهم ابدا فانهم لا يكلون من الاشغال سواء الغنى والفقير فكان لسان حالهم يقول ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ومن المركوز فى طبعهم حب الريا والسمعة لا الكبر والحقد فهم كما يقولون فى مدح انفسهم اخلص قلوبا من الغنم عند ذبحها وان كانوا عند الغضب اشد افتراسا من النمور فان الانسان منهم اذا غضب قد يوثر الموت على الحياة فقل ان يفوت زمن يسير من غير ان يقتل انسان نفسه خصوصا من داء الفقر والعشق ومن طباعهم الغالبة وفاء الوعد وعدم الغدر وقلة الخيانة ومن كلام بعض الحكما المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الاحرار وقال اخر كفر النعمة من لوم الطبيعة ورداءة الديانة وقال اخر الشكر وكاء النعمة والوفاء به صلاح العقبى وقيل وعد الكريم الزم من دين الغريم وقال بعضهم الخيانات تؤدى الامانات ومن طباعهم الغالبة الصدق ويعتنون كثيرا بالمروة الانسانية قال بعضهم فى مدحها المروة اسم جامع للمحاسن كلها ومن الصفات التى يقبح وصف الانسان بها عندهم كفر النعم مثل غيرهم فيرون ان شكر المنعم واجب واظن ان جميع الامم ترى ذلك وان كانت قد تفقد هذه الصفة عند افراد فهو خروج عن الطبع فهى كشفقة الوالد وبر الولد فانهما قد يتخلفان فى بعض الافراد مع انهما صفتان جبليتان عند سائر الامم والملل ومن خصالهم ايضا صرف الاموال فى حظوظ النفس والشهوات الشيطانية واللهو واللعب فانهم مسرفون غاية السرف ثم ان الرجال عندهم عبيد النساء وتحت امرهم سواء كن جمالات ام لا قال بعضهم ان النساء عند الهمل معدات للذبح وعند بلاد الشرق كامتعة البيوت وعند الافرنج كالصغار المدلعين قال الشاعر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فلن يسود فتى يعطى النسا رسنه

يعقنه عن كثير من فضائله * ولو سعى طالبا للعلم الف سنه

ولا يظن الافرنج بنسائهم ظنا سيئا اصلا مع ان هفواتهن كثيرة معهن فان الانسان

منهم ولو من اعيانهم قد يثبت له فجور زوجته فيهجرها بالكلية وينفصل عنها
مدة العمر فلا يعتبر الاخرون بذلك مع انه ينبغى الاحتراس منهن كما قال الشاعر

لا يكن ظنك الا سيئا * بالنسا ان كنت من اهل الفطن
مارمى الانسان فى مهلكة * قط الا ظنه الظن الحسن

ومن كلام العرب العرباء خطابا لزوجته

ان امرءا غره منكن واحدة * بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور

ومن الامور المستحسنة فى طباعهم الشبيهة حقيقة بطباع العرب عدم ميلهم الى حب الاحداث والتشبب فيهم اصلا فهذا امر منسى الذكر عندهم تأباه طبيعتهم واخلاقهم ومن محاسن لسانهم واشعارهم انها تأبا التغزل الجنس فى جنسه فلا يحسن فى اللغة الفرنساوية قول الرجل عشقت غلاما فان هذا يكون من الكلام المنبوذ المشكل فلذلك اذا ترجم احدهم كتابا من كتبنا يقلب الكلام الى وجه آخر فيقول فى ترجمة تلك الجملة عشقت غلامة اوذاتا ايتخلص من ذلك فانهم يرون هذا من فساد الاخلاق والحق معهم وذلك ان احد الجنسين له فى غير جنسه خاصة من الخواص يميل بها اليه كخاصة المغناطيس فى جذب الحديد مثلا وكخاصة الكهربا فى جذب الاشياء ونحو ذلك فاذا اتحد الجنس انعدمت الخاصة وخرج عن الحالة الطبيعية وهذا الامر عندهم من اشد الفواحش حتى انه قلما ذكروه صريحا فى كتبهم بل يكنون عنه بما امكن ولا يسمع التحدث به اصلا ويعجبنى قول الشيخ عباس اليمنى

كلفت بسعدى والرباب وزينب * ولم اعتبر اس العذار ولامه
ولا اخترت تشبيبا بأمرد مذهبا * وان ذم طبعى من يراه ولامه
وما حسنه عندى سوى فى عجاجة * وحمل قناة كالشهاب ولامه
ويغشى سعير الحرب ليس يصده * حنانيك عن ضرب الرقاب ولامه

ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم كما تقدم وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الاسلام من الغيرة ومما قاله بعض اهل المجون الفرنساوية لا تغتر بابياء امرأة اذا سألتها قضاء الوطر ولا تستدل بذلك على عفافها ولكن على كثرة

تجربتها انتهى كيف والزنا عندهم من العيوب والرذائل لا من الذنوب الاوائل خصوصا فى حق غير المتزوج فكان نساءهن مصداق قول بعض الحكماء لا تغتر بامرأة ولا تثق بمال وان كثر * وقال اخر النساء حبائل الشيطان * وقال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن جزوعا * اذا بانت فسوف تبين
فان هى اعطتك الليان فانها * لاخر من طلابها ستلين
وان حلفت لا ينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وبالجملة فهذه المدينة كباقى مدن فرانسا وبلاد الافرنج العظيمة مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات وان كانت مدينة باريس من احكم سائر بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية واثينة الفرنساوية وقد قابلتها فيما تقدم نوع مقابلة باثينة اى مدينة حكماء اليونان ثم رأيت بعض اهل الادب من الفرنساوية قال ما معناه ان الباريزيين اشبه الناس باهل آثينة اوهم اثينيو هذا الزمان وان عقولهم رومانية وطباعهم يونانية انتهى وقد اسلفنا ان الفرنساوية من الفرق التى تعتبر التحسين والتقبيح العقليين واقول هنا انهم ينكرون خوارق العادات ويعتقدون انه لا يمكن تخلف الامور الطبيعية اصلا وان الاديان انما جاءت لتدل الانسان على فعل الخير واجتناب ضده وان عمارة البلاد وتطرق الناس وتقدمهم فى الاداب والظرافة تسد مسد الاديان وان الممالك العامرة تصنع فيها الامور السياسية كالامور الشرعية ومن عقائدهم القبيحة قولهم ان عقول حكمائهم وطبائعييهم اعظم من عقول الانبياء وازكى منها ولهم كثير من العقائد الشنيعة كانكار بعضهم القضاء والقدر مع ان من الحكم) العاقل من يصدق بالقضاء وياخذ بالحزم فى سائر الاشياء وان كان لا ينبغى للانسان ان يحيل الاشياء على المقادير او يحتج بها قبل الوقوع فان من الامثال التى سارت بها الركبان * من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير ومن كلام بعضهم اذا وقعت المجادلة فالسكوت افضل من الكلام واذا وقعت المحاربة فالتدبير افضل من التقدير ومنهم جماعة يعتقدون ان الله تعالى خلق الخلق ونظمهم نظاما عجيبا فرغ منه ثم لا يزال يلاحظهم بصفة له تعالى تسمى صفة العناية والحفظ تتعلق

بالممكنات اجمالا بمعنى انها تمنعها عن خلل انتظام الملك وسنذكر بعض عقائدهم فى غير هذا المحل ثم ان لون اهل باريس البياض المشرب بالحمرة وقل وجود السمرة فى اهلها المتاصلين بها وانما ندر ذلك لانهم لا يزوجون عادة الزنجية للابيض او بالعكس محافظة على عدم الاختلاط فى اللون بل لا يعدون انه قد يكون للزنج جمال اصلا بل لون السواد عندهم من صفات القبح فليس لهم فى المحبة مذهبان ولا يحسن عندهم قول الشاعر فى غلام اسود

لك وجه كان بنانى خطته بلفظ تمله آمالى

فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى

بل لسان حالهم دائما ينشد قول الاخر

الا ان عندى عاشق السمر غالط * وان الملاح البيض ابهى وابهج

وانى لاهوى كل بيضاء غادة * يضيء لها وجه وثغر مفلج

وحسبى انى اتبع الحق فى الهوى * ولا شك ان الحق ابيض ابلج

على انه لا يحسن عند الفرنساوية استخدام جارية سودا فى الطبخ ونحوه لما ركز فى اذهانهم ان السودان عارون عن النظافة اللازمة ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والملاطفة يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال فى المنتزهات وربما حدث التعارف بينهن وبين بعض الرجال فى تلك المحال سواء الاحرار او غيرهن خصوصا يوم الاحد الذى هو عيد النصارى ويوم بطالتهم وليلة الاثنين فى البالات والمراقص الاتى ذكرها ويحسن قول بعضهم شعر

والراقصات وقد مالت ذوائبها * على خصور كاوساط الزنابير

يخفى الرداسقمها عنا فيفضحها * عقد البنود وشدات الزنانير

ومما قيل ان باريس جنة النساء واعراف الرجال وجحيم الخيل وذلك ان النساء بها منعمات سواء بما لهن او بجمالهن واما الرجال فانهم بين هؤلاء وهؤلاء عبيد النساء فان الانسان يحرم نفسه ويتزه عشيقته واما الخيل فانها تجر العربيات ليلا ونهارا على احجار ارض باريس خصوصا اذا كانت المستأجرة للعربية امرأة جميلة فان

العربجى

العربجى يجهد خيله ليوصلها الى مقصدها عاجلا فالخيل دائما معذبة بهذه المدينة وحيث ان باريس من بلاد الفرنسيس فمعلوم ان لسان اهلها هو اللسان الفرنساوى ولنذكر هنا نبذة من ذلك فنقول اعلم ان اللسان الفرنساوى من الافرنجية المستحدثة وهو لسان الغلوية يعنى قدماء الفرنسيس ثم كمل من اللغة اللاطينية واضيف اليه شئ من اللغة اليونانية النيمساوية ويسير من لغة الصقالبة وغيرها ثم حين برع الفرنساوية فى العلوم نقلوا كلمات العلوم من لغات اهلها واكثر الكلمات الاصطلاحية يونانية حتى كان لسانهم من اشبع الالسن واوسعها بالنسبة لكثرة الكلمات غير المترادفة لا بتلاعب العبارات والتصرف فيها ولا بالمحسنات البديعية اللفظية فانه خال عنها وكذا غالب المحسنات البديعية المعنوية وربما عد ما يكون من المحسنات فى العربية ركاكة عند الفرنسيس مثلا لا تكون التورية من المحسنات الجيدة الاستعمال الا نادرا فان كانت فهى من هزليات ادبائهم وكذلك مثل الجناس التام والناقص فانه لا معنى له عندهم وتذهب ظرافة ما يترجم لهم من العربية مما يكون من ذلك مثل قول صاحب البديعية

من العقيق ومن تذكار ذى سلم * براعة العين فى استهلالها بدم

ومن اهيل النقى ثم النقى وبدا * تناقض الجسم من ضر ومن ضرم

ولا يمكن ان ينقل الى لغاتهم ما قلته فى نظم مصطلح الحديث

صحيح جسمى من فرط الجوى عضلا * ومرسل الدمع من عينى قد اتصلا

تواترت قصتى فى الناس قاطبة * حتى لضعفى رثا لى كل من عذلا

تعنعن السحب عن عينى روايتها * كما يسلسل عنها القطر اذ هملا

رفعت امرى الى قاضى الهوى فابى * وقال مالى على هذا المليح ولا

ياقلب صبرا على ما فيك من علل * ولا تشذ وتجزع واترك المللا

ودع بقية ما ابقاه من رمق * لديه لا تعتبر تعنيف من عدلا

فذا الرئاح وبالتدليس مشتهر * وقوله منكر زور وما قبلا

الى آخر قولى فيها * وقفت حتى عليه لا يجاوزه * وهكذا شأن صب فى الهوى كملا

وسيأتى تتميم الكلام على ذلك وبالجملة فلكل لسان اصطلاح واصطلاح اللغة الفرنساوية تقليل التصريف ما امكن وتصريف الفعل مع فعل آخر مثلا اذا اراد الانسان يخبر بانه اكل فانه يقول املك مأكولا يعنى فلا يمكن تصريف اكل فى بعض احواله الا مع فعل الملك او التلبس فكانه يقول تلبست بالاكل واذا اراد ان يقول خرجت يقول انا اكون مخرجا يعنى خرجت وهكذا ويسمى فعل الملك وفعل الكينونة فعلين مساعدين يعنى انهما يعينان على تصريف الافعال ويتجردان عن معناهما الاصلى واذا ارادوا تعدية الفعل قالوا فعلت له الاكل يعنى جعلته يأكل او اكلته وفعلت له الخروج يعنى اخرجته وهكذا فلا يمكنهم تصريف الافعال كما يمكن فى اللغة العربية فلذلك كانت لغتهم ضيقة من هذه الحيثية ثم ان قواعد اللسان الفرنساوى وفن تركيب كلماته وكتابتها وقراءتها يسمى اغرماتيق بالهمزة وسكون الغين وفتح الراء وتشديد الميم وكسر التاء وفتح القاف واغرمير بتشديد الميم عند الفرنسيس ومعناه فن تركيب الكلام من لغة من اللغات فكانه يقول فن النحو فيدخل فيه سائر ما يتعلق باللغة كما نقول نحن علوم العربية ونريد بها الاثنى عشر علما المجموعة فى قول شيخنا العطار

نحو وصرف عروض بعده لغة * ثم اشتقاق قريض الشعر انشاء

كذا المعانى بيان الخط قافية * تاريخ هذا العلم العرب احصاء

وبعضهم زاد البديع وآخر استحسن زيادة التجويد وبالجملة فباب الزيادة والنقص فيها مفتوح اذ حصرها وتقسيمها فى ذلك جعلى لا حصرى والظاهر ان هذه العلوم جديرة بان تسمى مباحث علم العربية فقط فكيف يكون كل من الشعر والقريض والقافية علما مستقلا برأسه وكل من النحو والصرف والاشتقاق علما برأسه وانظر ما المراد بالتاريخ وبكونه من العلوم العربية مع ان اول من الف فيه علماء اليونان واول ما ظهر فى هذا الفن كتب اوميروس فى واقعة تروادة ولم تؤلف فيه العرب الا فى الازمنة الاخيرة وعلم الخط قديم ايضا فالافرنج يدخلون هذه المباحث فى علم تركيب الكلام بل ويعدون منه المنطق والوضع والمناظرة ثم ان اللغة الفرنساوية كغيرها من اللغات الافرنجية لها اصطلاح خاص بها

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

وعليه ينبني نحوها وصرفها وعروضها وقوافيها وبيانها وخطها وانشاؤها ومعانيها وهذا ما يسمى اغرما تيق فحينئذ سائر اللغات ذات القواعد لها فن يجمع قواعدها سواء كانت لدفع الخطاء في القرأة او الكتابة فيها او لتحسينها فحينئذ ليست اللغة العربية هي المقصودة على ذلك بل كل لغة من اللغات يوجد فيها ذلك نعم اللغة العربية افصح اللغات واعظمها واوسعها واعلاها على السمع فحينئذ العالم باللغة اللاطينية يعرف سائر ما يتعلق بها فله ادراك في النحو في حد ذاته وفي غيره كالصرف فمن الجهل ان يقال انه لا يعرف شيأ بدليل جهله باللغة العربية واذا تبحر الانسان في لغة من اللغات كان عالما باللغة الاخرى بالقوة يعني انه لو ترجم له ما في اللغة الاخرى وعبر له عنه كان قابلا لتلقيه ومقابلته بلغته بل ربما كان يعرفه من قبل ويعرف زيادة عليه ويبحث فيه ويبطل منه ما لا يقبله العقل كيف والعلم هو الملكة وحينئذ فقد لا يعرف الانسان المطولات باللغة العربية ويعرفه باللغة الفرنساوية لو ترجم له على ان كل لغة مخدومة فلها مطولها واطولها واوسعها نعم ليس كل مائع ماء ولا كل سقف سما ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد رسول الله وكما قال الشاعر

هيهات ما كل النسيم حجازيا ولا كل نور يبهج الشرق والغربا

وقال آخر

وما كل مخضوب البنان بثينة * ولا كل مسلوب الفؤاد جميل

فلا شك ان لسان العرب هو اعظم اللغات وابهج وهل ذهب صرف يحاكيه بهرج ولله در من قال

يليق الخطاب اليعربي باهله فيهدى الوفا للنقص والحسن للقبح
ومن شرف الاعراب ان محمدا * اتى عربي الاصل من عرب فصح
وان المثاني انزلت بلسانه * بما خصصته في الخطاب من المدح

ومع ما يتراءى ان الاعجام لا تفهم لغة العرب اذا لم تحسن التكلم بها كالعرب فهذا لا اصل له ومما يدلك على ذلك اني اجتمعت في باريس بفاضل من فضلاء الفرنساوية شهير في بلاد الافرنج بمعرفة اللغات المشرقية خصوصا اللغة العربية والفارسية

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

يسمى البارون سلوستري دساسي وهو من اكابر باريس واحد اعضاء جملة جمعيات
من علماء فرانسا وغيرها وقد انتشرت تراجمه في باريس وشاع فضله في اللغة العربية
حتى انه لخص شرحا للمقامات الحريرية وسماه مختار الشروح وقد تعلم اللغة العربية
على ما قيل بقوة فهمه وذكاء عقله وغزارة علمه لا بواسطة معلم الا في مبدء امره
ولم يحضر مثل الشيخ خالد فضلا عن حضور المغني مع انه يمكنه قرأة المغني كيف
وقد درس البيضاوي عدة مرات غير انه حين يقرأ ينطق كالعجم ولا يمكنه ان يتكلم
بالعربية الا اذا كان بيده الكتاب فاذا اراد شرح عبارة اغرب في الالفاظ التي
يتعذر عليه تصحيح نطقها ولنذكر لك خطبته في شرحه لمقامات الحريري لتعرف
نفسه في التأليف وقلم عبارته فانه بليغ وان كان به يسير من الركاكة وسبب ذلك
انه تمكن من قواعد الالسن الافرنجية فلذلك مالت اليها عبارته في العربية قال
في طالعة شرحه التي حاول فيها الجري على نهج دينه ودين الاسلام ممن غير ان
يغبن احدهما

بسم الله المبدئ المعيد * الحمد لله العالي المتعالي * الذي له الاسماء الحسنى *
ولا يخالط صفاته عز وجل من صفات المخلوق شئ اقصى ولا ادنى * العليم الذي
ليس لعلمه نهايه) والحكم الحكيم الذي حكمه وحكمته وراء كل حد وغايه *
لا يحصر لاهوت وجوده زمان ومكان * ولا يشوب صفاء جبروته شايبة زيادة
ولا نقصان * مسبب الاسباب الذي لا يتحرك في اطراف الارض والسماء متحرك
الا بقدرته وارادته * ولا يتكلم في اكناف الافاق متكلم الا بالهامه وافادته * احمده
حمد من اعترف بتقصير فهمه وضعف عقله * فهداه برحمته وتوفيقه الى تحصيل
بعض العلوم والفنون * واشكر له شكر من كان يخبط في ظلام الجهل فاخرجه
برأفته وتاييده الى فضاء الرشد ونور التمييز حتى عرف الحق اليقين من اباطيل
الظنون * ثم اتوسل اليه سبحانه وتعالى بأنبيائه المرسلين واوليائه المقربين الذين
كل واحد منهم كالغرة على جبهة الدهر * وكالتاج على مفرق العصر * واسأله عز
وجل ان يجعلني من عباده المهتدين * الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين * انه على كل شئ قدير وباجابة هذا الدعاء جدير * اما بعد لما فضل الله

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

جنس الناس على سائر المبتدعات بفوائد الافهام * واختص بنى آدم من بين
اصناف الحيوانات بكرامة الكلام * بعث فى كل امة من الامم من يكون فى تمهيد
قواعد البلاغة واستنباط احكام شريعتها معروفا مشهورا * ويصير اسالك طريقة
الفصاحة اماما ودستورا فمن اشتهر بذلك بين الانام وصار المشار اليه فى هذا
الباب عند اهل الاسلام * مؤلف المقامات المشهور بالحريرى وهو الشيخ الامام
ابو محمد القاسم ابن على بن محمد بن عثمان البصرى الذى ازدرى من كان قبله من
الادبا والفصحا واجهد من جاء بعده من الظرفا والبلغا * فانى لما رايت ان كتابه
المذكور لم يزل مذ الفه الى يومنا هذا العلم الادب كالعلم المشهور يحسبه الخاصة
والعامة واسطة عقده * وخلاصة نقده * ويعتقدونه نور مصباحه وضياء صباحه
بل لا يشك احد منهم انه ازهار بستانه واثمار جنانه * وزلال مائه * ونسيم هوائه
احببت ان اشرحه شرحا متوسطا بين الايجاز والتطويل * اكشف الغطاء عن
مشكلاته ومجملاته بالتفسير والتفصيل * وقد شرح المقامات الحريرية من علماء
المشرق والمغرب كثير ذكرهم الحاج خليفة فى كتابه المسمى كشف الظنون * عن
اسامى الكتب والفنون * وما وصل بيدى اليه من مؤلفاتهم شروح اربعة منها
غريب الايضاح فى غريب المقامات الحريرية للامام برهان الدين ابى الفتح ناصر
ابن عبد السيد المطرزى الخوارزمى المتوفى سنة عشر وستماية وهذا الشرح مع
وجازته كتاب مفيد محصل للمقصود والمطرزى كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة
والشعر وانواع الادب وهو صاحب كتاب المغرب تكلم فيه على الالفاظ التى
يستعملها الفقهاء من الغريب ومنها كتاب شرح ما غمض من الالفاظ اللغوية من
المقامات الحريرية تأليف الشيخ محب الدين عبد الله بن الحسين العكبرى البغدادى
المتوفى سنة عشرة وستماية قال انى رايت المقامات الحريرية مشحونة بالالفاظ
اللغوية وهى احد الكتب التى عنى بها علماء العربية ودعانى ذلك الى تفسير ما غمض
من الفاظها على الايجاز وقد كنت عثرت لبعض الناس على شئ من ذلك الا انه
اسهب بما لا يحتاج اليه وربما فسر اللفظة بغير ما قصد منشيها ومنها شرح المقامات
للاستاذ اللغوى النحوى ابى العباس احمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسى

الشريشى المتوفى سنة تسعة عشر وستماية وهو شرح طويل ذكر الشريشى انه لم يترك فى كتاب من شروح المقامات فائدة الا استخرجها ولا عائدة الا استدرجها ولا نكتة الا علقها ولا غريبة الا استحقها حتى صار شرحه تاليفا فى المقامات يغنى عن كل شرح تقدم فيها ولا يحوج الى سواه فى لفظة من الفاظها ولا معنى من معانيها وقد اخذ شيأ كثيرا من شرح ابن ظفر الصقلى صاحب كتاب سلوان المطاع فى عدوان الاتباع المتوفى بمدينة حماه سنة خمس وستين وخمسماية ومن شرح الفندهجى وهو الشيخ الامام تاج الدين ابو سعيد محمد بن سعادات عبد الرحمن ابن محمد الخراسانى المروزى الفندهجى وقيل البندهجى الصوفى المتوفى بمدينة دمشق سنة اربعة وثمانين وخمسماية ومنها شرح آخر تأليف الشيخ شمس الدين ابى بكر محمد بن ابى بكر الرازى صاحب اسئلة القرأن ومختار الصحاح المتوفى بعد سنة ستين وستماية وهذا الشرح لم يذكره الحاج خليفة فى كتابه المذكور وهو شرح لطيف يشهد لصاحبه بكمال الادب الا ان النسخة التى هى فى ملكى نسخة ناقصة سقط منها نحو نصف الكتاب حتى لم يبق الا شرح الخطبة ثم شرح المقامة الخامسة والعشرين اخذا من قول الحريرى وانى والله طالما تلقيت الشتاء بكافاته الى اخرها وشرح ما يتلوها من المقامات الا قوله فى المقامة الخمسين

ولم تزل معتكفا على القبيح الشنع هذا ما كان لى من شروح المقامات وقد اجتمع عندى ايضا نسخ ست من كتاب المقامات بلا شرح غير ان اكثرها يوجد به من التعليقات والحواشى ما ينتفع به القارى وقد اخترت من تلك الشروح والحواشى كلما يحتاج اليه طالب العلم فى تحصيل المقصود ويستعين به الراغب فى الادب على ادراك المطلوب ثم اضفت الى ذلك شيأ كثيرا نقلته من كتب ائمة النحو واللغة ومن مجمع الامثال للعلامة الميدانى وكتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان ثم من ديوان البحترى ومن ديوان المتنبى وشرح المعلقات للزوزنى وغير هذا من كتب الادب كل ذلك ليتيسر على من اعجبه الغوص فى بحار اللغات العربية ان يظفر من دررها بكل يتيمة عقيله وليسهل على المولع بغرائب العلوم الادبية المشرقية ان يصل من جواهر معادنها الى كل فلذة ثمينة جزيلة وانما

المرجو

المرجو ممن نظر فى هذا الشرح المختار ان لا يؤاخذنى على ما ظهر عليه من العثرات
بل ان يستر بذيل كرمه ما استبان له من العورات) والله اسأله ان يجعل هذا الكتاب
لمن تصفحه من اهل الشرق والغرب نافعا مفيدا * ويجمع من اسرع الى مورده
من ابناء جنسنا ومن غير جنسنا هنيئا مريئا حميدا) انتهى كلامه وقال فى المقدمة
الفرنساوية لهذا الكتاب ان المقامات البديعية تفضل المقامات الحريرية وقد ترجم
الى الفرنساوية عدة مقامات من الاثنين فى مجموعه كتاب الانيس المفيد للطالب
المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور وبالجملة فمعرفته خصوصا
فى اللغة العربية مشهورة مع انه لا يمكنه ان يتكلم بالعربى الابغاية
الصعوبة وقد رأيت له فى بعض كتبه توقفات عظيمة وايرادات جليلة ومناقضات
قوية وله اطلاع عظيم على الكتب العلمية المؤلفة فى سائر اللغات وسبب ذلك كله
تمكنه من لغته بالكلية ثم تفرغه بعد ذلك لمعرفة اللغات ومن جملة مؤلفاته الدالة
على فضله كتاب فى النحو سماه التحفة السنية فى علم العربية فانه ذكر فيه علم
النحو على ترتيب عجيب لم يسبق به ابدا وله مجموع سماه المختار من كتب ائمة
التفسير والعربية فى كشف الغطاء عن غوامض الاصطلاحات النحوية واللغوية
فقد جمعه وترجمه من العربية الى الفرنساوية وله غير ذلك من المؤلفات والتراجم
خصوصا فى اللغة الفارسية فانه بارع فيها غاية البراعة وشهرته بالفضل فى بلاد
الافرنج لا تنكر حتى انه قد اتحف بعلامات الشرف من كبار ملوكهم ثم ان الفنون
باللغة الفرنساوية قد بلغت درجة اوجها حتى ان كل علم فيه قاموس مرتب
على حروف المعجم فى الفاظ العلم الاصطلاحية حتى علوم السوقة فانها لها
مدارس كمدرسة الطباخة يعنى مجلس علماء الطباخة وشعرائها وان كان هذا من
انواع الهوس غير انه يدل على اعتناء هذه البلاد بتحقيق سائر الاشياء ولو الدنيئة
وسواء فى ذلك الذكور والاناث فان للنساء تأليف عظيمة ومنهن مترجمات للكتب من
لغة الى اخرى مع حسن العبارات وسبكها وجودتها ومنهن من يتمثل بانشائها
ومراسلاتها المستغربة ومن هنا يظهر لك ان قول بعض ارباب الامثال جمال المرء
عقله وجمال المرأة لسانها لا يليق بتلك البلاد فانه يسأل فيها عن عقل المرأة وقريحتها

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

وفهمها وعن معرفتها ثم العلوم الادبية الفرنساوية لاباس بها ولكن لغتها واشعارها مبنية على عادة جاهلية اليونان وتاليهم ما يستحسنونه فيقولون مثلا اله الجمال واله العشق واله كذا فالفاظهم فى بعض الاحيان كفرية صريحة وان كانوا لا يعتقدون ما يقولون وانما هذا من باب التمثيل ونحوه وبالجملة فكثير من الاشعار الفرنساوية لا بأس بها ولنذكر لك شيأ من بعض اشعارهم مترجمة من كلام بعضهم للعبد الفقير

واذا القلوب تعلقت * رأت الجميع جميلا

كسفينة تسعى الى * شعب يكون مهولا

لهفى على زمن الهنا ان صح كان بخيلا

وقوله مترجما لى

ودع القلب فيك يا قاتلى يا خيال المسعد الزائر

ان روحى بالجراح اصطلت وعلى البرء لست بالقادر

وسرورى فى الهوى لمحة مثل زهر الورق الزاهر

ومن القصيدة المسماة نظم العقود فى كسر العود للخواجه يعقوب المصرى منشأ الفرنساوى استيطانا وقد اعتنيت بترجمتها سنة الف ومائتين واثنين واربعين واخرجتها من ظلمات الكفر الى نور الاسلام قول صاحبها ونظمه للعبد الفقير

زاد بى الحال اذ صفا لى جانى وغناى بالعود والالحان

باسم ربى والسادة الاعيان وترنمت شجوة بالحسان

وبسعدى ذات الجبين المفدى

فصغى سمعها الى انشادى ورمى النار لحظها فى فؤادى

فلهذا شعرى غدا فى انقيادى وبدا من حماسه فى انفراد

لذوى الفهم والمعارف يهدى

احرق العشق قلبها كاحتراقى فاتت تطفىء اللظى بالعناق

فتضاممنا ضمة المشتاق وتلاثمنا عادة العشاق

فتثنت لتخجل الغصن قدا

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

شنف السمع من رقيق التغانى   واسمع يا اخى صوت المثانى
يا خليلى بالله هلا ترانى   انى قد احييت شعر ابن هانى
بعد ان كان قد توسد لحدا

وبعد هذا بعدة ابيات تخلص الشاعر الى ذم العشق وتوابعه فقال

واحيائى وانجلى صارفنى   اننى فى هوى الملاح اغنى
برخيم الغنا كظبى اغن   وباوتارى ابتدى واثنى
ما ارى هذا للفضائل اجدى

افايامى كلها الى عقيمه   اومالى عواقب مستقيمه
بل على طاعة الهوى مستديمه   افاهذه مراق ذميمه
اقتنى هزلها وارفض جدا

اعلى اجتراع كاس نصيب   خامل ليس كافل لاريب
مع انى والله غير مريب   همتى همة الذكى النجيب
تقنص المجد والسوا تتعدى

وقال يذم نفسه ويوبخها على العزم على فراق محبوبته لاسيما وهى تتأذى من فراقه

ويح عز وسودد نشتريه   بنواح الملاح اذ نشتهيه
يا فؤادى سل عند اى فقيه   يغفر الذنب من قتال بتيه
لنوال الفخار علك تهدى

يا فؤادى قد اسلمتك الامور   واباحتك متجر الن يبورا
افترضى على الظبا ان تجورا   لست الفالك اسفا مقهورا
حيث قد دبت قلبها الان قدا

ومن جملة قوله فى مدح افندينا حفظه الله مخاطبا المصر فى هذه القصيدة

بسياسات فيك اضحى كفيلا   بيد دانت من مضى التقبيلا
جددت فى جبينك الاكليلا   نضرت غصنا فيك حاز ذبولا
واعادت فيه الشبيبة ودا

Digitized by Google   Original from PRINCETON UNIVERSITY

وقال فيها مخاطبا لولى النعمة حفظه الله تعالى مشيرا الى واقعة المماليك

فعلاك الخير بعده حسن ذكر مستمر على مدى كل دهر

فاغتنم حفظ مشتهى نيل مصر فلقد شابه دماسيف نصر

وغدا فى جماك ينفق رفدا

وهذه القصيدة كغيرها من الاشعار المترجمة من اللغة الفرنساوية عالية النفس فى اصلها ولكن بالترجمة تذهب بلاغتها فلا تظهر علو نفس صاحبها ومثل ذلك لطائف القصائد العربية فانه لا يمكن ترجمتها الى غالب اللغات الافرنجية من غير ان يذهب حسنها بل ربما صارت باردة وسيأتى تتميم الكلام على غالب الاداب الفرنساوية والعلوم والفنون

الفصل الثالث فى تدبير الدولة الفرنساوية

ولنكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ونستوفى غالب احكامهم ليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن اعتبر فنقول قد سلف لنا ان باريس هى كرسى بلاد الفرنسيس وهى محل اقامة ملك فرانسا واقاربه وعيلته المسماة البربون بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم الباء الثانية فلا يكون ملك فرانسا الا من هذه العيلة ومملكة الفرنساوية متوارثة ومسكن ملك فرانسا سراية تسمى التولرى بضم التاء وكسر الواو وكسر الراء والغالب ان الفرنساوية يعبرون عن ديوان فرانسا بقولهم كابينة التولرى يعنى ديوان هذه السراية اى ديوان الملك ثم ان اصل القوة فى تدبير المملكة لملك فرانسا ثم للجماعة اهل شمبردوبير بفتح الشين وسكون الميم يعنى ديوان البير بفتح الموحدة اى اهل المشورة الاولى ثم لديوان رسل العمالات ثم ان الديوان الاول يعنى ديوان البير هو فى قصر بباريس يسمى قصر لقسمبورغ والديوان الثانى فى قصر بوربون ثم يلى ديوان رسل العمالات ديوان الوزرا والوكلا ثم ديوان يسمى الديوان الخصوصى وبعد ذلك يوجد ديوان يسمى ديوان سر الملك وديوان يسمى ديوان الدولة للمشورة فحينئذ ملك فرانسا صاحب قوة تامة فى مملكته بشرط رضاء تلك الدواوين المذكورة وله خصوصيات اخر سيأتى ذكرها فى السياسة الفرنساوية ووظيفة اهل ديوان البير تجديد قانون مفقود او ابقاء

قانون

قانون موجود على حاله ويسمى القانون عند الفرنساوية شريعة فلذلك يقولون
شريعة الملك الفلانى ومن وظيفة ديوان البيران يعضد حقوق تاج المملكة
ويحامى عنه ويمانع سائر من يتعرض لها وانعقاد هذا الديوان يكون مدة
معلومة من السنة فى زمن اجتماع ديوان رسل العمالات باذن ملك الفرنسيس
وعدد اهل ذلك الديوان غير منحصر فى عدة مخصوصة ولا يقبل دخول الانسان
فيه الا وهو ابن خمسة وعشرين سنة ولا يشرك فى الشورى الا وهو ابن ثلاثين سنة
ما لم يكن من بيت المملكة والا فبمجرد ولادته يحسب من اهل هذا الديوان ويشرك
فى المشورة حين يبلغ عمره خمسة وعشرين سنة وكانت وظيفة البيرية متوارثة
للذكور فيقدم اكبر الاولاد ثم بعد موته يقدم من يليه وهكذا ووظيفة ديوان رسل
العمالات غير متوارثة ووظيفتهم امتحان القوانين والسياسات والاوامر والتدبير
والبحث عن ايراد الدولة ومدخولها ومصرفها والمنازعة فى ذلك والممانعة عن
الرعية فى المكوس والفرد وغيرها ابعادا للظلم والجور وهذا الديوان مؤلف من عدة
رجال ينصبهم اهالى العمالات وعددهم اربعماية وثمانية وعشرون رسولا ولا
يقبلون الا بعد بلوغ كل واحد منهم اربعين سنة ولا بد ان يكون لكل واحد منهم
عقارات تبلغ فردتها الف فرنك كل سنة * واما الوزرا فانهم متعددون فمنهم وزير
الامور الداخلية ثم وزير الحرب ثم وزير الامور الخارجية ثم وزير البحر والخارجين
من بلاد الفرنسيس النازلين ببلاد يعمرونها فى غير بلاد الفرنسيس ثم وزير الخزينة
ثم وزير الامور الدينية ثم وزير تعليم الفنون والصنائع ثم وزير التجارات ووزير الامور
الداخلية نظير الكتخدا بمصر ووزير الخزينة نظير الخازندار ووزير التجارات نظير
ناظر التجارات ووزير الامور الخارجية نظير رئيس افندى بالدولة العثمانية ووزير
الحرب نظير ناظر عموم الجهادية وهكذا غير انه عندنا ليس وزيرا وعندهم يعدونه
من الوزراء * واما الديوان الخصوصى فانه تخصيص الملك لجماعة بمشورته اياهم
على مادة مخصوصة والغالب على اهل هذا الديوان كونهم من اقاربه ووزرائه واما
ديوان سر الملك فانه يتألف من وزراء السر ومن اربعة وزراء اخر لهم وزارة مطلقة
ثم جماعة من ارباب المشورة فى الدولة واما ديوان الدولة فانه يتألف ممن يعينه الملك

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

من قاربه من الوزراء التسعة الكاتمين سر الدولة ثم من وزراء الدولة المطلقين ومن ارباب المشورة ومن جماعة وكلاء على التقارير ومن جماعة يستمعون المشورة ليتعلموا تدبير الدول ومن ذلك يتضح لك ان ملك فرانسا ليس مطلق التصرف وان السياسة الفرنساوية هي قانون مقيد بحيث ان الحاكم هو الملك بشرط ان يعمل بما هو مذكور في القوانين التي يرضى بها اهل الدواوين وان ديوان البير يمانع عن الملك وديوان رسل العمالات يحامي عن الرعية والقانون الذي يمشي عليه الفرنساوية الان ويتخذونه اساسا لسياستهم هو القانون الذي الفه لهم ملكهم المسمى لويز الثامن عشر بضم اللام وكسر الواو ولازال متبعا عندهم ومرضيا لهم وفيه امور لا ينكر ذووا العقول انها من باب العدل * والكتاب المذكور الذي فيه هذا القانون يسمى الشرطة ومعناها في اللغة اللاطينية ورقة ثم تسومح فيها فاطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة فلنذكره لك وان كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بان العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما ابدا والعدل اساس العمران ولنذكر هنا نبذة مما قاله فيه العلما والحكما او في ضده من كلام بعضهم ظلم اليتامى والايامى مفتاح الفقر * والحلم حجاب الافات * وقلوب الرعية خزائن ملكها فما اودعه اياها وجده فيها * وقال اخر لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل * وقيل فيما يقرب من هذا المعنى سلطان الملوك على اجسام الرعايا لا على قلوبهم * وقال بعضهم * ابلغ الاشياء في تدبير المملكة تسديدها بالعدل وحفظها من الخلل وقيل اذا اردت ان تطاع فاطلب ما يستطاع ان المولى اذا كاف عبده ما لا يطيقه فقد اقام عذره في مخالفته * وقال بعضهم شعرا يفيد ان النصر يتوقف على العدل

تروم ولاة الجور نصرا على العدا * وهيهات يلقى النصر غير مصيب
وكيف يروم النصر من كان خلفه * سهام دعاء من قسي قلوب

وقال آخر

وقال اخر

لا يفلح المغتال والظلوم * والبغى مرعى نبته وخيم

فمضجع الظالم بئس المضجع   ومصرع الباغى فبئس المصرع

ان القصاص واقع بالمثل   والدهر يجزى بيسير الفعل

وفى هذا القانون عدة مقاصد المقصد الاول الحق العام للفرنساوية) الثانى كيفية تدبير المملكة * الثالث فى منصب ديوان البير * الرابع فى منصب ديوان رسل العمالات الذين هم امناء الرعايا ونوابهم) الخامس فى منصب الوزراء) السادس فى طبقات القضاة وحكمهم * السابع فى حقوق الرعية قال صاحب الشرطه المذكورة

الكلام على حق الفرنساوية المنصوب لهم

المادة الاولى سائر الفرنساوية مستوون قدام الشريعة) المادة الثانية يعطون من اموالهم بغير اختيار شيأ معينا لبيت المال كل انسان على حسب ثروته * المادة الثالثة كل واحد منهم متأهل لاخذ اى منصب كان واى رتبة كانت المادة الرابعة ذات كل واحد منهم يستقل بها ويضمن له حريتها فلا يتعرض له انسان الا ببعض حقوق مذكورة فى الشريعة وبالصورة المعينة التى يطلبه بها الحاكم) المادة الخامسة كل انسان موجود فى بلاد الفرنسيس يتبع دينه كما يحب لا يشاركه احد فى ذلك بل يعان على ذلك ويمنع من يتعرض له فى عبادته * المادة السادسة يشترط ان تكون الدولة على الملة القاثوليقية الحوارية الرومانية) المادة السابعة تعمير كنايس القاثوليقية وغيرهم من النصرانية يدفع لها شئ من بيت مال النصرانية ولا يخرج منه شئ لتعمير معابد غير هذا الدين المادة الثامنة لا يمنع انسان فى فرانسا ان يظهر رأيه وان يكتبه ويطبعه بشرط ان لا يضر ما فى القانون فاذا اضر ازيل) المادة التاسعة سائر الاملاك والاراضى حرم فلا يتعدى احد على ملك اخر) المادة العاشرة للدولة دون غيرها ان تكره انسانا على شراء عقاره لسبب عام النفع بشرط ان تدفع ثمن المثل قبل الاستيلا) المادة الحادية عشر جميع ما مضى قبل هذا القانون من الاراء والفتن يجب نسيانه وكذلك ما وقع

من المحكمة واهل البلد) المادة الثانية عشر اخذ العساكر قد يرتب وينقص عما كان عليه وقد يعين بقانون معلوم وضع عساكر فى البر والبحر

كيفية تدبير المملكة الفرنساوية

المادة الثالثة عشر ذات الملك محترمة ووزراؤه هم الكفلاء فى كل ما يقع يعنى هم الذين يطالبون ويحكم عليهم ولا يمكن ان يمضى حكم الا اذا انفذه امر الملك المادة الرابعة عشر الملك هو اعظم اهل الدولة فهو الذى يأمر وينهى فى عساكر البر والبحر وهو الذى يعقد الحرب والصلح والمعاهدة والتجارة بين ملته وغيرها وهو الذى يولى المناصب الاصلية ويجدد بعض قوانين وسياسات ويأمر بما يلزم ويمضيه اذا كان فيه منفعة للدولة) المادة الخامسة عشر تدبير امور المعاملات بفعل الملك وديوان البير وديوان رسل العمالات) المادة السادسة عشر يقرر الملك وحده جزاء القوانين ويأمر باعلانها واظهارها) المادة السابعة عشر يبعث القانون بأمر الملك الى ديوان البير اولا ثم الى ديوان رسل العمالات الا قانون الجبايات والفردة فانه يبعث اولا الى ديوان رسل العمالات) المادة الثامنة عشر تنفذ الدولة القانون اذا رضى به جمهور كل من الديوانين) المادة التاسعة عشر لاحد الديوانين ان يلتمس من الملك اظهار قانون فى امر كذا وان يبين له فائدة وضع ذلك القانون) المادة العشرون يصنع هذا القانون بأحد الديوانين فى مجلس سرى وما صنعه احد الديوانين واستقر رأيه عليه يبعثه للديوان الاخر بعد التفكر عشرة ايام * المادة الحادية والعشرون اذا رضى الديوان الاخر بالقانون فانه يسوغ عرضه على الملك فاذا طرحه الديوان الاخر لا يمكن عرضه له اى لذلك الديوان مدة اجتماعه فى هذه السنة * الثانية والعشرون الملك وحده هو الذى يأذن بالقانون ويظهر للرعية * الثالثة والعشرون ماهية الملك محدودة له مدة مملكته على كيفية واحدة لا تزيد ولا تنقص عن القدر المعين له عند توليه من مجلس ديوان البسير يعنى ديوان المشورة الاولى * الرابعة والعشرون ديوان البير هو جزء ذاتى لتشريع القوانين التدبيرية * الخامسة والعشرون يجتمع هذا الديوان ويفتح مدة اشهر بأمر الملك فى زمن واحد مع انفتاح ديوان رسل العمالات فيفتحان معا

فى يوم واحد ويغلقان كذلك) السادسة والعشرون لو اجتمع ديوان البير قبل انفتاح ديوان رسل العمالات او قبل اذن ملك فرانسا كان سائر الترتيب الصادر من هذا المجلس مدة الاجتماع ممنوع الامضا وملغيا السابعة والعشرون تسمية الشخص بير فرانسا هو حق الملك وعدد اهل ديوان البير غير محدود وللملك ان يلقب البير بأى لقب كان وله ان يجعل ذلك اللقب له مدة حياته وان يجعله متوارثا للذرية) الثامنة والعشرون يمكن ان يدخل البير فى الديوان وهو ابن خمسة وعشرين سنة ولا يبدى رأيه فى المشورة الا بعد بلوغه فى السن ثلاثين سنة) التاسعة والعشرون رئيس ديوان البير هو قاضى قضاة فرانسا مهردار ملكها اى وزير خاتم ملكها فان اعتذر خلفه من اهل الديوان من يعينه الملك لذلك) الثلاثون اقارب الملك وذراريه يكون لهم الدخول فى مرتبة البيريه بمجرد ولادتهم ويجلس كل منهم بعد رئيس ذلك الديوان ولا يكون لهم كلمة ورأى فى المجلس الا بعد بلوغهم فى السن خمسة وعشرين سنة) الحادية والثلاثون لا يمكن لاحد من اهل مجلس البير ان يدخل فى ذلك الديوان عند انفتاحه الا باذن من الملك بأن يبعث رسولا فان فعلوا ذلك كان ما فعل بحضرتهم لاغيا الثانية والثلاثون كل اراء ديوان البير يجب كتمها عن غيرهم الثالثة والثلاثون * ديوان الملك هو الذى يستقل بالقضا على الخيانة فى الدولة ونحوها من كل ما يضر الدولة مما هو مقرر فى القوانين) الرابعة والثلاثون لا يمكن ان يقبض احد على واحد من اهل ديوان البير الا بأمر ذلك الديوان ولا يمكن ان يحكم عليه غيرهم فى مواد الجنايات

ديوان رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية

الخامسة والثلاثون ديوان رسل العمالات مؤلف من جملة رسل ينتخبهم المنتخبون بكسر الخاء الذين يقال لهم اللكتور بكسر اللام المشددة وسكون الكاف وترتيبها مصنوع بقوانين مخصوصة * السادسة والثلاثون * كل العمالات تبقى على ما هى عليه قبل هذه الشرطة من عدد ما لها من الرسل * السابعة والثلاثون * من الان فصاعدا تختار الرسل لتمكث سبع سنوات لا خمسة كما كانت * الثامنة والثلاثون * لا يصلح الانسان للدخول فى ديوان الرسل الا اذا بلغ اربعين سنة وكان له املاك

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

يدفع عليها الف فرنك فردة (التاسعة والثلاثون) لابد ان يجمع فى كل عمالة خمسون
الف نفس موجود فيهم شرطا السن والملك المذكوران ليختار الرسل منها
فان لم يكمل ممن يدفعون الف فرنك خمسون وجب تكميلها مما الهم املاك
يدفعون عليها دون الف فرنك ثم اختيار رسل من جملة الخمسين * الاربعون *
شرط الالكتوراى المنتخب للرسل ان لايسمع الا اذا كان له ملك يدفع
فردته ثلثماية فرنك وان يكون قد بلغ من العمر ثلاثين سنة * الحادية والاربعون *
رؤساء مجلس المنتخبين ينصبهم الملك فيدخلون فى اهل هذا المجلس * الثانية
والاربعون * يجب ان يكون نصف رسل العمالات فصاعدا مستوطنا عادة
فى تلك العمالة * الثالثة والاربعون * رئيس ديوان رسل العمالات ينصبه
الملك ويختاره من خمسة رسل يعرضهم ذلك الديوان) الرابعة والاربعون مجالس
هذا الديوان تكون جهرية الا اذا اراد خمسة من رسل العمالات كتم شئ
فانه يجوز اخراج الناس الاجانب من الديوان * الخامسة والاربعون * الديوان
ينقسم الى دواوين صغيرة تسمى البورو يعنى مكاتب فاهل هذه البورو تمتحن
الاشياء التى تنوبها الملك ويبعثها لها * السادسة والاربعون لايقع تصليح شئ
فى اداب سياسات فرانسا ولا يمضى الا اذا رضى به الملك وبحث فيه فى تلك الدواوين
الصغيرة السابعة والاربعون ديوان رسل العمالات يتلقا تقارير طلب الفرد والمكوس
ولا تصل الى ديوان البير الا اذا رضى بها ذلك الديوان * الثامنة والاربعون لايمكن
ان ينفذ امر الملك فى الفرد الا اذا رضى به الديوانان واقراه الملك) التاسعة والاربعون
فردة العقار لا تقطع الا سنة فسنة ويمكن قطع غيرها الاجل معلوم * الخمسون على
الملك ان يأمر بفتح الديوانين كل سنة ولكن متى اراد وله ان يبطل ديوان رسل
العمالات بشرط ان يصنع ديوان رسل جديد وان لا يزيد فى تجديد الاخر عن ثلاثة
اشهر * الحادية والخمسون لايمكن ان يقبض احد على انسان من اهل مجلس رسل
العمالات مدة فتح الديوان وشهرا ونصفا قبل فتحه وشهرا ونصفا بعده) الثانية
والخمسون لايمكن ان يتبع احد من اعضاء الديوان بسبب مادة من مواد العقوبات
مادام الديوان مفتوحا ومادام اجتماع الديوان الا اذا اخذ على فعله فى وقته او اذن

الديوان

الديوان بأخذه) الثالثة والخمسون عرض الحال الذى يعرض على احد الديوانين لا يقبل الا اذا كان مكتوبا واداب السياسة الفرنساوية لا تجوز ان يقدم الانسان تقريرا بنفسه فى المجلس

الوزراء

المادة الرابعة والخمسون * يجوز ان يكون الوزير من اهل كل من الديوانين وله زيادة على ذلك حق الحضور فى احدهما ومتى طلب ان يتكلم فى الديوان وجب ان يصغى الى كلامه * الخامسة والخمسون * يسوغ لديوان رسل العمالات ان يتهم الوزراء فتسمع دعواه فى ديوان البير ليحكم بينهم ذلك الديوان فيفصل خصومتهم السادسة والخمسون * لا يتهم الوزير الا بخيانة فى التدبير بالرشوة او باختلاس الاموال فيحكم عليه على حسب ما هو مسطر فى القوانين المخصوصة

طائفة القضاة

المادة السابعة والخمسون * الحكم حق الملك يعتبر كانه صادر منه فيحكم القضاة المنصوبون من الملك الذين لهم ماهية من بيت المال ويثبتون الحكم باسم الملك الثامنة والخمسون * اذا ولى الملك قاضيا وجب ابقاؤه ولا يجوز عزله) التاسعة والخمسون * القضاة المنصوبون وقت هذه الشرطة لا يمكن عزلهم ولو تجدد قانون اخر * الستون اقامة قضاة المعاملات لا يمكن ابطالها ابدا) الحادية والستون اقامة قضاة للمصالحة تبقى ايضا ولكن قاضى المصالحة يجوز عزله وان كان منصبه يأتى له من الملك) الثانية والستون لا شئ يخرج عن حكم هولاء القضاة) الثالثة والستون لا يسوغ بسبب ما تقدم تجديد محاكم او مجالس زائدة الا يجمع قضاة النقبا يقال لهم بريوتال اذا احتاج الامر الى ذلك الرابعة والستون اقامة الدعوى والتشاجر بين الخصوم قدام الحاكم الشرعى تكون على رؤس الاشهاد فى مواد العقوبات الا اذا كان الذنب مضر الشهارة بين العامة او مخلا بالحياء فان اهل المحكمة يخبرون الناس بأن هذا الامر يقع سرا * الخامسة والستون * اقامة الجماعة المحكمين المسماة جورية الجنايات لا تبطل ابدا واذا لزم تغيير بعض شئ فى مواد القضا لا يمكن الا اذا كان بقانون من الديوانين) السادسة والستون قانون

معاقبة الانسان بالاستيلاء على ماتملكه يده قد ابطل بالكلية ولا يمكن تجديده ابدا) السابعة والستون * للملك ان يعفو عن الانسان وان يخفف موادالعقوبات * الثامنة والستون كتب قوانين السياسات التى عليها العمل الغير المناقضة لما فى هذه الشرطة لا ينسخ حكم مافيها الا اذا تغير بقانون آخر *

حقوق الناس التى يضمنها الديوان

المادة التاسعة والستون كل اهل العسكرية سوى اصحاب خدمة دائمة او متروكين لوقت الحاجة وكل النساء المتوفى عنهن ازواجهن وهم فى العسكرية يبقى لهم مدة حياتهم وظيفتهم ودرجتهم وخرجهم) السبعون ديون الرعية التى فى ذمة الديوان هى مضمونة على حسب اصطلاح الدولة مع ارباب الديون) المادة الحادية والسبعون لم يفضل لاهل الشرف القديم من درجات الشرف الا الاسم فقط وكذلك لارباب الشرف الجديد ثم لملك فرانسا ان يعطى درجة الشرف الفرنساوى لاى انسان شاء ولكن ليس له ان يخص من يعطيه ذلك برفع الفرد ونحوها عنه فليس للشرف مزية غير التسمية * الثانية والسبعون من له علامة التمييز المسماة درجة الشوالية يعنى الفارس فى فنه فان له ان يحفظها على الصورة التى يعينها ملك فرانسا لهذه الدرجة * الثالثة والسبعون * القبائل والنزلات الخارجة من فرانسا لتعمير بلاد اخرى وللاستيطان بها تكون مدبرة بقوانين وسياسات اخرى الرابعة والسبعون * لكل ملك من ملوك فرانسا ان يحلف عند تولية المملكة الفرنساوية ان لا يحيد عن هذه الشرطة ثم ان هذه الشرطة قد جعل فيها تغيير وتبديل من منذ الفتنة الاخيرة الحاصلة سنة احدى وثلاثين وثمانماية والف بتاريخ الميلاد فراجعها فى باب قيامة الفرنساوية وطلبهم للحرية والمساواة انتهى فاذا تأملت رأيت اغلب ما فى هذه الشرطة نفيسا وعلى كل حال فامره نافذ عند الفرنساوية ولنذكر هنا بعض ملاحظات فنقول * قوله فى المادة الاولى سائر الفرنسيس مستوون قدام الشريعة معناه سائر من يوجد فى بلاد فرانسا من رفيع ووضيع لا يختلفون فى اجراء الاحكام المذكورة فى القانون حتى ان الدعوة الشرعية تقام على الملك وينفذ عليه الحكم كغيره فانظر الى هذه المادة الاولى

فانها

فانها الها تسلط عظيم على اقامة العدل واسعاف المظلوم وارضاء خاطر الفقير بانه العظيم نظرا الى اجراء الاحكام ولقد كادت هذه القضيتان تكون من جوامع الكلم عند الفرنساوية وهى من الادلة الواضحة على وصول العدل عندهم الى درجة عالية وتقدمهم فى الاداب الحضرية ومايسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين مايطلق عليه عندنا العدل والانصاف وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو اقامة التساوى فى الاحكام والقوانين بحيث لايجور الحاكم على انسان بل القوانين هى المحكمة والمعتبرة فهذه البلاد حرية بقول الشاعر

وقد ملأ العدل اقطارها * وفيها توالى الصفا والوفا

وبالجملة اذا وجد العدل فى قطر من الاقطار فهو نسبى اضافى لاعدل كلى حقيقى فانه لاوجود له الان فى بلدة من البلدان فانه كالايمان الكامل والحلال الصرف وامثال ذلك ونظائره فلا معنى لحصر المستحيل فى الغول والعنقا والخل الوفى كما هو مذكور فى قوله

لما رأيت بنى الزمان ومابهم * خل وفى للشدائد اصطفى
ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

مع ان ذلك ممنوع فى العنقاء فانها نوع من الطيور موجود الافراد يذكره ارباب علم الحشايش وذكر الثعلبى فى قصص الانبيا قضية العنقا مع سيدنا سليمان فى تكذيبها بالقدر نعم لاوجود للعنقا بالمعنى المشهور عند العامة من العرب والافرنج من انها من اعلاها عقاب ومن اسفلها اسد وعلى كل حال فلها فى الجملة وجود * واما المادة الثانية فانها محض سياسة ويمكن ان يقال ان الفرد ونحوها لو كانت مرتبة فى بلاد الاسلام كما هى فى تلك البلاد لطابت النفس خصوصا اذا كانت الزكوات والفىء والغنيمة لاتفى بحاجة بيت المال او كانت ممنوعة بالكلية وربما كان لها اصل فى الشريعة على بعض اقوال مذهب الامام الاعظم * ومن الحكم المقررة عند قدماء الحكماء الخراج عمود الملك ومدة اقامتى بباريس لم اسمع احدا يشكو من المكوس والفرد والجبايات ابدا ولا يتأثرون بحيث انها تؤخذ بكيفية لاتضر المعطى وتنفع بيت مالهم خصوصا واصحاب الاموال فى امان من الظلم والرشوة * واما

المادة الثالثة فلا ضرر فيها ابدا بل من مزاياها انها تحمل كل انسان على تعهد تعلمه حتى يقرب من منصب اعلى من منصبه وبهذا كثرت معارفهم ولم يقف تمدنهم على حالة واحدة مثل اهل الصين والهند ممن يعتبر توارث الصنائع والحرف ويبقى للشخص دائما حرفة ابيه وقد ذكر بعض المؤرخين ان مصر فى سالف الزمان كانت على هذا المنوال فان شريعة قدماء القبطة كانت تعين لكل انسان صنعته ثم يجعلونها متوارثة عنه لاولاده قيل سبب ذلك ان جميع الصنائع والحرف كانت عندهم شريفة فكانت هذه العادة من مقتضيات الاحوال لانها تعين كثيرا على بلوغ درجة الكمال فى الصنائع لان الابن يحسن عادة ما رأى اباه يفعله عدة مرات بحضرته ولا يكون له طمع فى غيره فهذه العادة كانت تقطع عرق الطمع وتجعل كل انسان راضيا صنعته لا يتمنى اعلى منها بل لا يبحث الا عن اختراع امور جديدة نافعة لحرفته توصل الى كمالها انتهى ويرد عليه انه ليس فى كل انسان قابلية لتعلم صنعة ابيه فقصره عليها ربما جعل الصغير خائبا فى هذه الصنعة والحال انه لو اشتغل بغيرها لنجح حاله وبلغ اماله * واما المادة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فانها نافعة لاهل البلاد والغربا فلذلك كثر اهل هذه البلاد وعمرت بكثير من الغربا * واما المادة الثامنة فانها تقوى كل انسان على ان يظهر رأيه وعلمه وسائر ما يخطر بباله مما لا يضر غيره فيعلم الانسان سائر ما فى نفس صاحبه خصوصا الورقات اليومية المسماة بالجرنالات والكازيطات الاولى جمع جرنال والثانية جمع كازيطة فان الانسان يعرف منها سائر الاخبار المتجددة سواء كانت داخلية او خارجية اى داخل المملكة او خارجها وان كان قد يوجد فيها من الكذب ما لا يحصى الا انها قد تتضمن اخبارا تتشوف نفس الانسان الى العلم بها على انها ربما تضمنت مسائل علمية جديدة التحقيق او تنبيهات مفيدة او نصايح نافعة سواء كانت صادرة من الجليل او الحقير لانه قد يخطر ببال الحقير ما لا يخطر ببال العظيم كما قال بعضهم لا تحتقر الرأى الجليل يأتيك به الرجل الحقير فان الدرة لا تستهان لهوان غواصها

وقال الشاعر

لما سمعت به سمعت بواحد ورأيته فاذا هو الثقلان

فوجدت كل الصيد فى جوف الفرا ولقيت كل الناس فى انسان

ومن فوائدها ان الانسان اذا فعل فعلا عظيما او رديئا وكان من الامور المهمة كتبه اهل الجرنال ليكون معلوما للخاص والعام لترغيب صاحب العمل الطيب ويرتدع صاحب الفعلة الخبيثه وكذلك اذا كان الانسان مظلوما من انسان كتب مظلمته فى هذه الورقات فيطلع عليها الخاص والعام فيعرف قصة المظلوم والظالم من غير عدول عما وقع فيها ولا تبديل وتصل الى محل الحكم ويحكم فيها بحسب القوانين المقررة فيكون مثل هذا الامر عبرة لمن يعتبر واما المادة التاسعة فانها عين العدل والانصاف وهى واجبة لضبط جور الاقوياء على الضعاف وتعقيبها بما فى العاشرة من باب اللياقة الظاهرة * وفى المادة الخامسة عشر نكتة لطيفة وهى ان تدبير امر المعاملات لثلاثة مراتب المرتبة الاولى الملك مع وزرائه والثانية مرتبة البيرية الحامية للملك والثالثة مرتبة رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية والمحامون عنهم حتى لا تظلم من احد وحيثما كانت رسل العمالات قائمة مقام الرعية ومتكلمة على لسانها كانت الرعية كانها حاكمة نفسها وعلى كل حال فهى مانعة للظلم عن نفسها بنفسها او هى آمنة منه بالكلية ولا يخفى عليك حكمة باقى المواد

خلاصة حقوق الفرنساوية الان بعد سنة ١٨٣١ وتصليح الشرطة

حقوق الفرنساوية الواجبة لهم والواجبة عليهم

مضمون الشرطة بعد التغيير

الفرنساوية مستوون فى الاحكام على اختلافهم فى العظم والمنصب والشرف والغنا فان هذه مزايا لا نفع لها الا فى الاجتماع الانسانى والتحضر فقط لا فى الشريعة فلذلك كان جميعهم يقبل فى المناصب العسكرية والبلدية كما انه يعين الدولة من ماله على قدر حاله وقد ضمنت الشريعة لكل انسان التمتع بحريته الشخصية حتى لا يمكن القبض على انسان الا فى الصور المذكورة فى كتب الاحكام ومن قبض على انسان فى صورة غير منصوصة فى الاحكام يعاقب عقوبة شديدة

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

ومن الاشياء التي ترتبت على الحرية عند الفرنساوية ان كل انسان يتبع دينه الذى يختاره يكون تحت حماية الدولة ويعاقب من تعرض لعابد فى عبادته ولا يجوز وقف شئ على الكنائس او اهداء شئ لها الا باذن صريح من الدولة وكل فرنساوى له ان يبدى رأيه فى مادة السياسات او فى مادة الاديان بشرط ان لا يخل بالانتظام المذكور فى كتب الاحكام * كل الاملاك على الاطلاق حرم لا تهتك فلا يكره انسان ابدا على اعطاء ملكه الا لمصلحة عامة بشرط اخذه قبل التخلية قيمته والمحكمة هى التى تحكم بذلك * كل انسان عليه ان يعين فى حفظ المملكة العسكرية بشخصه بمعنى انه كل سنة يجمع اولاد احدى وعشرين سنة لتضرب القرعة لاخذ العساكر السنوية منهم ومدة خدمة العسكرية ثمان سنوات وكل فرنساوى عمره ثمانية عشر سنة وله حقوقه البلدية فانه يمكنه ان يتطوع ويدخل العسكرية ويعافى من العسكرية عدة اناس * الاول من طوله دون متر وخمسة وسبعون سنتمتر يعنى اربعة اقدام وعشرة برامق * الثانى اصحاب العلل * الثالث الابن اكبر الاخوات الايتام من ابيهم وامهم * الرابع الابن البكرى او المنفرد او ابن الابن الاكبر او المنفرد عند فقده اذا كانت الام او الجدة لا زوج لها او كان ابوه اعمى او سنه سبعين سنة * الخامس البكرى احد الاخوين الذين وقعا فى قرعة لمة واحدة * السادس الاخ الذى اخوه فاضل تحت البيرق او مات فى الخدمة او جرح بجرح فى الحرب * ولو اراد انسان ان ينوب عنه غيره فان المنوب عنه يضمن النائب سنة من خوف الهرب الا اذا كان الهارب قبض عليه فى السنة او مات تحت بيرق الفرنساوية وفى احد وعشرين فى شهر دقمبر من كل سنة كل العساكر التى تمت خدمتهم يأذن لهم بالعود الى محالهم ولما كان لا يمكن لكل انسان ان يدخل بنفسه فى عمل الدولة وكلت الرعية بتمامها عنها فى ذلك اربعمائة وثلاثين وكيلا تبعثها الى باريس فى المشورة وهؤلاء الوكلاء تختارهم الرعية وتوكلهم بان يمانعوا عن حقها ويصنعوا ما فيه مصلحة لها وذلك ان كل فرنساوى مستكمل للشروط التى منها ان يكون عمره خمسة وعشرين سنة له ان يكون ممن له مدخل فى انتخاب رسل عمالاته * وكل فرنساوى له ان يكون

رسولا

رسولا اذا كان عمره ثلاثين سنة ويكون موصوفا بالشروط المذكورة في كتاب الاحكام * وفي كل مأمورية مجمع اختبار وانتخاب ومجامع انتخاب للاقاليم الصغيرة ومجامع المأموريات الكبيرة مؤلفة من المنتخبين الكبار وتعين ١٧٢ رسولا ومجامع انتخاب الاقاليم الصغيرة تعين ٢٥٨ رسولا ودفاتر ارباب الانتخاب تطبع وتكتب في الطرق شهرا قبل فتح مجامع الانتخاب حتى انه يمكن لكل انسان ان يكتب اعلاما به وكل منتخب بكسر الخاء يكتب رأيه سرا في ورقة ويعطيها للرئيس مطوية والرئيس يضعها في اناء القرعة وديوان رسل العمالات يتجدد اهله بالكلية كل خمس سنوات ولا يمكن اخذ الفرد الا بخلاصة من مشورة الديوانين مقررة من طرف الملك يمكن لاهل البلدان ان يراسلوا اهل الديوانين بطرق العرضحال ليشتكوا من شئ او يعرضوا شيأ نافعا * القضاة لا ينعزلون فلا يحكم على انسان الا بقضاة محل استيطانه * والدعاوى تقام جهرا وذنوب الجنايات لا يحكم فيها الا بحضرة جماعة يسمون الجورين والعقوبة بالقبض على الاموال بطلت) للملك ان يعفو عن المعاقب بالموت وان يخفف العقاب الشديد * على الملك وورثته ان يحلفوا عند ارتقاء الكرسي بان يعملوا بما في كتاب قوانين المملكة * ثم انه يطول علينا ذكر الاحكام الشرعية والقانونية المنصوبة عند الفرنساوية فلنقل ان احكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية انما هي ماخوذة من قوانين اخر غالبها سياسية وهي مختلفة بالكلية عن الشرائع وليست قارة الفروع ويقال لها الحقوق الفرنساوية اي حقوق الفرنساوية بعضهم على بعض وذلك لان الحقوق عند الافرنج مختلفة ثم ان بباريس عدة محاكم وفي كل محكمة قاض كبير كانه قاضي القضاة وحوله رؤساء وارباب مشورة ووكلاء الخصوم ومحامون للخصوم ونواب عن المحامين وموقع الوقائع

الفصل الرابع في عادة سكنى اهل باريس وما يتبع ذلك

من المعلوم ان البلدة او المدينة تبلغ من الحضارة على قدر معرفتها وبعدها عن حالة الخشونة والتوحش والبلاد الافرنجية مشحونة بانواع المعارف والاداب

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

التى لا ينكر انسان انها تجلب الانس وتزين العمران وقد تقرر ان الملة الفرنساوية ممتازة بين الامم الافرنجية بكثرة تعلقها بالفنون والمعارف فهى اعظم ادبا وعمرانا والبنادر اولى فى العمارات عادة من القرى ومن الضياع والمدن العظمى اولى من سائر البنادر وتخت المملكة اولى من سائر ما عداها من مدن تلك المملكة فحينئذ لا عجب ان قيل ان باريس التى هى قاعدة ملك الفرنسيس من اعظم بلاد الافرنج بناء وعمارة وان كانت عماراتها غير جيدة المادة فهى جيدة الهندسة والصناعة على انه ربما يقال ايضا ان مادتها جيدة الا انها ناقصة لقلة كثرة حجر الرخام فيها وبخلوها عن بعض اشياء اخر وكيف لا واساس حيطانها من الحجارة النحاتة وكذلك الحيطان الخارجية واما الداخلية فانها تتخذ من الخشب الجيد فى الغالب واما عواميدها فهى غالبا من النحاسة فقل ان كانت من الرخام كما ان تبليط الارض يتخذ من حجر البلاط وقد يكون من الرخام الاسود مع البلاط وذلك ان الطرق دائما مبلطة دائما بحجر البلاط المربع والحيشان مبلطة بالبلاط المذكور والقيعان بالآجر او بالخشب او بالمرمر الاسود مع البلاط المشغول وجودة الآجر او الخشب تختلف باختلاف يسار الانسان ثم ان حيطان الغرفات والارض من خشب كما تقدم وهم يطلونه بالطلاء ثم يسترون الحيطان بورق منقوش نقشا نظيفا فهو احسن من عادة تبييض الحيطان بالجير فان الورق لا يعود منه شئ على من مس الجدار بخلاف الجير بل وهو اهون مصرفا واعظم منظرا واسهل فعلا خصوصا فى اوضاتهم المزينة بانواع من الامتعة التى لا يمكن الافصاح عنها غاية ما يقال ان الفرنساوية يحاولون اضعاف نور الاوض بوضع الستائر الملونة خصوصا الخضر او ارض اوضهم مبلطة بخشب او بنوع من القرميد الاحمر ويحكون ارض الاوضة كل يوم بالشمع الاصفر المسمى عندهم شمع الحك وعندهم حكاكون بالاجرة معدون لذلك بالخصوص وتحت اسرتهم المكسوة بالمخيشات وبالمشجرات وغيرها سجادات عظيمة يطؤنها بالنعل وفى كل اوضة مدخنة للنار وهى على شكل صفة القلل مرخمة بجيد الرخام وفوقها ساعة بشخشخة وحول الساعة من الجهتين آنية من تقليد الرخام الابيض او من البلور فيهما ازهار

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

اوتقليد ازهار وخول هذا من الجهتين من القناديل الافرنجية الدولابية التى
لايدرك صورتها حقيقة الامن رآها موقودة وفى غالب اوضهم آلة الموسيقا المسماة
البيان بكسر الباء وضم النون فاذا كانت الاوضة اوضة شغل وقرأة ففيها طاولة
مشتملة على الات الكتابة وغيرها مثل سكاكين قطع الورق المصنوعة من العاج
او البقس او غيرهما واغلب الاوض مشحون بالصور خصوصا صور الاقارب
وفى اوضة الشغل ايضا قد توجد صور عجيبة واشياء من غرائب ما كان عند القدما
على اختلافهم وربما رأيت على طوالة الشغل اوراق الوقائع على اختلاف
اجناسها وربما رأيت ايضا فى اوض الاكابر النجفات العظيمة التى توقد بشموع
العسل وربما رأيت ايضا فى اوضهم فى يوم تلقى الناس طوالة وعليها جميع الكتب
المستجدة والوقائع وغيرهما التسلية من اراد من الضيوف ان يسرح ناظره ويتنزه
خاطره فى قرأة هذه الاشياء وهذا يدل على كثرة اهتمام الفرنساوية بقرأة الكتب
فهى انسهم ومن التوقيعات اللطيفة الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا
ومن لك بروضة تقلب فى حجر وبستان يحمل فى كم وما احسن قول بعضهم شعرا

دفترى مونسى وفكرى سميرى ويدى خادمى وحلمى ضجيعى
ولسانى سيفى وبطشى قريضى ودوانى عيشى ودرجى ربيعى

وقال

لنا جلساء ما نمل حديثهم الباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيد وننا من علمهم علم ماضى وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
فان قلت اموات فانت كاذب وان قلت احياء فلست مفندا

ومن كلام بعضهم *نعم المحدث الدفتر* ومن كلام بعض الظرفا *ما رأيت باكيا
احسن تبسما من القلم ثم ان جميع هذه التحف يكمل الانس بها بحضور سيدة
البيت اى زوجة صاحبه التى تحيى الضيوف اصالة وزوجها يحييهم بالتبعية فاين
هذه الاوض بما احتوت عليه من اللطائف من اوضنا التى يحيي فيها الانسان باعطا
شبق الدخان من يد خادم فى الغالب اسود اللون واما السقوف فانها من الخشب
النفيس ثم ان البيت فى العادة مصنوع من اربع طبقات بعضها فوق بعض ما عدا

البنا الارضى فلا يحسب دورا وقد يصل الى سبعة ادوار وغيرها تحت الارض
من المخادع التى تستعمل ايضا لربط الخيل او المطبخ او ذخائر البيت وخصوصا
النبيذ والخشب للوقود ثم ان البيت عندهم كما فى بيوت القاهرة مشتمل على عدة
مساكن مستقلة ففى كل دور من ادوار البيت جملة مساكن وكل مسكن مستنافذ
الاوضات وقد جرت عادتهم بتقسيم البيوت الى ثلاثة مراتب المرتبة الاولى
بيت عادى والثانية بيت لاحد من الكبار والثالثة بيوت الملك واقاربه
ودواوين المشورة ونحوها فالاول يسمى بيتا والثانى يسمى دارا والثالث يسمى
قصرا وسرايه ويمكن ايضا تقسيم البيوت من حيثية اخرى الى ثلاثة مراتب
ايضا المرتبة الاولى البيوت التى لها حاجب ولها باب كبير يسع دخول العربة
منه والثانية البيوت التى داخلها دهاليز ولها بواب ولا يمكن ان تدخل العربة من
بابها والثالثة البيوت التى لا بواب لها اى لا مكان للبواب فيها يسكن فيه ووظيفة
البواب فى باريس ان ينتظر الساكن الى نصف الليل فاذا اراد الساكن ان يسهر
فى المدينة زيادة عن نصف الليل فعليه ان ينبه البواب لينتظره ولكن لابد ان
يعطيه بعض شئ وليس على الحارات بواب اصلا وليس لها ابواب كما فى مصر ثم ان
العقارات بباريس غالية الثمن والكرا حتى ان الدار العظيمة قد يبلغ ثمنها مليون
فرنك يعنى نحو ثلاثة ملايين قروش مصرية ثم ان كرا المساكن فى باريس قد يكون
لمجرد المسكن وقد يستأجرها الانسان بفراشها العظيم وجميع اثاثها والاتها
وآلات البيت عند الفرنسيس هى آلات الطباخة والماكل باجمعها بطقمها
المشتمل على الفضيات ونحوها والة الفراش للنوم وهو فى الغالب عدة طراحات
احداها من الريش وملايه فرشه تتغير كل شهر وحرامات الغطا ثم الات التجمل
وتلقى الزوار وهى الكراسى المكسوة بالحرير المشغول ونحوه والسدلات المكسوة
كذلك والكراسى العادية والالات العظيمة المنظر كالساعات الكبيرة المسماة
عندهم بندول وكاوانى الازهار العظيمة وغيرها من اوانى القهوة المموهة
بالذهب وكالنجفة المعلقة التى تتقد بالشموع المكررة وكخزانة الكتب التى لها
باب من القزاز يظهر منه ما فيها من الكتب جيدة التجليد وكل انسان له خزنة

كتب

كتب سواء الغنى والفقير حيث ان سائر العامة يكتبون ويقرؤن * والغالب
ان الرجل ينام فى اوضة غير الذى تنام فيها زوجته اذا تقادم الزواج ومن العوائد
التى لا باس بها ان قصر ملك فرانسا وقصور اقاربه تنفتح حين خروج السلطان
واقاربه كل سنة الى الاقامة فى الخلاء مدة اشهر فيدخل سائر الناس للفرجة
على بيت الملك واقاربه فيرون اثاث البيت وسائر الاشياء الغريبة ولكن لا يدخل
احد الا بورقة مطبوعة مكتوب فيها الاذن بدخول شخص او شخصين او اكثر
وهذه الورقة توجد عند كثير من الناس فاذا طلبها الانسان ممن يعرفه اعطاها له
فترى فى البيت ازدحاما عظيما للفرجة على جميع ما فى حريم الملك واقاربه وقد
دخلت ذلك عدة مرات فرأيته من الامور العجيبة التى ينبغى التفرج عليها وفيه
كثير من الصور التى لا تمتاز عن الناس الا بعدم النطق وفيه مصور كثير من ملوك
فرانسا وغيرهم وكل اقارب السلطنة وكل الاشياء الغريبة واغلب الاشياء
الموجودة فى حريم السلطنة مستحسنة من جملة جودة صناعتها الا نفاستها
بالمادة مثلا سائر الفراش كالكراسى والاسرة حتى كراسى المملكة مشغولة شغلا
عظيما بالقصب المخيش ومطلية بالذهب الا انه لا يوجد بها كثير من الاحجار الكريمة
كما يوجد ببلادنا ببيوت الامراء الكبار بكثرة فمبنى امور الفرنساوية فى جميع
امورهم على التجمل لا على الزينة واظهار الغنا والتفاخر ثم سائر الاغنيا بباريس
تسكن فى الشتا فى نفس المدينة وقد اسلفنا فى ذكر طبيعة اقليم باريس ان كل بيت
به مداخن تتقد فيها النيران فى القيعان والاوض وامامدة الحرفان من له يسار
يسكن فى الخلا لان القصور بالخلا اسلم هواء من داخل المدينة ومن الناس من
يسافر فى بعض بلاد فرانسا او ما جاورها من البلاد ليستنشق رايحة البلاد الغريبة
ويطلع على البلاد ويعرف عوائد اهلها خصوصا فى مدة من السنة تسمى عندهم
مدة التعطيل او مدة الفراغ يعنى البطالة حتى النساء فانهن يسافرن وحدهن
او مع رجل يتفق معهن على السفر وينفقن عليه مدة سفره معهن لان النساء ايضا
متولعات بحب المعارف والوقوف على اسرار الكائنات والبحث عنها والا ليس انه
قد يأتى منهن من بلاد الافرنج الى مصر ليرى غرائبها من الاهرام والبرابى وغيرها

فهن كالرجال فى جميع الامور نعم قد يوجد منهن بعض نساء غنيات مستورات الحال يمكن من انفسهن الاجنبى وهن غير متزوجات فيشعرن بالحمل ويخشين على الفضيحة بين الناس فيظهرن السفر لمجرد السياحة اولمقصد آخر ليلدن ويضعن المولود عند مرضع باجرة خاصة ليتربى فى البلاد الغريبة ومع هذا الامر فليس بشائع وبالجملة ما كل بارقة تجود بمائها ففى نساء الفرنساوية ذوات العرض ومنهن من هى بضد ذلك وهو الاغلب لاستيلاء فن العشق فى فرانسا على قلوب غالب الناس ذكورا واناثا وعشقهم معلل لانهم لا يصدقون بانه يكون لغير ذلك الا انه قد يقع بين الشاب والشابة فيعقبه الزواج ومما ينبغى ان يمدح به الفرنساوية نظافة بيوتهن من سائر الاوساخ وان كانت بالنسبة لبيوت اهل الفلمنك كلا شئ فان اهل الفلمنك اشد جميع الامم نظافة ظاهرية كما ان اهل مصر فى قديم الزمان كانوا ايضا اعظم اهل الدنيا نظافة ولم يقلدهم ذراريهم وهم القبطة فى ذلك وكما ان باريز نظيفة فهى خلية ايضا من السميات بل ومن الحشرات فلا يسمع بان انسانا فيها لدغته عقرب ابدا وتعهد الفرنساوية تنظيف بيوتهم وملابسهم امر عجيب وبيوتهم دائما مفرحة بسبب كثرة شبابيكهن الموضوعة بالهندسة وضعا عظيما يجلب النور والهواء داخل البيوت وخارجها وطرفات الشبابيك دائما من القزاز حتى اذا اغلقت فان النور لا يحجب اصلا وفوقها دائما الستائر للغنى والفقير كما ان ستائر الفرش التى هى نوع من الناموسية غالبة لسائر اهل باريس

الفصل الخامس فى اغذية اهل باريس وفى عاداتهم فى المآكل والمشارب

اعلم ان قوت اهل المدينة هو الحنطة وهى فى الغالب صغيرة الحبوب الا اذا كانت منقولة من البلاد الغريبة فيطحنونها فى طواحين الهواء او الماء ويخبزونها عند الفران فيباع الخبز فى دكانه وسائر الناس لها ترتيب يومى تشتريه من الخباز وعلة ذلك توفير الزمان والاقتصاد فيه لان سائر الناس مشغولون فى اشغال خاصة فصناعة العيش فى البيوت تشغلهم ثم ان المحتسب يامر الخبازين ان يكون عندهم كل يوم من العيش ما يكفى المدينة وفى الحقيقة لا يمكن فقد العيش ابدا بمدينة باريس

بل ولا افقد غيره من امور الاغذية وادم اهل هذه المدينة اللحوم والبقول
والخضروات والالبان والبيض وغيرها والغالب تعدد الاطعمة ولو عند الفقرا
ثم ان المذابح عندهم تكون باطراف المدينة لا داخلها وحكمة ذلك امران دفع
الوخم ودفع اضرار البهائم اذا انفلتت وكيفية الذبح تختلف عندهم * فاما ذبح
الضأن فانه اهون من ذبح غيره فانهم ينفذون السكين وراء زوره يعنى بين زوره
ورقبته ثم يقطعونه بعكس ما نفعل واما ذبح العجول فانه مثله واما الثيران فانهم
يضربونها بمقامع من حديد فى وسط رأسها فيدوخ من عظم الخبط ثم يكررون
ذلك عدة مرات فيقطع الثور النفس مع بقاء الحركة ثم يذبحونه كما تقدم من ذبح
الضأن ولقد بعثت خادما لى مصريا الى المذبح ليذبح ما اشترى منه كما هو عادتى
فلما رأى معاملة الثيران بمثل ذلك الامر البشع جاء يستجير ويحمد الله تعالى
حيث لم يجعله ثورا فى بلاد الافرنج والا لذاق العذاب كالثيران التى رآها والعجول
والثيران تكون من البقر اذ لا وجود للجواميس بهذه البلاد الا للفرجة واما ذبح
الطيور فانهم يذبحونها على انواع مختلفة من الذبح فمنهم من يصنع فيها
كالغنم ومنهم من يقطع لسان الطائر ومنهم من يخنقه بفتلة خيط ومنهم من
يذبحه من قفاه الى غير ذلك واما الارانب فانها لا تذبح ابدا بل تخنق ليحقن فيها
دمها واما ذبح الخنازير فلم اره لان له مذبحا مخصوصا والظاهر انهم يصنعون
بها كالعجول ثم من الامور التى بها راحة للناس بمدينة باريس محال الاكل المسماة
الرسطراطور اى اللوكنجه فانها مستوفية لما يجده الانسان فى بيته بل اعظم
وقد يجد الانسان ما يطلبه حاضرا وفى هذه الرسطراطور غرف لطيفة متعددة
مستوفية لالات البيوت وربما يوجد فيها محال للنوم مفروشة باعظم الفراش
وكما يوجد فى الرسطراطور انواع المأكل والمشارب يوجد فيها انواع الفواكه
والنقل وعادة الفرنساوية الاكل فى طباق كالطباق العجمية او الصينية لا فى آنية
النحاس ابدا ويضعون على السفرة دائما قدام كل انسان شوكة وسكينا وملعقة
والشوكة والملعقة من الفضة ويرون ان من النظافة او الشلبنة ان لا يمس الانسان
الشئ بيده وكل انسان له طبق قدامه بل وكل طعام له طبق وقدام الانسان قدح

فيصب فيها ما يشربه من قزازة عظيمة موضوعة على السفرة ثم يشرب فلا يتعدى احد على قدح الاخر فاوانى الشرب دائما من البلور والزجاج وعلى السفرة عدة اوانى صغيرة من الزجاج احدها فيه ملح والاخر فيه فلفل وفى الثالث خردل الى اخره وبالجملة فاداب سفرتهم وترتيبها عظيم جدا وابتداء المائدة عندهم الشوربة واختتامها الحلويات والفواكه والغالب فى الشراب عندهم النبيذ على الاكل بدل الماء وفى الغالب خصوصا لاكابر الناس يشرب من النبيذ قدرا لا يسكر به ابدا فان السكر عندهم من العيوب والرذائل وبعد تمام الطعام ربما شربوا شيأ يسيرا من العرقى ثم انهم مع شربهم من هذه الخمور فانهم لا يتغزلون بها كثيرا فى اشعارهم وليس لهم اسماء كثيرة تدل على الخمرة كما عند العرب اصلا فهم يتلذذون بالذات والصفات ولا يتخيلون فى ذلك معانى ولا تشبيهات ولا مبالغات نعم عندهم كتب مخصوصة متعلقة بالسكارى وهى هزليات فى مدح الخمرة لا تدخل فى الادبيات الصحيحة فى شئ اصلا ويكثر فى باريس شرب الشاى عقب الطعام لانهم يقولون انه هاضم للطعام ومنهم من يشرب القهوة مع السكر وفى عوائد اغلب الناس ان يفتتوا الخبز فى القهوة المخلوطة باللبن ويتعاطونها فى الصباح واذا اردت بعض شئ يتعلق بالماكل والمشرب فراجع فصل المأكل والمشارب فى ترجمتنا كتاب قلائد المفاخر ثم ان الغالب ان ما يقطعه اهل هذه المدينة من المأكل والمشارب كل سنة يكون هذا تقريبه فمن الخبز ابلغ من خمسة وثلاثين مليون فرنك ومن اللحوم تأكل نحو واحد وثمانين الف ثور واربعمائة وثلاثين ثورا ومن البقر نحو ثلاثة عشر الف بقرة ومن الضأن اربعمائة وسبعين الف كبش ومن الخنازير الوحشية والاهلية نحو مائة الف خنزير ومن السمن بنحو عشرة ملايين افرنك ومن البيض بنحو خمسة الاف فرنك ومن غرائب الاشياء ان فيها التحيل على عدم عفونة الاشياء التى من شأنها العفونة فمن ذلك ادخار اللبن بكيفية خاصة خمسة سنين من غير تغير وادخار اللحم طريا عشرة سنوات وادخار الفواكه لوجودها فى غير اوانها ومع كثرة تفننهم فى الاطعمة والفطورات ونحوها فطعامهم على الاطلاق عديم اللذة ولا حلاوة صادقة فى فواكه هذه المدينة الا فى الخوخ واما

Digitized by Google

Original from
PRINCETON UNIVERSITY

خماراتها فانه الاتحصى فما من حارة الا وهى مشحونة بهذه الخمارات ولا يجتمع فيها
الا اراذل الناس وحرافيشهم مع نسائهم ويكثرون الصياح وهم خارجون منها
بقولهم ما معناه الشراب الشراب ومع ذلك فلا يقع منهم فى سكرهم
اضرار اصلا وقد اتفق لى ذات يوم وانا مار فى طريق فى باريس ان سكرانا صاح قائلا
يا تركى يا تركى وقبض بثيابى وكنت قريبا من دكان يباع فيه السكر ونحوه
فدخلت معه واجلسته على كرسى وقلت لرب الحانوت على سبيل المزح هل
تريد ان تعطينى بثمن هذا الرجل سكرا او نقلا فقال صاحب الحانوت ليس
هنا مثل بلادكم يجوز التصرف فى النوع الانسانى فما كان جوابى له الا انى
قلت ان هذا الشخص السكران ليس فى هذا الحال من قبيل الادميين وهذا كله
والرجل جالس على الكرسى ولا يشعر بشئ من ذلك ثم تركته بهذا المحل وذهبت

الفصل السادس فى ملابس الفرنسيس

من المعروف عندنا ان غطاء رأس الافرنج البرنيطة وان نعالهم فى الاكثر الصرم
السود او التاسومات وان لباسهم فى الغالب هو الجوخ الاسود واما الفرنساوية
فانهم فى الغالب ايضا على هذا الملبس الا انهم لا يلزمون ملبسا خاصا غير ان كل
انسان يلبس باختياره ما تاذن له العادة بلبسه والغالب ان لبسهم ليس له زينة
وانما هو فى غاية النظافة ومن العوائد العظيمة انتشار لبس القمصان والالبسة
والصديريات تحت ملابسهم فان الموسر يغير فى الاسبوع عدة مرات وبهذا
يستعينون على قطع عرق الواغش فلذلك لا اثر للقمل ونحوه الا عند من اشتد به
الفقر وملابس النساء ببلاد الفرنسيس لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصا اذا
تزين باغلى ما عليهن ولكن ليس لهن كثير من الحلى فان حليهن هو الحلق المذهب
فى اذانهن ونوع من الاساور الذهب يلبسنه فى ايديهن خارج الاكمام وعقد خفيف
فى اجيادهن واما الخلاخل فلا يعرفونها ابدا ولبسهن فى العادة الاقمشة الرقيقة
من الحرير او الشيت او البفت الخفيف ولهن فى البرد شريط فروة فيضعونه فى
رقابهن ويرخين طرفيه كالمأزر حتى يصل بطرفيه الى قرب القدمين ومن عوائدهن
ان يحتزمن بحزام رفيع فوق اثوابهن حتى يظهر الخصر نحيفا ويبرز الردف كثيفا

وممّا انشده الحاجرى فى ديوانه وان كان فيه خروج

قوله

ومن نريا ليتنى استاذه كيما افوز بضمة من خصره

القس يسقيه شبيهة خده والمسلمون باسرهم فى اسره

فوحقه لولا رشاقة قده مارق اسلامى لشدة كفره

ومن العجائب انه يمكن الانسان ان يضع فى الخصر وقت الحزام فترى يديه لدقته ومن خصال النساء ان يشبكن بالحزام قضيبا من صفيح من البطن الى آخر الصدر حتى يكون قوامهن دائما معتدلا لا اعوجاج به ولهن كثير من الحيل ومن خصالهن التى لا يمكن للانسان ان لا يستحسنها منهن عدم ارخائهن الشعور كعادة نساء العرب فان نساء الفرنسيس يجمعن الشعور فى وسط رؤسهن ويضعن فيه دائما مشطا ونحوه ومن عوائدهن فى ايام الحر كشف الاشياء الظاهرية من البدن فيكشفن من الرأس الى ما فوق الثدى حتى انه يمكن ان يظهر ظهرهن وفى ليالى الرقص يخلعن عن اذرعتهن وبالجملة فلا يعد ذلك من الامور المخلة عند اهل هذه البلاد ولكن لا يمكن لهن ابدا كشف شئ من الرجلين بل هن دائما لابسات للجرابات الساترة للساقين خصوصا فى الخروج الى الطرق وفى الحقيقة سيقانهن غير عظيمة اصلا فلا يصلح لهن قول الشاعر

لم انسه اذ قام يكشف عامدا عن ساقه كاللؤلؤ البراق

لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى ان القيامة يوم كشف الساق

وملابس الحزن عند الفرنسيس ان يلبس علامة الحزن مدة معلومة ولها محل معلوم فالرجل يضع علامة الحزن فى برنيطته مدة معلومة والمرأة فى ثيابها والولد على فقد ابيه اوامه علامة الحزن ستة اشهر وعلى فقد الجدة اربعة اشهر ونصف والزوجة على فقد الزوج سنة وستة اسابيع وعلى فقد الزوجة ستة اشهر وعلى فقد الاخ او الاخت شهرين وعلى فقد الخال والخالة والعم والعمة ثلاثة اسابيع وعلى فقد اولاد الاعمام والعمات والاخوال والخالات اسبوعين ثم ان ما يباع فى باريس من الجوخ كل سنة بنحو مليون فرنك تقريبا ومن الحرير بثلاثة ملايين

فرنك

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

فرنك ومن الفراوى بمليون فرنك ولعل السبب فى ذلك هوان الفراوى تشترى
من خصوص باريس لاهل باريس ومن المتداول عند الفرنساويه استعمال
الشعور العارية لنحو الاقرع وردى الشعر بل قد يستعملونها فى اللحى والشارب
للتقليد وقد شاعت عندهم تلك العادة من زمن لويز الرابع عشر ملك فرانسا حيث
ان هذا الملك كان يلبسها ولا يخلعها من رأسه اصلا الا عند النوم ولا زالت الى
الان مستعملة لكن للاقرع اوردى الشعر ومن الغريب انها تستعمل الان فى
مصر بين نساء القاهرة

الفصل السابع فى منتزهات مدينة باريس

اعلم ان هؤلا الخلق حيث انهم بعد اشغالهم المعتادة المعاشية لاشغل لهم بامور
الطاعات فانهم يقضون حياتهم فى الامور الدنيوية واللهو واللعب ويتفننون
فى ذلك تفننا عجيبا فمن مجالس الملاهى عندهم محال تسمى التياتر بكسر التاء
المشددة وسكون التاء الثانية والسبكتاكل وهى يلعب فيها تقليد سائر ما وقع
وفى الحقيقة ان هذه الالعاب هى جد فى صورة هزل فان الانسان ياخذ منها عبرا
عجيبة وذلك لانه يرى فيها سائر الاعمال الصالحة والسيئة ومدح الاولى وذم الثانية
حتى ان الفرنساوية يقولون انها تؤدب اخلاق الانسان وتهذبها فهى وان كانت
مشتملة على المضحكات فكم فيها كثير من المبكيات ومن المكتوب على الستارة التى
ترخى بعد فراغ اللعب باللغة اللاطينية وما معناه باللغة العربية قد تنصلح العوائد
باللعب وصورة هذه التياترات انها بيوت عظيمة لها قبة عظيمة وفيها عدة ادوار كل دور
له اوض موضوعة حول القبة من داخله وفى جانب من البيت مقعد متسع يطل
عليه من سائر هذه الاوض بحيث ان سائر ما يقع فيه يراه من هو فى داخل البيت
وهو منور بالنجفات العظيمة وتحت ذلك المقعد محل للالاتية وذلك المقعد يتصل
باروقة فيها سائر آلات اللعب وسائر ما يصنع من الاشياء التى تظهر وسائر النساء
والرجال المعدة للعب ثم انهم يصنعون ذلك المقعد كما تقتضيه اللعبة فاذا ارادوا
تقليد سلطان مثلا فى سائر ما وقع منه وضعوا ذلك المقعد على شكل سراية
وصوروا ذاته وانشدوا اشعاره وهلم جرا ومدة تجهيز المقعد يرخون الستارة لتمنع

الحاضرين من النظر ثم يرفعونها ويبتدون اللعب ثم النساء اللاعبات والرجال يشبهون العوالم فى مصر واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس ارباب فضل عظيم وفصاحة وربما كان لهؤلاء الناس كثير من التأليف الادبية والاشعار ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الاشعار وما يبديه من التوريات فى اللعب وما يجاوب به من التنكيت والتبكيت لتعجبت غاية العجب * ومن العجائب انهم فى اللعب يقولون مسائل من العلوم الغريبة والمسائل المشكلة ويتعمقون فى ذلك وقت اللعب حتى يظن انهم من العلماء حتى ان الاولاد الصغار التى تلعب تذكر شواهد عظيمة من علم الطبيعيات ونحوها ثم انهم يبتدون اللعب بالات الموسيقا ثم يلعبون ما يريدون لعبه واللعبة التى تظهر تكتب فى ورقة وتلصق فى حيطان المدينة وتكتب فى التذاكر اليومية ليعرفها الخاص والعام وفى الليلة يلعبون لعبات وبعد فراغ كل لعبة ترخى الستارة اذا اراد وا مثلا لعب شاه العجم البسوا لاعبا لبس ملك العجم واحضروه واجلسوه على كرسى وهكذا وفى هذه السبكتاكل يصورون سائر ما يوجد حتى انهم قد يصورون فرق البحر لموسى عليه السلام فيصورون البحر ويجعلونه يتماوج حتى يشبه البحر شبها كليا وقد رايت مرة فى الليل انهم ختموا التياتر بتصوير شمس ان تسييرها وتنوير التياتر بها حتى غلب نور هذه الشمس على نور النجف حتى كان الناس فى الصباح ولهم اشياء اغرب من هذا وبالجملة فالتياتر عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل واعظم السبكتاكل فى مدينة باريس المسماة الاوبره بضم الهمزة وتشديد الباء المكسورة وفتح الراء وفيها اعظم الالاتية واهل الرقص وفيها الغنا على الالات والرقص باشارات كاشارات الاخرس تدل على امور عجيبة ومنها تياتر تسمى اوبرة كوميك فيغنى فيها الاشعار المفرحة وبها تياتر تسمى التياتر الطليانية وبها اعظم الالاتية وفيها تنشد الاشعار المنظومة باللغة الطليانية وهذه كلها من السبكتاكلات الكبيرة وفى باريس سبكتاكلات صغرى وهى مثل تلك الا انها صغيرة وهناك ايضا سبكتاكلات اخرى يلعبون فيها الخيل والفيلة ونحوها ومنها التياتر المسماة تياتر فرنكونى بكسر الكاف وفتح الراء

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

وسكون النون وضم الكاف وكسر النون الثانية وفيها فيل مشهور بالالعاب الغريبة معلم تعليما عجيبا وكما ان اعظم التياترات الاوبرة فاصغرها تياتر تسمى تياتر الكمت وهى معدة لنزاهة الصغار كالحاوى فى مصر والكمت اسم معلم هذه السبكتاكل وكل اللاعبين واللاعبات صغار السن وهذه التياتر يوجد بها كثير من الشعبشيات والسيم ونحوها ولو لم تشتمل التياتر فى فرانسا على كثير من النزغات الشيطانية لكانت تعد من الفضائل العظيمة الفائدة فانظر الى اللاعبين بها فانهم يحترزون ما امكن عن الامور التى يفتتن بها المخلة بالحياء ففرق بعيد بينهم وبين عوالم مصر واهل السماع ونحوها ولا اعرف اسما عربيا يليق بمعنى السبكتاكل او التياتر غير ان لفظ سبكتاكل معناه منظر او منتزه او نحو ذلك ولفظ تياتر معناه الاصلى كذلك ثم سمى بها اللعب ومحله ويقرب ان يكون نظيرها اهل اللعب المسمى خياليا بل الخيالى نوع منها وتشتهر عند الترك باسم كمدية وهذا الاسم قاصر الا ان يتوسع فيه ولا مانع ان تترجم لفظة تياتر او سبكتاكل بلفظ خيالى ويتوسع فى معنى هذه الكلمة ويقرب من تصوير السبكتاكل او هو منها مواضع يصور فيها للانسان منظر بلد او ارض او نحو ذلك فمن ذلك بانورمه وهو محل تنظر فيه فترى المدينة التى تريد تصويرها ففى صورة مصر ترى كانك على منارة السلطان حسن مثلا والرميلة تحتك وباقى المدينة ومنها كسمورمه وفيه صورة بلدة ثم اخرى وهكذا ومنه ديورمه وفيه صورة دار ومنها اورانورمه وفيه صورة الفلك الاعظم وسائر ما يحتوى عليه مصورا على مذهب الافرنج فالمتفرج فيه يمكنه ان يطالع علم الفلك ومنها اوروپرمه وفيه صورة بلاد الافرنج ومن المنتزهات محال الرقص المسماة البال وفيه الغنا والرقص وقل ان دخلت ليلا فى بيت من بيوت الاكابر الا وسمعت به الموسيقا والمغنى ولقد مكثنا مدة لا نفهم لغنائهم معنى اصلا لعدم معرفتنا بلسانهم ولله در من قال فى مثل هذا الامر

ولم افهم معانيها ولكن ودت كبدى فلم اجهل شجاها

فكنت كانى اعمى معنى يحب الغانيات ولا يراها

والبال قسمان بال عام ويدخله سائر الناس كالبال فى القهاوى والبساتين

والبال الخاص وهو ان يدعو الانسان جماعة للرقص والغنا والنزهة ونحو ذلك كالفرح فى مصر والبال دائما مشتمل على الرجال والنساء وفيه وقدات عظيمة وكراسى للجلوس والغالب ان الجلوس للنساء ولا يجلس احد من الرجال الا اذا اكتفت النساء واذا دخلت امرأة على اهل المجلس ولم يكن كرسى خاليا قام لها رجل واجلسها ولا تقوم لها امرأة لتجلسها فالانثى دائما فى المجالس معظمة اكثر من الرجل ثم ان الانسان اذا دخل بيت صاحبه فانه يجب عليه ان يحيى صاحبة البيت قبل صاحبه ولو كبر مقامه ما امكن فدرجته بعد زوجته او نساء البيت ومن المنتزهات جمعية الناس كضمة مصر الان فيها دائما الات الموسيقا والغنا والرقص وبين كل نوبة من الموسيقا والغنا يقسم على الحاضرين بعض مطعومات ومشروبات خفيفة وبالجملة فالموسيقا بالاصالة والشراب الخفيف بالتبعية هما حظ هذه المجالس كما قال الشاعر

هل العيش الا ماء كرم مصفق   ترقرقه فى الكاس ماء غمام

وعود بنان حين ساعد شدوه   على نغم الاوتار نأى زنام

وقد قلنا ان الرقص عندهم فن من الفنون وقد اشار اليه المسعودى فى تاريخه المسمى بروج الذهب فهو نظير المصارعه فى موازنة الاعضا ودفع قوى بعضها الى بعض فليس كل قوى يعرف المصارعة بل قد يغلبه ضعيف البنية بواسطة الحيل المقررة عندهم وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الاعضاء وظهر ان الرقص والمصارعة مرجعها شئ واحد يعرف بالتأمل ويتعلق بالرقص فى فرانسا كل الناس وكانه نوع من العياقة والشلبنة لا من الفسق فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء بخلاف الرقص فى ارض مصر فانه من خصوصيات النساء لانه لتهييج الشهوات واما فى باريس فانه نط مخصوص لا يشم منه رايحة العهر ابدا وكل انسان يعزم امرأة يرقص معها فاذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية وهكذا وسواء كان يعرفها اولا وتفرح النساء بكثرة الراغبين فى الرقص معهن ولا يكفيهن واحد ولا اثنان بل يحببن روية كثير من الناس يرقص معهن لسآمة انفسهن من التعلق بشئ واحد كما قال الشاعر

ايا من ليس يرضيها خليل ولا الفا خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

وقد يقع ان من الرقص رقصة مخصوصة يرقص الانسان ويده فى خاصرة من ترقص معه واغلب الاوقات يمسكها بيده وبالجملة فمس المرأة ايا ما كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى وكلما حسن خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عد هذا من الادب وصاحبة البيت تحيى اهل المجلس ومن النزه المواسم العامة التى تصنع فى الصيف ومبناها على الرقص والالات وتسييب البارود ونحو ذلك ومن المواسم العامة عندهم ايام تسمى ايام الكرنوال وتسمى عند قبطة مصر ايام الرفاع وهى عدة ايام يرخص لسائر الناس فيها سائر التقليدات والتشكلات فيتشكل الرجل امرأة والمرأة فى صورة رجل ويترای الخواجة فى صورة راع ونحو ذلك وبالجملة فيباح سائر ما لا يضر براحة المملكة وانتظامها ويقول الفرنساوية ان هذه الايام ايام جنون ويدور بهذه البلدة فحل اسمن فحول فرانسا فى موكب عظيم مدة ايام الزفر الثلاثة ثم يذبحونه ويعطون لصاحبه بخشيشا فى نظير تسمينه له حتى يسمن سائر الناس عجولهم ومن منتزهات باريس الحدايق العظيمة العامة ففى باريس نحو اربعة بساتين كبرى تتماشى فيها العام والخاص فمنها حديقة تسمى الشمزليزه معناه بالعربية رياض الجنة وهى من ارق المنتزهات وانضرها وهى بستان عظيم يبلغ اربعين اربانا والاربان هو قياس يقرب من الفدان ومع ان طول طريقها نحو الف قامة فانها موضوعة بحيث انك اذا مددت نظرك رأيت طرفها الثانى قدام عينيك وفى هذه الروضة العظيمة دائما شئ من الملاهى لا يمكن حصره وسائر اشجار هذا البستان متصافة متوازية بعضها مع بعض رتبت بحيث انه يوجد مدخل من كل الجهات فهو على سمت الخطوط المستقيمة من سائر الجهات وفى وسط كل جملة من الاشجار يوجد محل مربع وهذه الحديقة يتصل احد جوانبها بنهر السين وبينها وبينه رصيف وبجانبها الاخر بيوت باطراف الخلا وفيها كثير من القهاوى والرسطراطورات يعنى بيوت الاكل وفيها سائر انواع الطعام والشراب وهى مجمع

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

الاحباب والاكابر وبها كثير من المراجح للخيل ويدخل فيها الاكابر بالعربيات المزينة وفيها عدة الاف من الكراسى بالاجرة يجلس عليها فى زمن الربيع نهارا وفى زمن الصيف ليلا واعظم اجتماع الناس فيها يوم الاحد فانه يوم البطالة عند الفرنساوية وبالجملة فهذه الحديقة محل للمواسم وللافراح العامة والزينات وبها تتماشى سائر النساء الجمالات ومن المنتزهات المحال المسماة البلوار وهى الاشجار المتصافة المتوازية وقد اسلفنا بيانها وهى محل تتماشى فيه سائر الناس فى سائر الايام وفيه اعظم قهاوى باريس وتدور فيه الالاتية المتقلون بالاتهم وفيهم كثير من محال التياترات وبه ايضا تدور النساء اللواتى يتعرفن بالرجال سيما بالليل فهو فى جميع الليالى وفى ليلة الاثنين يحوى كثيرا من الناس فترى فيه كل عاشق مع معشوقته ذراعه فى ذراعها الى نصف الليل ويصلح هنا قول الشاعر

لا تلق الا بليل من تواصله　　فالشمس نمامة والليل قواد

كم عاشق وظلام الليل يستره　　لاقى الاحبة والواشون رقاد

وقال اخر

ايها الليل طر بغير جناح　　ليس للعين راحة فى الصباح

كيف لا ابغض الصباح وفيه　　بان عنى الوالوجوه الملاح

ولا يمدح الليل الا من ترقب فيه وصال محبوبه) وتفقد فيه نيل مطلوبه) بخلاف من كثر فيه حرقه وزاد ارقه وطال سهاده وطار رقاده فانه يهوى الصباح ليذهب همه ويرتاح

قال الشاعر

الا ايها الليل الطويل الا انجلى　　بصبح وما الاصباح منك بامثل

فيالك من ليل كان نجومه　　على صفحات الجوشدت بيذبل

وقال آخر

ليلى وليلى نفى نومى اختلافهما　　بالطول والطول ياطوبى لو اعتدلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت　　بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال من لا يشكو من الليل

يا ليل طل اولا تطل لا بد لى ان اسهرك
لو كان عندى قمرى ما بت ارعى قمرك

وقال آخر مثله

يا ليل طل يا شوق دم انى على الحالين صابر
لى فيك اجر مجاهد ان صح ان الليل كافر

وهذا ايضا من باب الشكوى ومن المتنزهات ايضا سوق تباع فيه الازهار وفى هذا السوق تجد سائر الاشجار والنباتات والازهار الغريبة النادرة ولو فى غير اوانها حتى ان الانسان يمكنه ان يجدد بستانا فى يوم واحد بان يشترى سائر ما يحتاجه ثم يزرعه فى يوم وبالجملة فلا يمكن ان الانسان يتمتع بهذه المتنزهات الا بصحة البدن

الفصل الثامن فى سياسة صحة الابدان بمدينة باريس

لما كان من ضروريات الحكمة الاعتناء بحفظ صحة الابدان وكان الافرنج احكم الامم كثر اعتناؤهم بهذا الفن وبتكميل آلاته ووسائطه وكانوا اشد الناس مسارعة لما فيه نفع للبدن كالحمامات والحمام الباردة المياه وترييض الجسم وتعويده على الامور الشاقة كالعوم وركوب الخيل والالعاب التى يخف بها البدن والحمامات فى باريس متنوعة وفى الحقيقة هى انظف من حمامات مصر غير ان حمامات مصر انفع منها واتقن واحسن فى الجملة وذلك ان الحمام فى مدينة باريس عدة خلوات فى كل خلوة مغطس من نحاس يسع الانسان فقط وفى بعض الخلوات مغطسان وليس عندهم مغطس عام كما فى مصر ولكن هذه العادة اسلم بالنسبة للعورة فانه لا طريقة ان يطلع انسان على عورة آخر حتى ان الخلوة التى فيها مغطسان بين كل مغطس ستارة تمنع ان ينظر الانسان صاحبه وليس فى دخول الانسان هذه المغاطس الصغيرة لذة كالدخول فى الحمامات ولا يعرق الانسان بها ابدا اذ الحرارة لا توجد الا فى المغطس لا فى الخلوة ابدا وان كان يمكن ان يوصى الانسان على حمام بالبخار فانهم يصنعون له ذلك ولكن بثمن آخر غير الثمن المعتاد وفى الحمام صفان من الخلاوى صف للرجال وصف للنساء وكما انه يوجد حمامات مستقرة يوجد حمامات منقولة فاذا طلب الانسان حماما فى بيته او كان مريضا

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

اونحو ذلك فانهم يحملون اليه فى عربة كالبرميل الماء البارد فى شقة والساخن فى اخرى ومعها محم فيوضع المحم فى بيت الانسان ويملا من الماء المسخن فيغتسل الانسان منه ثم بعد فراغه يحملونه الى بيت الحمام ومن الحمامات حمام يضع فيه الانسان بعض بدنه لبعض الامراض فيسمى نصف حمام والحمامات بباريس كثيرة فاشهرها ثلاثون حماما تقريبا * ومن امور الرياضات النافعة لصحة البدن مدارس يتعلم فيها علم السياحة وهى ثلاثة مكاتب على نهر السين ومنها مدارس لتخفيف البدن وجعله قابلا للاشياء العجيبة كالبهلوانية والمصارعة ونحو ذلك

الفصل التاسع فى الكلام على اعتناء باريس بالعلوم الطبية

اعلم ان مدينة باريس هى اعظم مدن الافرنج التى يرحل اليها الغرب التعلم العلوم خصوصا العلوم الطبية وقد ينتقل اليها المرضى من بلاد بعيدة للبحث عن تداويهم فيها والعلوم الطبية التى تسمى ايضا علم الحكمة هى علم الطب والجراحة والتشريح وفن الفسيولوجيا من حاله وسياسة الصحة لحفظها وتطبيب الحيوانات وغير ذلك والحكماء فى باريس كثيرون جدا حتى يوجد فى كل خط عدة حكماء بل الطرق مملوءة من الحكماء حتى ان الانسان اذا اصيب فى الطريق بداء فانه لابد ان يجد الحكيم حالا لكثرة الحكماء بهذه البلدة ووضع المرضى بالنسبة للاطبا مختلف فمن المرضى من يطلب الطبيب ليزوره عنده وللحكيم قدر معلوم على كل مرة يأتيها اليه ومن المرضى من يذهب الى الطبيب فى بيته وللطبيب ساعات معينة يمكث فيها قاصدا فى بيته لتلقى الناس ومن المرضى من ينتقل مدة معينة فى بيت يسمى بيت الصحة معد لمن يدفع قدرا معينا فى نظير اكله وشربه وسكناه وتطبيب بدنه وخدمته ونحو ذلك وفى باريس بيوت حكما معدة لمن ابتلى بخلل شئ من عظام البدن كالاحديداب فانه يدخل بيتا من هذه البيوت للتطبيب فيقومون بدنه بشئ من علم الحيل كما اذا كان انسان مقطوع احد الاطراف فانهم يجبرون ذلك بان يضعوا له من المعدن او الخشب شيأ فى محله وفى هذه المدينة ايضا بيوت يدخل فيها النساء الحوامل المشرفات على الولادة لتلدن فيها وتقضين فيها

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

مدة النفاس وفى هذه البيوت توجد القوابل وسائر ما يحتاج اليه فى الولادة ومن المواضع المعدة للمرضى والتى يوجد فيها الاطبا المارستانات العامة فتدخلها المرضى للعلاج ولاقامة مدة المرض بلا عوض ثم ان الاطباء فى باريس فرقتان احداهما اطباء عامة لمطلق الامراض على تنويعها والاخرى لدا آت خاصة وذلك ان علم الطب متسع جدا فقل ان يشتغل انسان بسائر فروعه ويحققها فاحتاج اطباء الفرنساوية الى ان الطبيب بعد ان يقرأ فروع العلوم الطبية ينبغى له ان يختار منها فنا ليصرف فيه همته ويتقوى فيه ويتبحر حتى يشتهر ويمتاز عن غيره من الاطباء بتحقيق ذلك الفن حتى يجلب اليه من به داء يدخله شئ من ذلك الفن فلذلك يوجد فى باريس اطباء مثلا لخصوص مرض الرئة واطباء مرض العين تسمى المكحلاتية واطباء لامراض الاذنين واطباء الداء الانف وتجبيره حتى ان من اطباء الانف من يمكنه بالحيلة ان يرجع الانف المجدوع صحيحا وفى باريس اطبا تستعمل جاذبية المغناطيس الانسانية للاستعانة على مداواة الانسان وتفصيل ذلك ان فى باريس جماعة من الطبايعية تزعم انه ثبت عندهم ان بدن الانسان يشتمل على مادة سيالية يعنى جاذبية المغناطيس الانسانية يعنى ان هذه المادة لها خاصية المغناطيس وتحصل هذه بتقريب اليد عدة مرات كالمسح فينعس الانسان او تغيب حواسه حتى لا يحس بشئ فاذا غاب وكان مريضا بمرض شديد عالجه الحكماء بقطع شئ او بفتح شئ من بدنه من غير ان يشعر بشئ ابدا وقد جرب ذلك فى قطع ثدى امرأة بعد مغناطيسيتها فمكثت عدة ايام ثم ماتت فقال علماء المغناطيسية انها ماتت بسبب آخر لا بألم القطع فانها عاشت بعده فالمغناطيسية نافعة لمعالجة الامراض العصبية وفى باريس ايضا حكماء لخصوص مداواة خلل العقل اولالم اعضاء التناسل او الحصوة ولخصوص الامراض الجلدية المنفرة وغيرها كالجذام والجرب وفى باريس ايضا حكماء لتوليد النساء فان العادة ايضا فى باريس ان المرأة يولدها رجل حكيم عارف بامور الولادة وبها حكماء لمعالجة البياضة التى تنزل بالعين والماء الذى يعميها وبها حكماء لاوجاع الصدر وداء الفالج الذى هو شلل بعض الاعضاء

فيداوونه بعلاج يسمى الاكبكتور بكسر الهمزة والكاف وسكون الميم وضم
الباء وسكون الكاف وضم التاء يعنى شبكات دبابيس كثيرة دقيقة فيخرجون
بذلك شيأ من الدم ينفع لتخفيف ضرر هذا الداء وبها حكماء لعلاج اختلال خلقة
الانسان وهذا العلاج يسمى الارتوبيدى بضم الهمزة وسكون الراء وضم التاء
وكسر الباء وسكون الياء وفتح الدال يعنى فن اصلاح خلل اعضاء الاطفال فمن
الحكماء من يصلح خلل الفم او الوجه ومنهم من يشتغل بتدبير الاعضاء الناقصة
لسد خللها باعضاء اخرى مدبرة ثم ان فروع العلوم الطبية كثيرة فالمشهور منها
فن التشريح وفن تمييز امراض الانسان من حال طبيعته وفن الكيميا العقاقيرية
وفن اسباب الامراض الباطنية الطبية وعلم الجراحة الطبية ووضع العصابة على
الجراح والتضميد بالمراهم وفن تطبيب ملازم الفراش المبتلى بامراض ظاهرية
وفن تطبيب ملازم الفراش المبتلى بامراض باطنية وفن معالجة النفسا وتوليد
الحامل وعلم الطبيعة التى تدخل الطب وعلم العقاقير والادوية المفردة والمركبة
صناعة المعالجة ومباشرة المريض ومدارس الحكمة بمدينة باريس ومنافعها
شهيرة فمنها مدرسة كبيرة تسمى اكدمة الحكمة السلطانية وهى ديوان الحكماء
السلطانية وهى مجعولة لحاجة المملكة الفرنسيسية ومباشرة الامراض العامة
الضرر كالامراض الوبائية والامراض التى يعتقد الفرنساوية انها معدية
وكمرض فصل البهائم ومن وظيفة علماء اكدمة الحكمة معالجة سائر الناس بما
تجعله المملكة موقوفا على النفع العام كاشهار تلقيح البقرى لاخراج الجدرى
وامتحان الادوية الجديدة والادوية المكتومة وامتحان الادوية المعدنية الاصلية
او المصطنعة لادخالها فى الادوية وبالجملة فاهل هذه الجمعية السلطانية اعظم
الحكماء الفرنساوية ولنذكر هنا بعض ما يتعلق بمارستان باريس فى فصل فعل
الخير وقد اسلفنا بعض شئ من ذلك فى الفصل السابق
ولنذكر لك نبذة من فن قانون الصحة وتدبير البدن حتى تتم فائدة هذه الرحلة
وهذه النبذة ترجمتها فى باريز لقصد استعمال جميع الناس بمصر لها لصغر حجمها
فهى وان كانت تخرجنا عما نحن بصدده الان منفعتها عظيمة وثمرتها جسيمة

نصيحة الطبيب

المادة الاولى فى وصية صحاح البدن

لاشك ان الاطباء معتبرون بين الناس لشدة نفعهم عندهم ومع ذلك فالاولى الاستغناء عنهم لانهم رفقاء المرضى فلنحرص على حفظ انفسنا من اسباب المرض ومن الاحتياج الى الطبية والدواء المجرب لمنع الاحتياج اليه هو اعتياد الكد والقناعة ولنذكر لك بعض امور اخر الاول لاتسكن دارا مماسة لمزرعة مرتفعة اودارا غائرة فى الارض يسيرا فان كلا هذين الوضعين يجعل الدار رطبة ومضرة للصحة فالعافية ولو كانت قوية تذهب فيهما على تداول الايام * ارفع ارض بيتك بعض قراريط برمل اوحصى اوطوب مسحوق اوما اشبه ذلك وتجنب البناء فى ارض مماسة لارض اعلا منها * اجعل منافس الهواء الى الجنوب الشرقى اى اجعله بين الشرق والجنوب فان ذلك للصحة اسلم من جميع الاوضاع * الثانى الهواء المخزون يجلب الحمى المحرقة فوسع طاقاتك ليسهل فيها دخول الهواء والنور وافتحها فى غالب الاحيان لان البرد للصحة اوفق من الحر فاهل الجانب الشمالى حياتهم وصحتهم ابرأ من اهل الجنوب والمريض يشفى فى غرفة مفتوحة لسائر الرياح وربما هلك لو كان بجانب الحرارة * الثالث بركة الماء الراكد اذا اشتد قربها من البيوت فانه يتصاعد منها ابخرة لاتناسب الصحة بل تؤذيها اوربما قتلت وبسبب ذلك ترى بعض البلدان منتنا بالاوباء فاجتنب هذه الاشياء الجالبة للامراض والاوجاع * الرابع السكر يرعى البدن ويحرقه ويسرع بالمشيب فنصيب من ينهمك على شرب الخمور وغيرها من المسكرات ان يصاب بداء الذبول وبقصر الاجل * الخامس من اسباب الامراض اختلاف الزمن كتعاقب الحر والبرد ونزول المطر السريع اونزوله باردا فى وسط الايام الحارة فاولى مايطرد هذه الامراض ان تلبس ازيد مما يقتضيه الفصل فالبس اثواب الشتاء قبل فراغ الخريف ولاتعجل خلعها عند دخول الربيع واذا ابتل بدنك كله بماء بارد فاغتسل بالماء الفاتر فان لم يبتل الا عضو فقط فاغسله وحده * السادس احذر اذا اشتد حرك ان تمكث فى موضع بارد اوتشرب ماء شديد البرودة والا فالعرق ينحبس حالا

ويتداخل فى الباطن ويتسبب عن ذلك داء الخناق وورم الصدر والقولنج المحرق
وغيرذلك فاذا انفذ القضاء وابتلى باحدها فالواجب تداركه لعله يخف
فاول ماتحس بمبادى العلامات فضع القدمين فى ماء هين الحرارة وطرّ بالماء الفاتر
ظاهر المتالم من الحلق او الصدر او البطن واحتقن بالماء الفاتر المخلوط بيسير اللبن
وتعاطى الشوربة التى صورتها ان تاخذ قبضة من زهر الخمان وتضعها فى اناء خزف
مع اوقية ونصف من جيد الخل ورش على الجميع قدح ماء مغلى وغط الاناء ودعه يبرد
فمتى بردت هذه الشوربة فصفها بخرقة وذوب فيها اوقيتين من العسل فاذا فعلت
ذلك فقد غنمت ما حرمت منه الطبيب من الدراهم فان ماتعطيه له منها ذاهب عن
يدك وربما كان ذلك الطبيب لا يفيدك فى هذا الداء شيأ

المادة الثانية فى الدلالة على ما يصنع حين اخذ المرض فى الظهور

اعلم ان كثيرا من الناس باعتناء فاسد يريد ان يداوى المرضى فيهلكهم فاول
ما يبدو قليل من الحمى او القىء فلا يجد احسن من تعريق المريض فيضغطه تحت
اغطية ثقيلة ويحجب عنه الهواء ويسقيه شوربة الخضراوات الحارة وربما سقاه
خمرا حارا او حلوا فهل من الاصحا من يستطيع حمل ذلك اوليس ان هذا مرض من
ليس بمريض نعم قد يكون العرق به الشفاء لكن حين تكون الامراض قد صدرت
عند انحباسه او بعد تقليل هذه او ازالتها بكثرة تعاطى الشوربات وعلى كل حال
فلابد من ادخال الهواء اللين فى موضع المريض لما ان حاجة الانسان الى الهواء
كحاجة السمك الى الماء والشوربات الحادة تزيد الحرارة التى تهلك المريض وتحرقه
وتيبسه والخمر هو سم حقيقى فى الحمى فعليك بخلاف ذلك من الشوربات الرطبة
الباردة فانها تذيب الاخلاط المنفسدة وتسهل خروجها وتخفف الحرارة
وتنظف المعدة وبعض الناس يريد ان يرد العافية لذى العى فيعطيه المرق
فيضاعف المه مع ان من الحقيقة المقررة عند اكابر الاطباء ان المريض الذى به خميرة
المعدة كلما اعطوه من الاغذية زاد ضعفه وهذه الاغذية اذا انفسدت بالاخلاط
المعفونة التى تختلط معها فى الجوف تنقلب مرضا جديدا انما يتعين فى شفاء
المريض هو ما يضعف المرض ففى كل عشرين مريضا يموتون فى الارياف فاكثر

من

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

من الثلثين يمكن انه كان يشفى بلا شئ لو كان فى موضع مستور من مضار رياح وكان لا يشرب الا ماء مبردا ولكن لا مفر من القدر واغلب الامراض الحادة والحميات يتقدمها ايام تشويش كيسير الخدر وقلة النشاط وعدم شهية الاكل ويسير ثقل المعدة والتعب وثقل الرأس والنعاس الثقيل عديم الراحة غير المصلح القوى بل وثقل الصدر والميل الى البرودة وتيسر العرق غير المعتاد وانقطاع العرق المعتاد وعند ذلك يتيسر تدارك او تخفيف هذه الامراض المضرة باربعة الاول ترك سائر الاشغال الشاقة والمداومة على الاشغال الهينة * الثانى تقليل اكل المغذيات او اجتنابها لاسيما ترك اللحم والمرق والبيض والنبيذ * الثالث اكثار الشرب يعنى ان يشرب كل يوم قزازة فاكثر فى كل نصف ساعة طاسة من الشربة المذكورة فى المادة السابقة او من الماء الفاتر المخلوط فى كل قزازة اما بخمسة عشر او بعشرين حبة من الملح المعتاد او بفنجان خل او بملاعق من العسل * الرابع الاحتقان بماء فاتر او بهذا الدواء وهو ان تأخذ قبضتين من الحشايش او من زهر الخبازى وتغمرهما وترش عليهما نصف قزازة ماء مغلى وتصفيها بخرقة وتضيف عليهما اوقية عسل

المادة الثالثة فى الدلالة على ما يصنع حين ظهور المرض

اعلم انه ينبغى للمريض اذا تلبس بالبرودة او الحمى او الالم ان يلزم الفراش او الجلوس وان يتغطى زيادة عن عادته وان يشرب فى كل ربع ساعة فنجانا من مسخن المشروبة السابقة فلا بأس بتغطية المرضى حال بردهم ولكن لا بد من تخفيف الغطاء كلما خفت البرودة حتى يكون بمجرد انقطاعها ليس عليهم الا الغطاء المعتاد ثم ان بعض اهالى القرى يعتادون النوم على طراحة مكبوسة ريشا ويتغطون بغطاء ثقيل من الزغب والحر الصادر عن الريش هو خطر على المحمومين لكن لما اعتيد على ذلك يمكن اغتفار هذه العادة فى بعض الاحيان الا فى مدة الحر او اشتداد الحمى فليتخذ للنوم طراحات مكبوسة بالقش وللغطاء ملاحف او اكسية اقل خطرا من الريش فهذا هو ما يريح المريض وينبغى الحذر من تسخين هواء محل المريض ومن كثرة الناس واللفظ ومن الكلام معه الا على قدر الحاجة

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

ينبغي فتح طيقانه واقله ربع ساعة في النهار وربع ساعة بالليل وينبغي مع فتح
الطيقان فتح باب الغرفة ليتجدد الهواء ولكن لابعاد المريض عن جريان الاهوية
فلتسحب عليه ستائر فرشه او يحجب عن الهواء بكيفية اخرى وفي زمن الحر
ينبغي ابقاء طاقة من الطيقان مفتوحة ويحسن ايضا تبخير غرفته بخل مطفي
فوق نحو مجرفة حديد محماة وينبغي في الهجير والمريض متعب بالهواء الحار
ان يرش بلاط غرفته وان يوضع فيها فروع غليظة من شجر الصفصاف ونحوه
تغمس في اناء فيه ماء لتكون مسقية وليجتنب المريض تناول الاطعمة المغذية
ولا يأكل الا يسيرا من خفيف الثريد المنضج او الارز المطبوخ بالماء مع يسير من الملح
ولا باس في الصيف بالاثمار المستوية وفي الشتاء بالتفاح المنضج او البرقوق
والاجاص بعد تيبسهما او طبخهما فهذه الاثمار اذا اكلت بلا اكثار منها تروى
وتبرد وتصلح الصفراء المنفسدة الحارة فهي الاغذية اللايقة بالمحموم واستعمل
الشراب الرطب والمبرد الذي ذكرناه سابقا ولا باس ايضا ان تضع في نحو
قزازة الماء طاسة من عصير الفواكه التي ذكرناها قريبا وينبغي للمريض ان يشرب
كل يوم قزازتين من ماء فاكثر وان يتناول في المرة يسيرا ففي كل ربع ساعة يشرب
فنجانا مالم ينم واللايق ان يكون الشراب غير شديد البرودة ففي اعتدال الزمن
يكون في طراوة نسيم الغرفة ولو امتنع المريض من حاجة الانسان جملة ايام
او بال بكثرة او خرج بوله احمر او خلط في كلامه او كانت حمته قوية او كان وجع
رأسه او كليته شديدا او كانت بطنه متألمة او كان محتاجا كثيرا الى النوم فليحتقن
كل يوم مرة بالحقنة المركبة مما سبق ذكره في المادة الثانية فالاحتقان شفاء
للمحموم الا اذا احدث للمريض العرق النافع فلا يحتقن واذا خف المرض فينبغي
الخروج من الفراش في اليوم ساعة فاكثر كما يمكنه ولكنه لابد من نصف ساعة
اولا ينبغي ترك فراشه وهو متلبس بالعرق ومن المستحسن تصليح فراشه كل يوم
وتغيير ما على بدنه كل يومين اذا تيسر ذلك ومن الضرر البين الحكم بخلاف ذلك
وظن انه يخاف على المريض من خروجه من فراشه فيتركه في ثيابه المتسخة وهذه
الثياب لا تقتصر في اضرارها على ابقاء اصل المرض فقط بل تقويه قبل ان المريض

تعبان جدا وهذه حجة عاطلة ولو سلم ان استعمال ذلك ينعبه درجة فانه يزيد مابقى من قوته ويسرع تخفيف المه

المادة الرابعة فى معالجة الناقه

اعلم انه مادام بالانسان قليل من الحمى فلا يتناول الا الاغذية الخفيفة التى بيناها فاذا انقطع عرق الحمى فلا باس ان يتناول غيرها كقليل من اللحم الطرى او السمك او المرقة او البيض هين النضج فهذه الاغذية تصلح القوى بشرط عدم الاكثار فيما يتناول منها والافتبطى الصحة لان المعدة الضعيفة من المرض ليست متأهلة الا لليسير الهضم فلو اعطيتها فوق مافى قوتها فلا ينهضم سائر مايدخل فيها بل ينفسد وقوام البدن انما هو بما تهضمه المعدة لا بما يصل اليها فقط فينبغى للناقه ان يكون كالمريض فى تناوله قليلا فى كل مرة ولكن فى غالب الاوقات وان لا يتعاطى فى المرة الا جنسا واحدا من الاطعمة وان لا يكثر من تغيير الاطعمة وان لا يستعجل فى مضغ ما يتناوله من الجوامد وان لا يكثر من الشرب وخير الشراب هو الماء المخلوط بشئ من الانبذة وليسر على قدر مايستطيع ماشيا او راكبا عربانة او فرسا ومن العبث ترك ركوب الخيل فى هذه الحالة لمن يملك الخيل كاغلب اهل الارياف واذا كان السير بعد تناول الطعام كان مقويا لمادة الهضم بخلاف فعله قبل فهو ربما يفتر الهضم وليتناول من قام من المرض يسيرا من الطعام فى المساء لان النوم اريح واصلح له من الاكل ولا يضره عدم قضاء الحاجة كل يوم نعم اذا جاوز يومين من غير خروج شئ فليحتقن ثالث يوم او قبله ان علم ان قبض بطنه تتولد عنه الحرارة او الانتفاخ او ضيق الصدر او وجع الرأس وينبغى لمن قام من مرضه جديدا ان لا يسرع فى العود الى شغله فان لم يصبر الى تمام عافيته طال ضعفه فالاستعجال على الشغل قبل اوانه يعقبه من الخسارة زيادة على مايؤمل كسبه فان لم يتحفظ على نفسه والا اصابه مرض الذبول فينبغى حين ارادة الاخذ للمبادى مراقبة العواقب

المادة الخامسة فى وصايا عامة على الصحة

اتخذ القناعة فى الاكل فمن لم يقنع لا يشبع بل يهلك نفسه * قيل من ارخى

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

على الطعام طويل عنائه حفر مقبرته بحدة اسنانه * لاتأكل دون مرتين فى اليوم
بل لا باس بثلاثة والصغار لهم ان يأكلوا اربع مرات بل خمسة) لاتنم عقب الاكل
ومدة النوم للسليم ست ساعات اوسبعة وللضعيف والصغير اطول من ذلك
تضمحل القوة والعقل ويذهب كل منهما باعتياد تطويل النوم * النظافة نصف
الصحة فلتكن فى البدن والثوب والمسكن والغذا والمتاع * لاتمضغ الدخان
ولاتنتشق به فكثرة اللعاب الذى يكسبه للطبيعة مضعف على طول الزمن وبه
يضيع الريق اللازم فى الهضم وينتن النفس وتسود الاسنان وتفسد وقد شوهد ان
كثيرا من الناس اعترته الحماقة بالاكثار من شرب الدخان اوشم النشوق * اياك
والانهماك على تعاطى الخمور والمسكرات سيما ايام الصوم وقد توهم انها تشد
القوى مع ان القوة المستفادة من تعاطيها تمر فى ادنى زمن ويعقبها وهن وذلك
كما ان النار تذكوا اذا اكثرت من نفخها وترعى الوقود سريعا ولا تعطى الحرارة
الادرجة واما الفلاحون الذين يشتغلون فى وقت الصيف فعليهم تغطية رؤسهم
وان يتداركوا اشغالهم

المادة السادسة فى معالجات لجملة علل وامراض

الاول الزكام والنزلة يقال هذا ليس بشئ ان هو الا زكام او نزلة نعم نسلم ان الانسان
لا يموت بذلك لكن يتسبب عن ذلك حرارة الصدر المهلكة له ومن كلام بعض
الحكماء الاقدمين يهلك بالنزلة والزكام ابلغ مما يهلك بالوبا وعلاج ذلك استعمال
الشربة المذكورة فى المادة الاولى اوتعاطى سلاقة الخبازى التى ربعها اوثلثها لبن
وينبغى قبيل النوم وضع الرجلين فى الماء الفاتر ولو انحبست البطن تعين الاحتقان
وينبغى الاقتصار على تناول الاطعمة الخفيفة وتعاطى اليسير فى الماكل
ولا باس بتعاطى بعض طاسات من خفيف مرقة الخشخاش الاحمر وقد توهم
بعضهم ان هذا الداء يذهب بالعرقى المحروق اوالخمر المعطر اوالحلو مع ان هذا كالقاء
الحطب فى النار اذ هذه الاشربة اقرب فى تثقيل هذا الداء من ازالته اوليس
ان هذا الداء حرارة وهى تزداد بهذه الاشربة) الثانى وجع الاسنان اذا كان الوجع
ناشئا عن فساد السن فخير علاجه كما قيل الكلبتان فاللائق قلعه والا دام الوجع

وفسد

وفسد غيره من الاسنان وربما جرّ ذلك الى فساد الحنك ولكن لو اختير بقاء السن
خوفا من قلعه فلا باس ان تختبر بان تلطخ على موضع الفساد قطنة مبلولة
فى قطرات من عصير القرنفل فان ذلك يصلحها زمنا طويلا وربما كانت نهاية
تفتتها وسقوطها ويمكن ايضا اصلاحها بان تلطخ على ذلك الموضع قطعة صغيرة
من عرق عاقر قرحا وتتمضمض بسليق النبات المسمى حشيشة الفضة واما اذا تحرك
الوجع من غير ان تكون الاسنان منفسدة فادم الغرغرة بالشعير او بالماء واللبن
وتضميد الصدغ بالضماد المطرى واتخذ الحموم جملة ليال بماء فاتر ولا تشرب
الانبذة المخدرة ولا تكثر من الاكل واما اذا كان بالاسنان قرح فتنضيجه بان تديم
فى فمك لبنا او تينا مطبوخا فى لبن فاذا انضج فافتحه فانه سهل غير مولم * الثالث
السكتة اعلم ان داء السكتة يأتى الانسان فجاءة فيعطل الحواس والحركات
الاختيارية ما عدا النبض وبه يعسر التنفس وهذا المرض مخوف فيجب
المسارعة الى الطبيب ومدة انتظار حضوره يجب اولا كشف رأس المريض
وتغطية ما عداه من البدن بشئ خفيف جدا وجلب الهواء الطرى عنده
وفتح طوقه بالكلية ثانيا يقام حسبما يمكن رأسه الى اعلا ورجلاه الى اسفل ثالثا
يحقن بحقنة مصنوعة من سلاقة الحشايش الطرية والملح رابعا اسقه كثيرا من
الماء حسب الامكان خامسا ابعاده الاشربة المخدرة كالخمر وكذلك الماء المعطر
شربا او ضمادا او سعوطا سادسا عدم مسه وتحريكه الا الضرورة سابعا عصب
الرجلين تحت الداغصة وهى العظم المدور والمتحرك فى وسط الركبة حتى يحجب
الدم عن الصعود الى الرأس وربما يرجع داء السكتة بعد ذهابه وكلما رجع كان
اصعب مما قبله فالواجب تداركه من قبل بان يأكل وهو فى هذه الحالة قليلا
جدا واولى ما ينفع له ان يترك العشاء وان يتجنب الاشياء الغزيرة المائية وطيبات
الروايح والحوامض والاشربة المقوية والقهوة وان يأكل قليلا من اللحم وكثيرا
من الخضراوات والفواكه وان يشرب دواء مسهلا مرتين او ثلاثا كل سنة
وان يتريض وان لا يكثر من السخونة فى اوضته او حرارة الشمس وان لا يتأخر
فى النوم او فى القيام منه وان لا يلبث فوق ثمان ساعات فى فراشه * الرابع

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

ضربة الشمس هو مرض يصيب الانسان متى اعترض فى حر الشمس زمنا طويلا عريان الرأس فيعرف هذا المرض بوجع الرأس الشديد واحترار البشرة واحمرار العيون وجمود الدموع وضعف البصر عن الامتداد الى الضوء وقد يحصل للمريض به سهر وربما احس بالنوم وقلق شديد او فى الغالب تكون بشرة الوجه محترقة فالمريض لا يزال شديدا حتى يأتى الطبيب سريعا فينبغى فى مدة انتظاره ان تضع رجلى المريض فى ماء فاتر وتدخله نصف حمام او حماما كاملا واحقنه باعشاب مطرية واسقه كثيرا من شربة الليمون والماء او اسقه ماء مخلوطا بيسير الخل وانفع من ذلك مصل اللبن الصافى المخلوط بيسير الخل والطخ على جبهته وصدغه ورأسه خرقة مطراة بماء بارد وخل معا * الخامس نهش السميات اولا اخرج الزبان اذا لصقت بالمحل الملدوغ ثانيا تعهده بالماء ثالثا الطخ عليه اما كزبرة او كرفسا او زهر الختمان رابعا فان عظم الحرقان فاسرع ما ينفع هو ان تبل خرقة صوف فى سلاقة الختمان وتلطخها وهى هينة الحرارة خامسا ان تلصق على الوجع لبخة من سحيق بزر الكتان او من لباب الخبز الممزوج باللبن او العسل * السادس قاعدة يجب اتباعها فى تعهد * الصغار والاطفال * حق على الامهات اللاتى يردن حفظ صحة ابنائهن وتربيتهم ان يتركن عوائد البربر من لف الاطفال بكيفية يمتنع معها تحركهم وتنقل ارجلهم او ايديهم فكيف يقلن لو اخبرهن انسان ان اللازم لصحتهن ان يحتبسن فى اثوابهن وان يلصقن اذرعتهن بيدنهن وان لا يتحركن كالمسلسل فلاى شئ يصنعن ذلك باطفالهن وهم ضعاف فاليطلقنهم يتحركوا وليعرضن اطرافهم للهواء * من يتوهم من غير مستند ان اهل الفرس الصغير او العجل كذلك من المستحسن لصحتهما ربطهما وتكتيفهما على ذلك الوجه او ليس ان حكم تربية الادمى هى كغيره من باقى الحيوانات * السابع السم بالفطر وهى جنس ردى من الكمأة كثير من الناس من يهلك بميله الى الفطر وكان الاحسن فى حقهم يقينا ان يتجنبوه وقد شوهد غير مرة ان الام تحمل لعيالها كثيرا من الفطر تستريهم به فتقتلهم بيدها واعمال هذا النبات السمى لا يظهر الا بعد مضى ست

ساعات

ساعات الى اثنتى عشرة فاول ماتحس بها اطلب الطبيب وتناول مدة
انتظار حضوره حبتين اوثلاث حبات من الطرطر مقى اى ملح طرطير المقى * بعد
تذويبه فى طاستى ماء * الثامن السم بالزنجار اعلم ان انية النحاس التى تستعمل فيها
المطبوخات هى خطرة بسبب زنجرتها سريعا والزنجار سم قوى فلتبيض اوانيك
وقتا بعد وقت بالقصدير ولا تترك الاطعمة تبرد فيها خصوصا اذا كان بها الخل
او الحماض او الحريفات او الدسمة فاذا اعترتك وانت محترز عن ذلك قولنج او قئ
فامزج نحو خمسة عشر من بياض البيض فى قزازتى ماء واشرب منها طاسة فى
نحو دقيقتين لتتقايا السم فان لم تجد البيض فاكثر من شرب اللبن فان عدمت
اللبن فمن الماء المحلى او ماء الصمغ * التاسع دآء الكلب وهو معروف لسائر الناس
بوصفه وعمله الرديئين وهو يتولد طبيعة فى الذياب والثعالب والسنانير وخصوصا
فى الكلاب وعضة الحيوان الكلب تكسب هذا الداء للادميين وغيرهم من
الحيوانات وعلامة الكلب الكلب انك تراه اولا كئيبا ذابلا مدة ايام فيختفى ويسلك
المحال المظلمة ولا ينبح بل يختفى ويترك المأكل والمشرب ثم يهجر بيت اصحابه ويجرى
من جهة الى اخرى ويقف شعره ويبتل لسانه من اللعاب ويتدلى من فمه وينعوج
ذنبه بين رجليه ويهرب من المائعات ويهم ان يعض سائر الناس حتى صاحبه ثم
يموت بعد يوم او يومين بشدة مسارعته وتفوح من جيفته رائحة منتنة فالواجب
حينئذ دفنها فى عميق من الارض ومتى عض هذا الكلب الانسان فان الجرح من
عادته ان يلتئم بالسهولة كانه غير مسموم وبعد مدة قليلة او كثيرة وهى ثلاثة
اسابيع الى ثلاثة اشهر يحس بالجرح وجع مكتوم فينتفخ اثره ويحمر وينفتح
ويقيح ومدته تخرج حارة منتنة محمرة ويذوق المريض الكآبة والخدر والكسل
والبرودة ويعسر عليه التنفس ويمسك الوجع امعاءه ويضطرب فى نعاسه ويعطش
عطشا مهلكا ويقاسى اذا شرب ثم يعتريه الارتعاد من الماء والمائع ويبح
صوته ثم يجن ويموت وليس من شأن من اصيب بهذا الداء ان يعض غيره دائما
بل معظم المبتلين بهذا الداء اذا احس هجومه عليه ينصح الحاضرين بان يكونوا
منه على حذر وما يذوقه من الالم تقصر عنه العبارة فيتمنى ولو الموت ومعالجته

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

هى ان اول ما يعضه الكلاب تسرع بوضع الدواء فيه فان توانيت سرح السم
الى الدم ولا يجدى التطبب شيأ وذلك الدواء هو ان تستخرج الدم من الجرح بعد
كشفه وتغسله بماء ملح وتكويه بحديدة بعد حرقها فى النار حتى تبيض بعد
الاحمرار وتغرزها فى سائر اقطار الجرح فلو بقى جزؤ من الجرح غير محكم الكى
كان الكى كلا شئ ويصح ان تستعمل بدل الحديدة المحروقة دهن الزاج فتدخله
بين شفتى الجرح وتجريه فى سائره ومتى انكوى اللحم تغطيه بخرقة مدهونة
بالقيروطى اى المرهم او بالزبدة الطرية واعلم انه يجب غسل الثياب المثقوبة باسنان
الكلاب الكلب لما انها حين تشربت من ريقه تخلل بها جزء من سمه وما تقدم لك
هو الكيفية المتعينة المجربة فى هذا المرض الشديد فلا تتردد او تخف قليلا من الالم
الذى يطرد غيره من الالم الشديد او الهلاك المفزع وايضا لو طلبت الحكيم لاثبت
لك بسداد رأيه هذه المعالجات السالفة ولا باس ان تستعمل هذا الدواء فى اى
حيوان معضوض بكلب كاب * وازل ما على الجرح من الشعر ولو كان
المعضوض اذنا او ذنبا فلتقطعه ولتكو على ما سبق موضع القطع وينبغى ان
تعزل البهائم المعضوضة عن غيرها من سائر البهائم حتى يزول ما بها ولا تعدى
غيرها * العاشر الاستعانة على افاقة الغريق لا تيأس من افاقة الغريق الا اذا
اخذ بدنه فى العفونة فحينئذ ولو مضت ساعات كثيرة من وقت غرقه او ذهبت
حركته بالكلية او فقد امارات الحياة فافعل به ما يستحقه عليك من واجبات
الاخوة فقبل كل شئ اطرد من اجتمع عليه من الخلق لانه يضيق الصدر ويحجب
الهواء ثانيا لو رأيت الغريق قد فقد الحس والحركة فامل رأسه بحيث يكون
وجهه الى اسفل وافتح شفتيه حتى يخرج بسهولة الماء الذى قد دخل من الفم
او الانف وارفع رأسه مغطاة بقلنسوة من صوف ان تيسرت وادرج باقى بدنه
فى نحو ملحفة وانقله سريعا الى اقرب موضع رابعا بعد وصوله اخلع ما عليه من
الثياب باسهل ما يمكن ولو بتقطيعها بالالات ان لزم * خامسا افرش له عند ذلك
بعض طراحات ومخدات بها بعض صلابة واجعلها قريبا من نار متقدة وضع فوق
الطراريح ملحفة من الصوف ورقد الغريق فوقها مرفوع الرأس ملفوف البدن

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

سادساد لك البدن تحت الملحفة بالرفق بخرقة صوف مدفئة يابسة ثم دلك بالمائعات القوية المستقطرة على ظاهر بدنه خصوصا على السرة وما حولها والاولى خصوصا فى الشتاء ان تسخن عاجلا ماء وتملأ منه مثانات على الثلثين من ماء هين الحرارة وتضعها فوق اجزاء البدن المحتاجة للحرارة سابعا مدة الدلك او عقب وضع المثانات ينبغى ان تدخل الهواء فى صدره بان تضع قصبة او ريشة فى فم المريض او فى احدى طاقتى انفه مع فتح الاخرى وانفخ فى تلك القصبة بمنفاخ لدفع الهواء فيها فان كان النفخ فى الفم فاقبض الانف ولكن ارخ اصابعك مرة بعد اخرى ليخرج منه الهواء احيانا ثامنا اشممه القلى البخارى يعنى الروح البخارية من ملح النشادر بان تقرطس ورقة حتى تكون مبرومة فى صورة فتيلة وتشربها من قزازة قلى بخارى وتعرضها تحت انف الغريق او تدخلها فى منخاره وتكرر هذا العمل مرارا بالرفق تاسعا العقه ان امكن يسيرا من روح الانبذة المخلوط بالكافور وربما امكث هذا المائع فى فمه يسيرا من الزمن ثم بلعه ولكن لا تملأ فمه منه حتى يتعسر بلعه عاشرا لو بلعها فاعطه اكثر منها فلو تحركت معدته من غير وجود قئ وذلك ما يتعبه فاعطه ثلاث حبوب من الطرطر مقى مذوبة فى ثلاثة او اربعة ملاعق ماء فان تقايا بهذه الكيفية فاسقه ماء فاترا وان انزل من المخرج شيأ فقوه بتناوله شيأ من الانبذة حادى عشر لو ابطأ عن الاحساس فاحقنه حقنة حريفة وصورتها ان تأخذ اوراقا يابسة من الدخان قدر نصف اوقية ومن الملح المعتاد ثلاثة دراهم وتغلى ذلك فى مقدار من الماء يعادله نحو ربع ساعة وتحقنه به ويصح ان تؤلف هذه الحقنة من نصف طاسة ماء وطاسة خل وربع رطل من الملح المعتاد وهذه كيفية معالجة الافاقة للغريق وتدبيرها ممكن لكل انسان حتى يحضر الطبيب فيعينهم ايضا ولو كانت مفيدة ففائدتها لا تحصل الا بعد التدبير مدة ساعات على التوالى ففائدة ذلك بطيئة خفية ولذلك كان اللازم استدامة ذلك زمنا فمن الغرقى من لا يفيق الا بعد ست ساعات او سبعة من مبدء خروجه من الماء الحادى عشر غيبوبة الحياة برايحة بيوت الاخلية والبالوعات والابار والمجارى ونحوها

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

اولا اخرج سريعا من اصيب بهذا الداء وضعه تحت الهواء ثانيا جرده من الثياب
ورش على بدنه ماء باردا او ماء مشوبا بخل وهو اولى واولى منه حامض الجير ثالثا
العقه ماء باردا ممزوجا بقليل من الخل رابعا احقنه بحقنة ماء بارد ثلثها خل
ثم بعد ذلك احقنه بملح ذائب خامسا ادخل فى انفه طرف شعر ريشة وحركها
بالرفق سادسا ادخل الهواء فى صدره بواسطة قصبة وانفخها بمنفاخ كما سلف
فى الغريق عند العمل السابع واسلك سبيل النشاط والاستعجال فى هذه المعالجة
فكلما ابطأت كلما ظن اليأس من انتاجها ولما كان الموت لا ينكشف الا بعد مدة
تحتم ادامة المعالجة حتى يتيقن * الثانى عشر غيبوبة الحياة بالبرودة اعلم
ان شدة البرد قد تستحكم باعمالها فى الانسان فتجمد الاعضاء وتحبس جريان
الدم وربما مات بها الانسان ودواؤها مخوف العاقبة جدا وان كان لا الم به ابدا
فمباديها هو الرعشة التى تكاد ان تكون مصرعة وصلابة الجسم وانحباس الدم
وخدر المفاصل وذهاب الاحساس والتذاذ البدن بالنوم وانقياده اليه ولو بالقهر
وانقطاع حركات الحياة على التدريج وعاقبته خروج المبتلى به من حيز الاحياء
الى حيز الاموات وفى الحقيقة حركات الحياة ليست الا متوقفة فعليك ان تسرع
فى معالجته بدواء سواء ذهبت امارات الحياة بالكلية او بقى منها شئ واعلم ان بعض
الناس توهم ان معالجة افاقته تكون بالحرارة وهذا وهم فاسد لاضرار الحرارة
بكثير من الناس ولكن معالجته هى ان تلف اولا بدنه فى ملحفة من صوف وتحمله
الى اقرب ما يرتاح فيه من الاماكن وتخلع ثيابه وتضعه فى فرش غير محمى ثانيا
اذا كان عندك ثلج فدلك البدن مع رفق بشئ من ذلك مارا من القلب الى المفاصل
ثم بعد لحظات ادلكه بدل الثلج بخرقة مسقية بماء بارد وبعده بماء فاتر
ثم بماء مسخن ورش على وجهه شيأ من هذه المياه ثالثا لو تعذر الثلج فضعه فى حمام
فيه ماء بئر بارد وبعد نحو ثلاثة دقايق افرغ عليه قليلا من الماء المسخن
وهلم جرا فافرغ عليه كل ثلاثة دقايق حتى تذهب برودة الماء على التدريج
ويصير فاترا معتدلا واعمل جميع ذلك نحو ثلاثة ارباع ساعة فقط فان
استشعرت برجوع حركة نبض المريض فلك ان تزيد حرارة الحمام حتى

يصير فى درجة سخونة الحمام المعتاد وما دام المريض فى الحمام فرش على وجهه يسيرا من ماء بارد بعد تدليكه بخرقة رقيقة * رابعا المسه فى انفه بطرف ريشة او بفتيلة ورق مسقية من القلى البخارى * خامسا ادخل الهواء فى صدره بواسطة انبوبة او منفاخ كما سبق فى الغريق * سادسا اعطه سفوفا حبات من الملح المعتاد والعقه لعقتين ماء باردا مخلوطا بقطرات من ماء الملكة * سابعا اذا بقى بالمريض الخدر فاسقه قليلا من ماء ممزوج بخل وان كان نومه به سبات فاحقنه بحقنة حادة وهى ما تقدمت فى شأن الغريق ومن سوء الخطا توهم ان استعمال الخمور والمسكرات القوية يمكن ان يتدارك بها ابعاد هذا الداء مع ان الامر بعكس ذلك وهو ان كثرة الاشربة تحبس جريان الدم فمن ينهمك على تعاطيها فهو اشد تأثرا من غيره بآفات البرودة * الثالث عشر غيبوبة الحياة بدخان الفحم كل من يمكث فى غرفة مغلوقة موقود بها فحم فقد القى نفسه فى مهلكة فبدؤها يحصل للانسان شدة وجع الرأس وبعد ذلك يعتريه تعسر النفس ثم يقع فى ذبول كحالة الموتى فان عولج فذاك والا هلك ومعالجته هى ان تسرع الى تعريضه فى الهواء وتجرده من اثوابه وتنيمه على ظهره وتسقيه ماء ممزوجا بخل وترش من هذا الماء على وجهه وصدره وتبل خرقة من ذلك الماء وتدلك بدنه بها وتمسح وجهه ثم تعيد ذلك جملة مرات وتقرب نحو مشامه عود كبريت مشتعل او غيره من حاد الرائحة وتغمزه فى باطن انفه بطرف ريشة وتحقنه مرتين الاولى بماء ممزوج بخل والثانية بماء ملح فان بقى بعد ذلك على حالته فدلك فقار ظهره بمسحة من عرف حيوان والطخ شيأ من معجون الخردل على بطن رجليه وادخل الهواء فى صدره بان تدخل فى احدى طاقتى انفه فم منفاخ وتنفخ والحال ان الاخرى مسدودة فاجتهد وواظب على ذلك وليس فى الغالب يفوق المريض فان ساعدتك المقادير على افاقته وظهر شئ من امارات الحياة فضعه فى فرش عظيم التسخين فى غرفة بها الهواء والعقه شيأ من خير الاشربة * الرابع عشر فى معالجة الحرق اول ما يحترق عضو الانسان فليغمس العضو فى ابرد ما يمكن من الماء وان تعذر غمسه فى الماء فرشه دائما باسفنجة مملوءة منه وكلما تسخن الماء

المستعمل فى ذلك الغسل يجدده وواظب على ذلك ساعات وافتح ما ينتفخ من الدمامل بطرف ابرة واحذر ان تفشخها او تسلخ البشرة ثم الطخ على ذلك العضو المرهم الملصوق على بعض خرقة رقيقة بورق اللازورق ومحل هذا كله مالم يمض نصف ساعة قبل غسل العضو المحروق فى ماء بارد والا فهذا الدواء يكون مضرا بل فى هذه الحالة لابدان تكتفى باستعمال المرهم الذى تنوب عنه الزبدة الطرية ولو رأيت الحرق امتد على العضو بتمامه فعليك بالحكيم لتستعين به على ذلك * الخامس عشر فى الجدرى والتخلص من مجيئه بتلقيح البقرى امر الجدرى معلوم وكونه اما قاتلا او مشوها سيما بالوجه بين عند سائر الناس وربما اذهب البصر واورث اسقاما لا تنقضى الا بانقضاء الاجل وهنالك طريقة لتداركه قبل اوانه مجربة فمن مرض بالجدرى مع وجودها فهو من سوء تفريط والديه واهمالهم فعلى اب الانسان وامه المبادرة لذلك فاذا بلغ سن المولود ستة اسابيع الى ثمانية وجب طلب الحكيم ليخرج سم الجدرى بالتلقيح ولا عذر لهما ان اهملا فى ذلك لقدرتهما على مداواة ولدهما فلو تركاه حتى اصيب بالجدرى فقد فات اوان استعمال تلقيح البقرى فيندمان حيث لا ينفع الندم وفى بعض الممالك تلقيح البقرى للاطفال معين على بيت المال فلا كلفة فيه خصوصا على الفقراء فعلى اهل هذه المملكة ان يقبلوا عليه فى الحال ولا يتأخروا الى غد فربما فى اليوم القابل تحرك سم الجدرى ولا يغتر بقول من يزعم انه غير مثمر شيأ فصحيح التجربة اوضح فائدة استعماله ومن استعمله لطفل فاصيب الطفل بعد ذلك بالجدرى فذلك لفقد شروط كون التلقيح كان غير محكم الوضع والحبات الذى اخذت كانت غير تامة فاذا استعملته فى المولود فاطلع الحكيم على حبات البقرى تحقق اصابة استعماله وعدمها واستعمال تلقيح البقرى غير مولم فهو اخف من شكة ابرة ولا يمرض به الانسان ويصح استعماله لاى عمر كان والجدرى داء متوقع مدة اجل الانسان حتى كانه دين ماله الى القضاء وقضاؤه يحصل بالمسارعة الى استعمال تلقيح البقرى لمن يريد التخلص من اصابته * خاتمة * هذا آخر ما اردنا شرحه من النصايح النافعة للصحة * فالصحة

جوهر نفيس عن سائر ما عداه * اذ بسلبها لا تنفع زينة الحياة * فما ثمرة الاموال لعليل * لا يتمتع منها بشفاء الغليل * يذهب المريض كنوز ذهبه * لمن يبريه من وصبه * ومع ذلك قد يكون خلاف غرضه * فلا يصح له الشفاء من مرضه * تقرع الامراض باب الخطير * على نسق ما تقرع باب الحقير * ولا ترق لشكواه * ولا تسمع دعواه * حكمة بالغة للحكم العدل * ذى الاقتدار والفضل * فليس بنا قوة ولا حول * بل الكل بحول وقوة ذى الطول * فهو الممرض والشافى * والمبلى والمعافى * ها نحن الآن فى حيز الحياة والثبات * ولا ندرى هل نعد غدا فى زمرة الاموات * فهذا امر خفى لا نصل الى فهمه * كيف وقد استأثر الله به غامض علمه * فلا نثق بالمخايل الظاهرة * من الصحة الزاهية الزاهرة * فربما فى اسرع من البرق اللامع * تعترينا الامراض وتلزمنا المضاجع * وقدرتنا على القبض على الاجل * وحفظ الصحة من الخلل * كاقتدارنا على عروج السما * واتخاذ الافلاك سلما * فعلينا بالاستعداد للمعاد) ولنكن كالمسافر المستحضر على الحمل والزاد * العازم على الرحيل * الجازم من الاقامة بالقليل * قد كان بالامس نوبة الجار * وستأتى غدا نوبة صاحب الدار * ولا خوف علينا ولا حزن * حيث كان خلاص ذمتنا حسن * هذه والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه وسلم

الفصل العاشر فى فعل الخير بمدينة باريس

اعلم ان غالب الناس ببلاد الافرنج وسائر البلاد التى تكثر الصناعة والنجامة فيها يعيشون من كسب ايديهم فاذا حصل للانسان منهم مانع كمرض او نحوه فقد معيشته واضطر الى ان يعيش من غير كسب يده كان يتكفف الناس او نحو ذلك فشرعت المارستانات المعدة لفعل الخير حتى ان الانسان لا يسأل ما فى ايدى الناس وكلما كثرت صنائع بلدة وكثر كسبها كثرت اهاليها فاحتاجت الى مارستانات اكثر من غيرها ومعلوم ان مدينة باريس من اعمر المدن واكثرها صناعة ونجامة فلذلك كثرت مارستاناتها ومواضعها المصنوعة لفعل الخير فكانت مارستاناتها وجمعيات فعل الخير بها سادة لخلل شح افرادها وبخلهم لما تقدم انهم بمعزل عن الكرم من العرب فليس عندهم حاتم طى ولا ابنه عدى ولم

يخرج من بلادهم معن ابن زايدة الشهير بالحلم والندى الذى قال فيه الشاعر

يقولون معن لا زكاة لماله … وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد فى دياره … من المال الا ذكره وجمايله
تراه اذا ما جئته متهللا … كانك تعطيه الذى انت نائله
هو البحر من كل النواحى اتيته … فلجته المعروف والبر ساحله
اذا مر بالوادى فتبكى تلاله … عليه وبالنادى فتبكى ارامله
تعوّد بسط الكف حتى لو انه … اراد انقباضا لم تطعه انامله
ولو كان ما فى كفه غير روحه … لجاد بها فليتق الله سائله

ولم يسمع فى بلادهم عند ملوكهم ووزرائهم شئ ولو يسيرا مما يحكى عن بنى العباس والبرامكة اصلا فالملك المنصور المشهور بالدوانقى اكرم الكرما بالنسبة اليهم نعم ان البلاد المتحضرة يقل كرمها وايضا يرون ان اعطاء القادر على الشغل شيأ فيه اعانة له على عدم التكسب وفى مدينة باريس ديوان لتدبير المارستانات واهله خمسة عشر نفسا للمشورة العامة وفى هذا الديوان خمسة نظارات النظارة الاولى لمباشرة المارستان النظارة الثانية لمباشرة مهمات المارستانات والخدمة للمرضى والعقاقير العامة النظارة الثالثة مباشرة الاوقاف النظارة الرابعة مباشرة الفقراء فى بيوتهم واعانتهم النظارة الخامسة مباشرة مصاريف المارستان وتوابعها ولا يدخل الانسان المارستان الا اذا ثبت مرضه بقول الحكماء ومن قام من مرضه فى المارستان واراد ان يخرج منه قبل ان يتم شفاؤه وترجع له قوته اخذ من الوقف بعض شئ يستعين به على قوته حتى يمكنه الرجوع الى اشغاله واعظم مارستان باريس المارستان المسمى اوتيل ديو يقرب ان يكون معناه بيت الله وهو موقوف على المرضى والجرحى ولا يدخل فيه الاطفال ولا ارباب الداء العضال ولا المجانين ولا النفساء ولا ارباب الامراض المزمنة ولا المبتلى بالافرنجى فان لكل داء من هذه الاشياء له مارستان خاص ومن المارستانات الشهيرة فى باريس مارستان يسمى سنلويز وهو معد لارباب الامراض المزمنة ولارباب الدمامل والقوبة والحكة

والجرب

والحرب ونحو ذلك وفي باريس مارستان للقطة يعني الاطفال الذين يلتقطونهم من الطرق فيدخل فيه الذين يهملهم اهلهم كاولاد الزنا ونحو ذلك وفي باريس مارستان ايضا للايتام وفيه يدخل الاولاد الفاقدون لاهاليهم وهو موقوف على نحو ثمانماية ذكر وانثى فالذكور فيه في شقة والاناث في اخرى ويباشر هذا المارستان عدة راهبات تسمى عندهم اخوات الاحسان وتعلم صغار هذا المارستان فيه القرأة والكتابة والحساب ولهذا المارستان ديوان يدبره فلا يوضع الصغير في هذا المارستان الا بامر هذا الديوان واذا بلغ الانسان احد عشر سنة في السن فانه يخرج باذن اهل ذلك الديوان من هذا المارستان ويسكن عند معلم صنعة ومصرفه يخرج من وقف المارستان ولمعلم الصنعة ان يتبنى الصغير اي يأخذه وينزله منزلة ابنه ولكن بشرط ان يثبت لاهل ذلك الديوان يساره وفضله وحسن حاله ومن جملة مارستانات باريس مارستان موقوف لتلقيح الجدري بوضع البقري ومنها مارستانان يسميان مارستاني الشيخوخة والهرم فاحدهما للذكور والاخر للنساء ومنها مارستان لاصحاب الداء العضال موقوف على اربعماية وخمسين مريضا ذكرا وخمسماية وعشرين مريضة ومنها مارستان العميان من اهل باريس اوغيرها من العمالات فلهم فيه الاكل والشرب وسائر ما يحتاجون اليه في تعليمهم ونحو ذلك ومنها مارستان المجانين وفيه قشلة عظيمة تسمى مارستان السقط وفيه يوضع مجاريح الحروب ومقاطيع الايدي او الارجل او نحو ذلك وهو من انظف واعظم المارستانات وفيه ستة عشر طبيبا وجرائحيا وستة عقاقيرية لصناعة الادوية ويوجد في باريس زيادة عن هذه المارستانات ديوان عام يسمى ديوان الاحسان والمقصود منه تكميل الخير الذي لا يمكن في المارستانات كما اذا احرقت تجارة تاجر او انكسر فانه يجبر من هذا الديوان بشروط معلومة وفي كل خط بباريس ديوان احسان والاحسان فيه قسمان احسان حالي واحسان حولي فالاول يعطى للفقير الذي وقف حاله او حدث له ما يعطله والثاني لمن به حالة دائمة تمنعه من الشغل ومن فعل الخير بمدينة باريس انه يوجد بشاطئ نهرها علب وحوايج بها روايح لتشميم الغريق

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

والمغشى عليه والجريح ونحو ذلك ليفيق ويوجد ايضا بهذه المواضع عدة رجال من اهل الخبرة لينهضوا الاسعاف من وقعت له حادثة عارضة ومن هذا كله يتبين ان فعل الخير بمدينة باريس اكثر منه فى غيرها بالنسبة للجملة اوللمملكة لا لكل واحد على حدته فانه قد يشاهد فى طرقها ان بعض الناس الذين يذهبون الى المارستانات الموقوفة ونحوها يقع فى وسط الطريق من الجوع وربما تراهم ينهرون السائل ويردونه خائبا زاعمين انه لا ينبغى السؤال ابدا لانه اذا كان السائل قادرا على الشغل فلا حاجة له الى السؤال وان كان عاجزا عنه فعليه بالمارستانات ونحوها ولان السائلين عندهم اصحاب حيل فى تحصيل الاموال فى غالب الاحوال حتى انهم يتشكلون فى صورة المجاريح ونحوهم ليشفق الناس عليهم ويرقوا لحالهم ومن فعل الخير انهم يجمعون عند الحاجة اشياء لمن نكبه الزمان حتى يصير بها غنيا فمن ذلك انهم جمعوا الاولاد الجنرال نحو مليونين من الفرنكات يعنى ستة ملايين قروش

الفصل الحادى عشر فى كسب مدينة باريس ومهارتها

اعلم ان من المركوز فى اذهان هؤلاء الطوائف محبة المكسب والشغف به وصرف الهمة اليه بالكلية ومدح الهمة والحركة وذم الكسل والتوانى حتى ان كلمة التوبيخ المستعملة عندهم على السنتهم فى الذم هى لفظة الكسل والتنبلة وسواء فى محبة الاشغال العظيم والحقير ولو حصل من ذلك مشقة او مخاطرة بالنفس فكانهم فهموا قول الشاعر

حب السلامة يثنى عزم صاحبه   عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا   فى الارض اوسلما فى الجو واعتزل

ودع غمار العلى للمقدمين على   ركوبها واقتنع منهن بالامل

الى ان قال

فانما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعول فى الدنيا على رجل

ثم ان اعظم التجارات واشهرها فى باريس معاملات الصيارفة والصيارفة قسمان صيارفة المملكة اوالميرى وصيارفة باريس ووظيفة صيارفة الدولة بالنسبة

للتجارة ان تودع الناس ما يريدون وضعه ويأخذون كل سنة ربحه المعين فى قانونهم فلا يبعد عندهم هذا الربح ربا الا اذا زاد عما فى القانون وللانسان ان يأخذ ما اودعه من المعاملة عند صيارفة الدولة متى اراد ومثل ذلك صيارفة باريس فانهم يأخذون ويعطون الاموال بالمرابحة وهم يعطون الربح ازيد مما تعطيه صيارفة بيت المال الذين هم صيارفة المملكة ولكن المال المودع عند صيارفة المملكة آمن من المودع عند صيارفة المدينة وذلك لان صيارفة المدينة قد يفلسون واما صيارفة الدولة فان ما يأخذونه يكون دينا على الدولة والدولة دائما موجودة ومن امور المعاملات المهمة عند اهل باريس جمعية تسمى الشركا فى الضمانة فانها تضمن لمن يدفع لها كل سنة قدراهينا مخصوصا سائر ما يتلف فى بيته بحادثة قهرية كما اذا انحرق بيته اوحانوته اونحو ذلك فانها ترجعه له كما كان وتدفع له قيمته وفى مدينة باريس معامل سلطانية ومعامل غير سلطانية فمنها معامل المعادن كاشتغال الفضة والذهب واتخاذ الانية منهما ومنها معامل الصينى والفرفورى ومعامل الشمع الاسكندرانى ومعامل الصابون والقطن والجلود المدبوغة وشغل السختيان ونحو ذلك وصناعتهم تعظم جودتها شيأ فشيأ حتى انهم كل نحو ثلاثة سنوات يعرضون اشغالهم على رؤس الاشهاد ويظهرون ما اخترعوه وما كملوه وفى باريس عدة خانات عظمى توجد فيها سائر المبيعات ووكائل وحوانيت وبيوت للتجارة او الصناعة مكتوب على واجهتها اسم التاجر واسم تجارته وبعض الاحيان قد يكتب اسم المتجر ولا يمكن ان يشرع الانسان فى التجارة الا اذا دفع لبيت المال شيأ ولو هينا فيأخذ نشانا علامة على الاذن له فى التجارة فيحتاج ان يكون معه النشان وعلى تجارته وللتجارة مكتب مخصوص يسمى مكتب التجارة يتعلم فيه التلامذة علم التجارة وعلم تمييز صفات انواع الاشياء المبيعة ومعرفة الاثمان والقيم وفى هذا المكتب خمسة عشر مدرسا وفيه تلامذة من اقاليم عديدة وبمقتضى قانون ذلك المكتب انه بدفع القدر المعين يقبل من اراد الدخول للتعليم من سائر الامم ومن الامور التى تعين على التجارة والكسب تعمير طرق البر والبحر فمن ذلك صناعة الخلجان والقوارب التى تسير بالدخان ونصب

القناطر ونصب دواوين تسفير العربيات الكبيرة والتيلغراف وهى الاشارة ونصب البريد بالساعى والبريد بالخيل وغير ذلك فانظر الى مدينة باريس فان حولها اربعة خلجان تأتى منها المتاجر وفى نهر السين تسير قوارب على صورة العربات وقوارب تمشى بالنار سريعة السير وبمدينة باريس جملة انواع من العربات مختلفة الشكل والاسم والسير والاستعمال فمنها عربات معدة لوسق الامتعة من باريس الى البلاد البرانية وتسمى رولاحة ومنها جنس معد لوسقه بالناس ليسافر فيه الناس ويسمى الدلجنس ومنها عربات صغيرة للسفر الى المحال القريبة من باريس تسمى كوكو بضم الكافين ويدفع فيها على كل رأس قدرا معلوما كالسفر فى السفن وفى باريس عربات تستأجر الى اجل معلوم كيوم اوشهر اوسنة والعربيات العادية فى باريس هى الفياكره وهى ما فيها مقعد فيه سدلتان متقابلتان تسعان ستة انفس ولها حصانان يسحبانها والكبريوله وهى نصف الفياكره فلها سدلة واحدة وركوب الفياكره او الكبريوله تكون اجرته بالساعة او يستأجره من محل الى محل آخر واجرة ذلك محدودة لا تزيد ولا تنقص ووجودها فى سائر طرق باريس اكثر من وجود الحمير فى طريق القاهرة وقد تجددت الآن عربيات كبيرة تسمى الامنيبوس ومعناها لكل الخلق وهى عربات كبيرة تسع كثيرا من الخلق مكتوب على بابها انها تمشى الى الحارة الفلانية فكل الناس الذاهبين الى حارة واحدة يركبونها ويدفع كل منهم قدرا معينا وهى موجودة فى امهات خطوط باريس ومن العربيات جنس ينقل امتعة البيوت ومنها عجلات البياعين ويوسقونها ويدورون بها فى الطرق ليبيعوها وهذه العجلات قد يسحبها حصان وقد يسحبها حمار وقد يسحبها شخص وحده او مع كلبه وبها اجناس اخر من العجلات لحمل الحجارة والتراب وغير ذلك واما البريد المسمى عند الفرنسيس البسطة فانه من اهم المصالح النافعة فى التجارات وغيرها يسهل فيه اخبار الغير بواسطة المكاتبات التى تذهب عاجلا ويأتى ردها فى اسرع ما يكون وتدبيرها بكيفيتها التى هى عليها من اعظم ما يمكن فان المكاتيب التى تبعث فى البلد او العمالة تصل الى صاحبها من غير شك لان سائر نمرة البيوت مكتوب

عليها بالرقم عددها المسمى النمرة فبها يمتاز البيت عما عداه والمكتوب الذى يبعثه
لانسان تضعه فى محل المكاتيب الموضوع فى كل حارة فيأتى الساعى ويأخذه
فيصل المكتوب الى الحارة الاخرى ويأتى رده فى يومه ثم ان الفرنساوية يحترمون
امور المراسلات غاية الامكان فلا يمكن لانسان ان يفتح مكتوبا معنونا باسم آخر
ولو كان متهما بشئ ولما كان احترام المراسلات بباريس على هذه الحالة كثرت
الرسائل بين الاحباب والاصحاب خصوصا بين العشاق لأمن الانسان على
مكتوبه من ان يفتحه غير المرسل اليه المعنون باسمه واعلام العشق بين العاشق
ومعشوقته يكون بالمراسلة وبها ايضا يحصل الوعد بالمواصلة وفى باريس محل
لارسال المعاملات والحوايج مع الساعى ايضا من غير خوف ابدا ومن الامور
النافعة فى التجارات الجرنالات فيكتبون فيها كثيرا من البضاعة النافعة
او الجيدة الصنعة ويمدحونها ليروجوا السلع وليعلموا الناس بها وصاحب
البضاعة يدفع لهم شيأ فى نظير ذلك وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى
وقد يطبع التاجر الذى يريد ترويج سلعته عدة اوراق صغيرة ويرسلها مع خدم
فى سائر البيوت ولسائر المارين بالطرق ويفرقها عليهم مجانا ففى هذه الاوراق
يذكر اسمه واسم دكانه وما عنده من المبيع ويعين القيمة لسلعته وبالجملة ففى مدينة
باريس يباع سائر ما يوجد فى الدنيا سواء كان خطيرا او حقيرا ومن اعظم الاشياء
دكاكين العقاقيرية فبها توجد سائر الادوية مجهزة وسائر العقاقير التى على وجه
الارض المعروفة الاسم والخاصية وسائر الخلق بباريس يحبون الكسب
والتجارة سواء الغنى والفقير حتى ان الصغير الذى لا يمكنه التكلم الا بالاشياء
الصغيرة اذا اعطيته فلسا يفرح به ويصفق بيده قائلا ما معناه بالعربية كسبت
وقنيت ولولا ان كسبهم مشوب فى الغالب بالربا لكانوا اطيب الامم كسبا
واذا كسدت تجارة احدهم كما هو غالب فى تلك البلاد فسد حاله وآل امره
الى تطلب ما فى ايدى الناس وربما اخذ معه مكتوبا من احد الكبار يدل
على كساد حاله وانه يستحق الاعانة ويكثر وقوع مثل هذا الامر فى هذه المدينة
وان كثر اخذها وعطاؤها وتداول الامطار والرياح لا يمنع الانسان منهم

الخروج الى شغله يقولون بلسان حالهم اليد الفارغة تسارع الى الشر والقلب الفارغ يسارع الى الاثم واهل باريس اغنياء جدا حتى ان المتوسط منهم اغنى من تاجر عظيم من تجار القاهرة فلا يرضون قول الشاعر

ولا فخر الا بالنوال وبالعطا　وليس بجمع المال عز ولا فخر

بل يحرصون على الاموال ويسلكون سبيل الحرص زاعمين انه يزيد فى الارزاق ولا يقتدون بقول الشاعر

وليس يزاد فى رزق حريص　ولو ركب العواصف كى يزادا

وقد يوجد بها من اهالى الحرف الدنيئة من ايراده كل سنة ابلغ منماية الف فرنك وذلك من كمال العدل عندهم فهو المعول عليه فى اصول سياساتهم فلا تطول عندهم ولاية ملك جبار او وزير اشتهر بينهم انه تعدى مرة وجار ولا شك انهم يأسس فى قلوبهم قول الشاعر

والملك الجبار والمنيع　ما عنده هاد ولا شفيع

رعية الجبار مرعى الحرب　والملك العادل نصف الخصب

وهذا لا يمنع من انهم يدفعون الميرى عن طيب خاطر لما انهم يرون ان الخراج عمود الملك اذا دفع كل انسان منهم ما هو عليه قادر فالميرى هو قوام صورة الممالك واحسان مصرفه فى استحقاقه خير مما هنالك قال الشاعر

والمال اس لقيام الصورة　وخير منه صالح المشورة

ولما كانت رعيتهم رايعة كانت الدولة عندهم لها ايراد سنوى عظيم فان ايراد الدولة الفرنساوية كل سنة نحو تسعماية وتسعة وثمانين مليون فرنك ومن جملة اسباب غناء الفرنساوية انهم يعرفون التوفير وتدبير المصاريف حتى انهم دونوه وجعلوه علما متفرعا من تدبير الامور الملكية ولهم فيه حيل عظيمة على تحصيل الغنا فمن ذلك عدم تعلقهم بالاشياء المقتضية للمصاريف فان الوزير مثلا ليس له ازيد من نحو خمسة عشر خادما واذا مشى فى الطريق لا تعرفه من غيره فانه يقلل اتباعه ما امكنه داخل داره وخارجه وقد سمعت ان قريب ملك افرنسيس المسمى الدوك درليان وهو الان السلطان الذى

Digitized by Google　Original from PRINCETON UNIVERSITY

هو من اعظم الفرنسيس مقاما واكثرهم غناء له من الاتباع وسائر من فى طرفه من العساكر ونحوها كالبستانجية والخدم وغير ذلك نحو اربعماية نفس لاغير والفرنساوية يستكثرون ذلك عليه فانظر الفرق بين باريس ومصر حيث ان العسكرى بمصر له عدة خدم

الفصل الثانى عشر فى دين اهل باريس

قد تقدم لنا فى الشرطة ان دين الدولة هو دين النصارى القاثوليقية وقد بطل هذا الشرط بعد الفتنة الاخيرة وهم يعترفون للبابة الذى هو ملك رومة بانه عظيم النصارى وكبير ملتهم وكما ان الدين القاثوليقى هو دين الدولة الفرنساوية كذلك دين غالب الناس عندهم وقد يوجد بباريس الملة النصرانية المسماة البروتستانية وغيرها ويوجد بها كثير من اليهود المستوطنين ولا وجود لمسلم مستوطن بها وقد اسلفنا ان الفرنساوية على الاطلاق ليس لهم من دين النصرانية غير الاسم فهم داخلون فى اسم الكتابيين فلا يعتنون بما حرمه دينهم او اوجبه او نحو ذلك ففى ايام الصيام فى باريس لا ينقطع اكل اللحم فى سائر البيوت الا نادرا كبعض القسس وبيت ملك الفرنسيس القديم واما باقى اهل المدينة فانهم يستهزؤن بذلك ولا يفعلونه ابدا ويقولون ان سائر تعبدات الاديان التى لا نعرف حكمتها من البدع والاوهام ولا تعظم القسس فى هذه البلاد الا فى الكنايس عند من يذهب اليهم ولا يسأل عنهم ابدا فكانهم ليسوا الا اعداء للانوار والمعارف ويقال ان غالب ممالك الافرنج مثل باريس فى مادة الاديان ثم ان مسيو دساسى لما اطلع على ذلك كتب عليه ما نصه قولك ان الفرنساوية ليس لهم دين البتة وانهم ليسوا نصارى الا بالاسم فيه نظر نعم ان كثيرا من الفرنساوية خصوصا من سكان باريس ليسوا نصارى الا بالاسم فقط لا يعتقدون اعتقادات دينهم ولا يتعبدون بعبادات النصرانية بل هم فى اعمالهم لا يتبعون الا اهواءهم تشغلهم امور الدنيا عن ذكر الاخرة تراهم مادامت حياتهم لا يهتمون الا باكتساب الاموال باى وجه كان واذا حضرهم الموت ماتوا كالبهائم ولكن فيهم ايضا من يقيم على دين ابائه يؤمن بالله واليوم الاخر ويعمل الصالحات وهم طائفة لا تحصى من الرجال والنساء

ومن العوام والخواص بل ومن المشهورين بفضل العلم والادب غيرانهم فى ورعهم وتقاهم على مراتب شتى منهم من يشارك عامة الناس فى تصرفاتهم ويحضر معهم فى محافل اللذات اعنى السبكتا كل والبال ومجامع الاغانى ومنهم المتقشفون المعرضون عن كل ما تشتهيه الانفس وهولاء اقل عددا وان دخلت كنايسنا ايام الاعياد المعظمة ظهر لك صحة قولى هذا انتهت عبارته والحامل له على ذلك كونه من ارباب الديانة وعددهم نادر لا حكم له ومن الخصال العادية المهولة ببلاد الفرنسيس اوببلاد النصارى القاثوليقية عدم الاذن بزواج القسيسين على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم فان عدم زواجهم يزيدهم فسقا على فسقهم ومن الخصال الذميمة ان القسيسين يعتقدون انه يجب على العامة ان يعترفوا لهم بسائر ذنوبهم ليغفروها لهم فيمكث القسيس فى الكنيسة على كرسى يسمى كرسى الاعتراف فسائر من اراد ان تغفر ذنوبه ذهب الى كرسى الاعتراف داخل باب بينه وبين القسيس حايل كالشبكة فيجلس ثم يعترف قدامه بذنوبه ويستغفره فيغفر له وقد عرف عندهم ان اكثر من يدخل الكنيسة اويذهب الى الاعتراف يكون من النساء والصغار وهذا موافق لقول بعض شعراء العرب

ان من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جآذرا وظباء

ودرجة القسيسية عندهم مختلفة فاولهم الكردينال وهو بعد البابة فى الرتبة وذلك ان البابة قبل توليته يشترط ان يكون كردينالا ثم بعده المطران ثم بعده الاسقف ثم الخورى ثم نايب الخورى ثم الشماس وعند الفرنساوية اعياد دينية متنقلة يعنى لا تقع فى يوم معين كل سنة بل هى دورية ومرتبة فى الغالب على وقوع عيد الفصح فمن اعيادهم الغريبة عيد الرفاع وقد تقدم ومنها عيد ظهور السيد المسيح ويسمى عند الفرنسيس عيد الملوك وذلك ان كل عائلة تصنع فطيرة عظيمة وتضع فيها حبة فول فى عجينها ويقسمون الفطيرة على الندامى فكل من جاءت حبة الفول فى نصيبه فهو الملك فان جاءت فى نصيب رجل فانه يسمى باسم الملك ويخاطب فوق المائدة وتمام الليلة بخطاب الملوك ثم يختار من النساء امراة يجعلها الملكة فتخاطب ايضا بذلك الخطاب وان جاءت الفولة فى نصيب امراة

فانها

فانها ايضا تختار من الحاضرين شخصا كالزوج لها وتطلق عليه اسم الملك فيكون سائر اكرام الليلة للملك والملكة برسوم خاصة وقوانين مألوفة وهذه الكيفية تصنع فى سائر البيوت فى مدينة باريس حتى فى بيت ملك الفرنسيس ومن جملة بدع القسيسين انهم يصنعون فى عيد القربان موكبا ويلبسون فيه حللا مطرزة ويدورون المدينة بشئ يسمونه البونديو وكلمة البونديو مركبة من كلمتين الاولى بون ومعناها طيب اوعظيم والثانية ديو ومعناها الاله فكانهم يقولون ان الاله حاضر فى الجفنة التى بين ايدى القسوس والمراد عندهم بالبونديو عيسى عليه السلام والفرنساوية يعرفون ان هذه الامور من باب الهوس الذى يدنس بلادهم ويذرى بعقول اهلها غاية الامر ان العيلة السلطانية كانت تعين القسيسين على هذه الامور فتمتثل الرعية لذلك مع غاية الحظ والتشنيع وللقسيسين بدع لا تحصى واهل باريس يعرفون بطلانها ويهزؤن بها ولهم اعياد اخر لا يسعها هذا الكتاب ثم ان لكل انسان من الفرنساوية عيد وهو يوم مولد القديس الموافق له فى اسمه فاذا كان انسان اسمه بولص مثلا فان عيده يكون عيد مارى بولص فترى كل انسان اسمه بولص يصنع وليمة ويشهر عيده وفى عيد الانسان يهادونه بانواع الازهار

الفصل الثالث عشر فى ذكر تقدم اهل باريس فى العلوم والفنون والصنائع وذكر ترتيبهم وايضاح ما يتعلق بذلك

الذى يظهر لمن تأمل فى احوال العلوم والفنون الادبية والصناعة فى هذا العصر بمدينة باريس ان المعارف البشرية قد انتشرت وبلغت اوجها بهذه المدينة وانه لا يوجد من حكماء الافرنج من يضاهى حكماء باريس بل ولا فى الحكماء المتقدمين كما هو الظاهر ايضا غير ان صاحب النقد السديد قد يقول ان سائر الفنون العلمية التى يظهر اثرها بالتجاريب معرفة هولاء الحكماء بها ثابتة واتقانها عندهم لا نزاع فيه كما يشهد لذلك قول بعض اجلة الحكماء الامور بتمامها والاعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها واما اغلب العلوم والفنون النظرية فانها معروفة لهم غاية المعرفة ولكن لهم بعض اعتقادات فلسفية خارجة عن قانون العقل

بالنسبة لغيرهم من الامم غيرانهم يموهونها ويقونها حتى يظهر للانسان صدقها وصحتها كما فى علم الهيئة مثلا فانهم محققون فيه واعلم ممن عداهم بسبب معرفتهم باسرار الآلات المعروفة من قديم الزمان والمخترعة له ومن المعلوم ان المعرفة باسرار الآلات اقوى معين على الصناعات غيران لهم فى العلوم الحكمية حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية ويقيمون على ذلك ادلة يعسر على الانسان ردها وسيأتى لنا كثير من بدعهم وننبه عليها فى محالها ان شاء الله تعالى ولنقل هنا ان كتب الفلسفة باسرها محشوة بكثير من هذه البدع فسائر كتب الفلسفة يجرى فيها الحكم الثالث من الخلاف الذى ذكره صاحب متن السلم فى الاشتغال بعلم المنطق فحينئذ يجب على من اراد الخوض فى لغة الفرنساوية المشتملة على شئ من الفلسفة ان يتمكن من الكتاب والسنة حتى لا يغتر بذلك ولا يفتر عن اعتقاده والا ضاع يقينه وقد قلت جامعا بين مدح هذه المدينة وذمها

ايوجد مثل باريس ديار ... شموس العلم فيها لا تغيب

وليل الكفر ليس له صباح ... اما هذا وحقكم عجيب

ومن جملة ما يعين الفرنساوية على التقدم فى العلوم والفنون سهولة لغتهم وسائر ما يكملها فان لغتهم لا تحتاج الى معالجة كثيرة فى تعلمها فاى انسان له قابلية وملكة صحيحة يمكنه بعد تعلمها ان يطالع اى كتاب كان حيث انه لا التباس فيها اصلا فهى غير متشابهة واذا اراد المعلم ان يدرس كتابا لا يجب عليه ان يحل الفاظه ابدا فان الالفاظ مبينة بنفسها وبالجملة فلا يحتاج قارى كتاب ان يطبق الفاظه على قواعد اخرى برانية من علم اخر بخلاف اللغة العربية مثلا فان الانسان الذى يطالع كتابا من كتبها فى علم من العلوم يحتاج ان يطبقه على سائر الات اللغة ويدقق فى الالفاظ ما امكن ويحمل العبارة معانى بعيدة عن ظاهرها واما كتب الفرنسيس فلا شئ من ذلك فيها فليس لكتبها شراح ولا حواشى الا نادرا وانما قد يذكرون بعض تعليقات خفيفة تكميلا للعبارة بتقييد او نحوه فالمتون وحدها من اول وهلة كافية فى افهام مدلولها فاذا شرع الانسان فى مطالعة كتاب فى اى علم كان تفرغ لفهم مسائل ذلك العلم وقواعده من غير محاكة الالفاظ

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

فيصرف سائر همته فى البحث عن موضوع العلم وعن مجرد المنطوق والمفهوم وعن سائر ما يمكن احتياجه منها واما غير ذلك فهو ضياع مثلا اذا اراد انسان ان يطالع علم الحساب فانه يفهم منه ما يخص الاعداد من غير ان ينظر الى اعراب العبارات واجراء ما اشتملت عليه من الاستعارات والاعتراض بان العبارة كانت قابلة للتجنيس وقد خلت عنه وان المصنف قدم كذا ولو اخره كان اولى وانه عبر بالفاء فى محل الواو والعكس احسن ونحو ذلك ثم ان الفرنسيس يميلون بالطبيعة الى تحصيل المعارف ويتشوفون الى معرفة سائر الاشياء فلذلك ترى ان سائرهم له معرفة مستوعبة اجمالا لسائر الاشياء فليس غريبا عنها حتى انك اذا خاطبته تكلم معك بكلام العلماء ولو لم يكن منهم فلذلك ترى عامة الفرنساوية يبحثون ويتنازعون فى بعض مسائل علمية غويصة وكذلك اطفالهم فانهم بارعون الغاية من صغرهم فالواحد منهم كما قال الشاعر

عشق المعانى الغر وهو مراهق   وافتض أبكار الفنون وليدا

فانك قد تخاطب الصغير الذى خرج من سن الطفولية عن رأيه فى كذا وكذا فيجيبك بدلا عن قوله لا اعرف اصل هذا الشئ ما معناه الحكم على الشئ فرع عن تصوره ونحو ذلك فاولادهم دائما متأهلون للتعلم والتحصيل ولهم تربية عظيمة وهذا فى الفرنسيس على الاطلاق والعادة انهم لا يزوجون اولادهم قبل تمام تعلمهم وهذا يكون غالبا فى عشرين الى خمس وعشرين سنة فقل منهم من كان فى سن العشرين ولم يبلغ درجة التدريس او تعلم صنعته التى يريد تعلمها غير انه قد يمكث مدة طويلة ليتمكن من العلوم والفنون غاية التمكن وهذا السن فى الغالب يظهر به براعة الانسان وحسن طالعته كما قال الشاعر

اذا ما اول الخطى اخطا   فما يرجى لاخره انتصار

اذا حاز الفتى عشرين عاما   وما بلغ المراد فذا العار

فكان هذا السن عند سائر الامم سن انتهاء النجابة فانظر الى الاخضرى فانه فى سن احدى وعشرين سنة قد نظم رسالة السلم وشرحها وكذلك العلامة الامير فانه فى دون العشرين بيسير صنف مجموعه فتورك على قول الاخضرى

ولبنى احدى وعشرين سنه معذرة مقبولة مستحسنه
بانه وهو فى دون ذلك السن الف فى اصعب من ذلك المقام وما قلناه بالنسبة
لارباب المعارف من الافرنج واما علماؤهم فانهم منزع آخر لتعلمهم تعلما تاما عدة
امور واعتنائهم زيادة على ذلك بفرع مخصوص وكشفهم كثيرا من الاشياء
وتجديدهم فوائد غير مسبوقين بها فان هذه عندهم هى اوصاف العالم وليس
عندهم كل مدرس عالما ولا كل مؤلف علامة بل لابد من كونه بتلك الاوصاف ولا
بد له من درجات معلومة فلا يطلق عليه ذلك الاسم الا بعد استيفائها والارتقا
ولا تتوهم ان علماء الفرنسيس هم القسوس لان القسوس انما هم علماء فى الدين فقط
وقد يوجد من القسوس من هو عالم ايضا واما ما يطلق عليه اسم العلماء فهو من له
معرفة فى العلوم العقلية ومعرفة العلماء فى فروع الشريعة النصرانية هينة جدا
فاذا قيل فى فرانسا هذا الانسان عالم لا يفهم منه انه يعرف فى دينه بل انه يعرف
علما من العلوم الاخر وسيظهر لك فضل هؤلاء النصارى فى العلوم عمن عداهم
وبذلك تعرف خلو بلادنا عن كثير منها وان الجامع الازهر المعمور بمصر القاهرة
وجامع بنى امية بالشام وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس ومدارس
بخارى ونحو ذلك كلها زاهرة بالعلوم النقلية وبعض العقلية كعلوم العربية
والمنطق ونحوه من العلوم الالية والعلوم فى مدينة باريس تتقدم كل يوم فهى دائما
فى الزيادة فانها لا تمضى سنة الا ويكشفون شيأ جديدا فانهم قد يكشفون فى السنة
عدة فنون جديدة اوصناعات جديدة اووسائط اوتكميلات وستعرف بعض
هذا ان شاء الله تعالى ومما يستغرب ان فى رجال العسكرية منهم من طباعه توافق
طباع العرب العربا فى شدة الشجاعة الدالة على قوة الطبيعة وشدة العشق الدالة
ظاهرا على ضعف العقل ومزاجهم كالعرب فى الاشعار الحربية بالغزل فقد رأيت
لهم كلاما كثيرا يقرب من كلام بعض شعراء العرب مخاطبا لمحبوبته

ولقد ذكرتك والوغى بحر طغى والنقع ليل والاسنة انجم
فحسبته عرسا ونحن بروضه وانا وانت بظله نتنعم

وقول الاخر

ولقد ذكرتك والرماح نواهل　منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لانها　برقت كبارق ثغرك المتبسم

وقول صاحب لامية العجم

لااكره الطعنة النجلاء قد شفعت　برشقة من نبال الاعين النجل

ولا اهاب صفاح البيض تسعدنى　باللمح من خلل الاستار فى الكلل

ولا اخل بغزلان تغازلنى　ولو دهتنى اسود الغيل فى الغيل

ولنذكر لك مجامع العلماء والمدارس المشهورة وخزائن الكتب ونحو ذلك لتعرف به مزية الافرنج على غيرهم فمن خزائن الكتب الخزانة السلطانية وفيها سائر ما امكن الفرنساوية تحصيله من الكتب فى اى علم كان باى لغة كانت مطبوعة او منسوخة وعدة ما فيها من الكتب المطبوعة اربعماية الف مجلد وفيها مبلغ عظيم من الكتب العربية الخزائنية التى يندر وجودها بمصر او بغيرها وفيها عدة مصاحف لا نظير لها ابدا ثم ان المصاحف التى عند الفرنساوية فى خزائنهم غير مهانة بل هى مصونة غاية الصون وان كان عدم اهانتها حاصلا غير مقصود غير ان الضرر فى كونهم يسلمونها لمن يريد ان يقرأ القرآن منهم او يترجمه او نحو ذلك وتوجد المصاحف للبيع فى مدينة باريس وبعضهم لخص من القرآن العظيم سائر الايات التى اختارها للترجمة ثم ترجمها وضم اليها قواعد الاسلام وبعض شعبه وقال فى كتابه انه يظهر له ان دين الاسلام هو اصفى الاديان وانه مشتمل على ما لا يوجد فى غيره من الاديان ومن خزائن الكتب الخزانة المسماة خزانة مسيو وتسمى خزانة الارسنال والارسنال هى الترسخانة وهى اعظم الخزائن بعد الخزانة السلطانية وبها نحو ماية الف مجلد مطبوعة وعشرة آلاف منسوخة واغلب هذه الكتب كتب تاريخ واشعار خصوصا الاشعار الايطاليانية ومنها خزانة مزارينه وفيها خمسة وتسعون الف مجلد مطبوعة واربعة الاف منسوخة ومنها خزانة الانسطيطوت وفيها خمسون الف مجلد ومنها خزانة المدينة وهى نحو ستة عشر الف مجلد وهى دائما فى الزيادة وكتبها اداب ومنها خزانة بستان النباتات وفيها عشرة الاف مجلد فى العلوم الطبيعيات وفيها خزانة الرصد السلطانى وفيها كتب

Digitized by Google　Original from PRINCETON UNIVERSITY

علم الهيئة ومنها خزانة مكتب الحكمة ومنها خزانة اكدمة الفرنسيس وهى خمسة وثلاثون الف مجلد وكل هذه خزائن موقوفة وهنالك خزائن مملوكة وهى كثيرة جدا فمنها ما يشتمل على خمسين الف مجلد ومنها للدولة نحو اربعين خزانة فاقل ما يوجد فى كل خزانة منها ثلاثة الاف مجلد واكثرها فى الغالب خمسون الف مجلد وقد تنوف عن ذلك ولا حاجة لتسميتها هنا ولكل انسان من العلما والطلبة او الاغنيا خزانة كتب على قدر حاله ويندر وجود انسان بباريس من غير ان يكون تحت ملكه شئ من الكتب لما ان سائر الناس تعرف القراءة والكتابة وسائر بيوت الاعيان فيها خلوة مشتملة على خزانة الكتب وعلى آلات العلوم وادواتها وعلى التحف الغريبة التى تتعلق بالفنون كالاحجار التى يبحث عنها علم المعادن ونحو ذلك ففى باريس كثير من الخزائن التى يقال لها خزائن المستغربات فيوجد بها ما تتشوق اليه نفوس الفضلا ليستعينوا به على الغوص فى الطبيعيات كالمعادن والاحجار والحيوانات البرية والبحرية المحفوظة الجثة وسائر المواليد من الاحجار والنباتات وسائر الاشياء التى فيها آثار القدما وتعلق هذه الاشياء بالعلوم ان الانسان يدرس ما يراه فى الكتب ويقابله فان رأى فى كتاب تعريف حجر كذا او حيوان كذا او كان الحجر او الحيوان نصب عينه قابله مع الاوصاف المذكورة فى الكتب وانفع الاشياء بالنسبة للطبيعيات بمدينة باريس البستان السلطانى المسمى بستان النباتات وفيه سائر ما تعرفه البشر من الامور الخارجة من الارض الغريبة يزرع بارضه سائر النباتات الاهلية التى يعالجون تطبعها عندهم بقوة الصناعة والحكمة فيطالع طلبة علم العقاقير والحشايش دروسهم ويقابلون ما فى الكتاب على ما يرونه ويأخذون فرعا من كل صنف من الحشايش يضعونه فى نحو ورقة ويكتبون اسمه وخاصيته وفيه ايضا سائر مراتب الحيوانات الحية غريبة او اهلية برية او وحشية فيوجد بها نحو الدب الابيض والاسود والسبع والضبع والنمورة والسنانير الغريبة والابل والجواميس وغنم بلاد التبت وزرافة سنار وفيلة الهند وغزلان البربر والايل وبقر الوحش وانواع القردة والثعالب وسائر انواع الطيور المعروفة لهم وسائر هذه الحيوانات التى تراها حية بهذا

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

البستان تراها ميتة ايضا محشوة بالتبن يراها الانسان على صورة الحية كالبو البقر الذى يصنعه الفلاحون بوادى مصر ويوجد فى هذا البستان اروقة مملوءة بالمعادن النفيسة وسائر الاحجار سواء كانت غشيمة اوطبيعية فترافيها مراتب الطبيعيات الثلاثة بسائر اجناسها وانواعها واصنافها ففيها كثير من الاشياء التى لايمكن ان نجد لها اسماء غريبة لحيوانات بلاد امريكة اونباتها او احجارها وكل هذه الاشياء موضوعة بهذا البستان كالعينة او الانموذج من كل شئ ومكتوب على كل شئ اسمه باللغة الفرنساوية او اللاطينية مثلا فى القاعة التى فيها سبع مكتوب عليها اسم السبع باللغة الفرنساوية وهو ليون وهكذا ومما وقع فى هذا البستان مااشتهر ان بعض السباع قدمرض فدخل حارسه ومعه كلب فقرب الكلب من الاسد ولحس جرحه فبرئ الجرح فحصلت الالفة بين الاسد والكلب ودخلت محبة الكلب فى قلب الاسد فصار الكلب يتردد دائما على الاسد ويتملق اليه ويراه كانه من اصحابه فلمامات الكلب مرض الاسد لفرقته فوضعوا معه كلبا اخر امتحانا لتطبعه فتسلى به عن الميت ولازال معه وفى بستان النبات رواق يسمى رواق التشريح وفيه جميع المواميى اى الجثث المحنطة المصبرة ونحوها من الجثث ويوجد بهذا الرواق بعض شئ من جثة المرحوم الشيخ سليمان الحلبى الذى استشهد بقتله للجنرال الفرنساوى كليبر وقتل الفرنساويه له فى ايام تغلبهم على مصر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ومن محال العلوم الفلكية الرصد السلطانى بمدينة باريس وهو من اغرب المراصد الموجودة على ظهر الدنيا وذلك انه مبنى من مجرد الحجارة بغير دخول الحديد او الخشب فى مادته وهو على شكل مسدس الاسطحة المتوازية القائمة الزوايا موجه الضلوع الاربعة الى الاربع جهات الشرق والغرب والشمال والجنوب وفى طرف الجهة الجنوبية صومعتان مثمنتى الزوايا وفى طرف الجهة الشمالية صومعة ثالثة مربعة وهى باب الرصد وفيه رسم الفرنسيس فى رواق فى الدور الاول خط نصف نهارهم فخرج ذلك الخط يقسم الرواق قسمين متساويين فمن هذا الخط يحسب الفرنساوية درجة الطول فينسبون اليه غيره من الاماكن المغايرة له فى السمت

وقد اسلفنا ذلك موضحا فى الفصل الاول من المقالة الثانية وارتفاعه وسطحه ثلاثة وثمانون اقدما فوق الارض وهو منقسم الى عدة اروقة مناسبة لحاجة اشغال الفلك فمن هذه الاروقة ستة لها ممارق مفتوحة قطر كل ممرق ثلاثة اقدام وهو موضوع على كيفية يمكن معها رؤية السماء ويعين فيها على ما يحتاج الى رصده فترى منها النجوم وانت فى المخادع التى تحت الارض وفى هذه الاروقة امتحنوا ثقل الاجسام الطبيعية وميزان الهواء وفى هذا الرصد رواق كبير فيه الات وعلى قلته الة تعديل الرياح المسماة الانيمومتر بها تقاس قوة الرياح وفيها طشت يسمى دن العيار يعدل به ماء المطر الذى ينزل كل سنة ومخادع هذا الرصد هى داخلة فى الارض التى عمقها يساوى سمك حيطان الرصد والى هذه المخادع ينزل بدرج على الدوران والانعطاف كدرج المنارة وعدة درجها ثلثمائة وستون ووظيفة هذه المخادع انها قد تفيد الطبايعية والكيماوية ان يصنعوا بها تجاريبهم بان يجمدوا فيها المايعات ويبردوا بها الاجسام ليعرفوا امزاج الاهوية وفيها رواق يسمى رواق المناجاة او رواق الاسرار وذلك ان فيه امرا عجيبا من قرع الصوت للاذن اى وصوله بالهواء اليها وذلك ان بالرواق عمودا يقابله عمود آخر فاذا وضع الانسان فمه على العمود واسر بكلام فانه يسمعه الانسان الذى بالعمود الاخر ولا يسمعه من يقرب منه وهذه الامور يفهمها من له المام بخاصية الصوت ومن المحال العلمية بمدينة باريس موضع يقال له الكنسرواتوار بضم الكاف وسكون النون وكسر السين وسكون الراء وفتح الواو وسكون التاء كلمة فرنساوية معناها المخزن او المحفظ ونحو ذلك وفى هذا المحل جميع الالات سواء العظيمة وغيرها خصوصا الالات الهندسية كالات الحيل وتحريك الاثقال ويزعم الفرنساوية انه ليس فى الدنيا نظير هذا المخزن وفى هذا المحل يرد الصدا صوت الشخص ردا عجيبا ثم انه يكثر بباريس مدارس سائر العلوم والفنون والصنايع وقد سلف الكلام على اعتناء الفرنساوية بالحكمة يعنى علم الطب ولهم فيها مدارس كثيرة ولنذكر هنا محال العلماء ومراتبهم فنقول ان العلماء فى مدينة باريس لهم مجامع عظيمة تسمى باسماء مختلفة فمنها ما يسمى اكدمة ومنها ما يسمى مجمعا

او مجلسا

او مجلسا والانسطيطوت عندهم اسم عام يشتمل على جميع اجتماع الاكدمات
اى المجالس الخمس وهى اكدمية اللغة الفرنساوية واكدمية العلوم الادبية
ومعرفة الاخبار والاثار واكدمية العلوم الطبيعية والهندسية واكدمية الصنائع
الظريفة واكدمية الفلسفة وقولنا اكدمية او اكدمة او اقدمة هو لفظ مأخوذ من
اسم مكان فى مدينة اثينا كان افلاطون الحكيم يعلم فيه تلاميذه ومنه قيل لطائفة
من الفلاسفة القدما الاكدميون وكان يقال لهذا المكان اكدمية لان صاحبه
كان شخصا يونانيا اسمه اكدمس وقد جعل هذا المكان وقفا لاهل مدينة اثينا
وصيروه بستانا يتماشون فيه ويتفرجون فيه فكان يدرس فيه افلاطون ومنه
قيل لجماعة افلاطون اكدميون ويقال لهم افلاطيون وهم مشهورون ايضا
فى كتب العربية بالاشراقيين بالقاف والفاء ويقال لهم ايضا الالاهيون ويطلق
اكدميون الان عند الفرنساوية فيفهم منه بمجرد اطلاقه اهل اكدمة الفرنسيس
وهم كبار علماء الفرنساوية فاذا قيد فالمعنى ظاهر كما اذا قيل اكدمة مصر فالمراد بها
الجامع الازهر لان المراد به ديوان اكابر علماء مصر فاول علماء باريس بل وعلماء
فرانسا ديوان العلوم المسمى اكدمة الفرنسيس واهلها اربعون عالما كل واحد
من الاربعين يسمى عضوا يعنى ان هذا الديوان باربابه كالبدن وكل واحد كالعضو
منه وفى الغالب ان ارباب هذا الديوان لهم فضل عظيم على من عداهم من
الفرنساوية ووظيفتهم تأليف القواميس الفرنساوية وانهم يمتحنون مؤلفات العلوم
الادبية وكتب التاريخ وقد اتفق ان بعض علماء الفرنسيس قد بلغ درجة عالية
فى العلوم وصلح لان يكون من ارباب هذه الاكدمة بدل واحد من اربابها مات
وكان هذا العالم كثير المجون فتوقفوا فى قبوله فى هذا الديوان فما كانت حيلته
الا انه كان دائما يعرض بهجو اهلها فمن نوادر وقايعه انه مر ذات يوم ومعه بعض
اصحابه على هذه الاكدمة فتحدث مع اصحابه فتذاكروا فى فضل علماء اكدمة فقال
لا شك ان عقول ارباب هذا الديوان كعقل اربعة يشير بذلك الى بعض الامثلة
الفرنساوية من قولهم فى مدح الانسان ان له عقلا كعقل اربعة ومشيرا الى ان
عقل كل عشرة منهم كعقل واحد فظاهر عبارته من باب المدح وباطنها غير ذلك

ومن نوادره انه كتب قبل موته كعادة الفرنساوية على رخامة قبره المهيء له بيت
شعر باللسان الفرنساوى يقول فيه ما معناه بالعربية

هاقبر من لم يك شيأ اتمه   كلا ولا من علما اكدمه

ومعناه هذا قبر من لم يصل الى درجة ايا ما كانت حتى لو بلغت هذه الدرجة
فى الحقارة درجة هولاء العلماء وهناك اكدمة تسمى اكدمة تقييد الفنون الادبية
واهل ديوان هذه الجمعية ثلاثون نفسا ووظيفتها الاشتغال بالالسن النافعة
وبآثار القدما خصوصا بالمبانى الغريبة وبالعلوم الادبية وبعوائد الامم واخلاقها
وغالب شغلها تكميل اداب العلوم الفرنساوية بما خلت عنه مما هو فى كتب علوم
اللغات الغريبة كاللاطينية والعربية والفارسية والهندية والصينية واليونانية
والعبرانية والقبطية وغيرها ومن الاكدمات الاكدمة المسماة اكدمة العلوم
السلطانية واهلها منقسمون احد عشر قسما لكل قسم منهم فرع مخصوص
فتكون فروعهم اثنى عشر فرعا فاهل القسم الاول يشتغلون بالرياضيات
كالهندسة والحساب واهل القسم الثانى بعلوم الحيل كعلم جر الاثقال ونحوه
والثالث بالعلوم الفلكية والرابع بالعلوم الجغرافية والعلوم التجربية والخامس
بعلم الطبيعة العامة والسادس بالطبيعة والسابع بعلم المعادن والاحجار والثامن
بعلم الحشايش والتاسع بتدبير مصاريف الارض والعاشر بتطبيب الدواب
والحادى عشر بالتشريح والثانى عشر بفن الطب والجراحة ومنها الاكدمة
السلطانية المسماة اكدمة مستظرفات الفنون وهى خمسة فروع الاول فن الرسم
الثانى فن النحاتة الثالث فن العمارات الرابع فن النقاشة الخامس فن تركيب حروف
الموسيقا ومنها مكتب الفنون الظريفة وهو مكتب موقوف على تعليم علم الرسم
وتوابعه وفيه يتعلم الرسم والنقاشة والعمارة ومن مجالس العلوم جمعية تسمى اثينة
الفنون وهى تعين على تقدم الفنون والصنائع وهى كالحكم الذى ينفذ الاشياء
ويقضى فيها برأيه ومنها اثينة باريس السلطانية وهى محل علوم وفنون ولا يكون
فيها الانسان للتعلم الا اذا دفع شيأ يسيرا كل سنة والمدرسون فيها ارباب فضل
ومنها جمعية تسمى الجمعية الفيلوماتية ومعناه محبوا العلوم والغرض من هذه

الجمعية الاعانة على التقدم فى علوم التولدات وهى مرتبة الحيوانات والنباتات والمعادن ومنها جمعية تشتغل بعلوم الانشا والبلاغات والغرض من هذه الجمعية تدوين العلوم الادبية وحفظ غريبها حتى لا تفسد لغة الفرنسيس واذا اخترع الانسان معنى غريبا او اجاب عن سؤال غريب او قال شعرا مقبولا فانهم يعطونه جائزة ذلك ومنها جمعية تسمى حسن الدروس ووظيفتها تعليم الاداب القاثوليقية والدين القاثوليقى ومنها جمعية تسمى اكدمة ابولون يعنى الادبا وهى مجلس ارباب الفنون الادبية ومنها جمعية تسمى الجمعية الآسياتية يعنى فى لغات اهل آسيا او اللغات المشرقية وتحصيل كتبها الغريبة وترجمتها الى الفرنساوية او طبعها لتشتهر ومنها جمعية تسمى الجمعية الجغرافية وهى معدة لتحسين وتكميل علم الجغرافيا فهى تقوى الناس على السفر الى البلاد المجهولة الاحوال فاذا سافر فيها انسان ورجع يطلبون منه سائر ما علقه عليها فتأخذ ما علقه وتقيده وتدخله فى كتب الجغرافية ولذلك كان ذلك العلم عند الفرنساوية دائما يأخذ فى الكمال وبالجملة فهذه الجمعية هى التى تخدم سائر ما يتعلق بالجغرافيا كطبع الخرطات ونحوها ومنها الجمعية الغرماتيقية يعنى المشتغلة بنحو اللغة الفرنساوية فان علم النحو يسمى فى اللسان الفرنساوى الاغرميروبا للاطينية والايطاليانية اغرماتيقا ووظيفة هذه الجمعية الاشتغال بتصحيح اللغة وتجديد اصطلاحات او ابقا الاصطلاحات القديمة لان اللسان الفرنساوى لسان غير قار القواعد كتابة وقراءة ومنها جمعية تسمى جمعية المولعين بالكتب الخزائنية ووظيفة اهل هذه الجمعية الحث على طباعة الكتب النافعة النادرة ومنها جمعية للخطاطين واهلها يشتغلون باجادة الخط ومنها جمعية تسمى جمعية المغناطيسية الحيوانية وهى جماعة تقول بوجود سيال مغناطيسى فى الحيوان ومنها جمعية حفظة آثار القدما وهى جمعية معدة لحفظ سائر ما يوجد من الآثار الباهرة عند القدما كبعض مبانيهم وموميائهم وملبسهم ونحو ذلك والبحث عن ذلك ليتوصل به الى دراسة عوائدهم ففى ذلك يوجد كثير من الامور النفيسة المأخوذة من بلاد مصر كالحجر المصور عليه فلك البروج المأخوذ من دندره فان الفرنساوية

يتوصلون به الى معرفة الفلك على مذهب قدما اهل مصر فان مثل ذلك يأخذونه بغير شئ الا انهم يعرفون مقامه فيحفظونه ويستخرجون منه نتايج شتى ومنافع عامة ومنها مكتبة تسمى مكتبة الاطوال واهلها اثنا عشر ثلاثة مهندسون واربعة فلكيون واربعة بحريه وواحد جغرافي فيشتغلون بعلم الهيئة وتأليف الرزنامات السنوية وتحرير الزيجات وذكر اطوال البلاد ومنها الجمعية السلطانية فى علوم الفلاحة وتحرير توفير المصاريف البرانية والجوانية واهل هذه علما اغنيا وهم يعطون الجائزة لمن يخترع شيأ جديدا نافعا ومنها جمعية لتحسين الاصواف ووظيفة اهلها مباشرة ما يتعلق بالغنم ومنها جمعية تعين على حث الفرنساوية على البراعة فى الفنون والصنائع وهى تعين الصنائع بسائر انواعها على التقدم فاذا اقترح انسان شيأ نافعا اخذ من اهل هذه الجمعية تحفة عظيمة وشهرة وفى باريس مدارس سلطانية تسمى الكوليج بضم الكاف وفتح اللام وسكون الياء وهى مدارس يتعلم فيها الانسان العلوم المهمة التى تكون وسائل فى الامور المقصودة منها وهى خمسة كوليجات يدرس فيها صناعة الانشا والتأليف والالسن القديمة الغريبة والعلوم الرياضيات وعلم التاريخ والجغرافيا والفلسفة واصول الطبيعيات يعنى كتبها الصغيرة وعلم الرسم وعلم الخط وفيها مراتب للطلبة فان الانسان يسلك فيها فى العادة مرتبة كل سنة ففى كل سنة من ستة سنين يخرج الانسان من مرتبة الى اعلا فهى بالترقى لا بقوة الفهم ولا بغيره فلا يمكن للانسان ان يتعدى ابدا وهناك كوليجان اخران غير سلطانيين وفيهما يدرس ما يوجد فى الكوليجات الخمسة السابقة وفيها كوليج اخر يسمى كوليج الفرنساوية السلطانى وهو اعظم جميعها فيتعلم فيه الرياضيات والطبيعة المخلوطة بالحساب والطبيعة العملية والهيئة والطب والتشريح العمليين وفيه يتعلم اللغات كالعربية والفارسية والتركية والعبرانية والسريانية والهندسة ولغة اهل الصين وعلومهم ولغة التتار والحكمة اليونانية التى هى فلسفة اليونان وعلم الفصاحة والبلاغة فى اللسان اللاطينى وعلوم بلاغة اللغة الفرنساوية وهذا الكوليج يشتمل على اكابر المدرسين وفيه ستة الاف طالب ومن اشهر المدارس مدرسة بوليتقنيقا بضم الباء وكسر

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

اللام وسكون الياء والقاف وكسر التاء والنون وسكون الياء يعنى مدرسة كليات
العلوم وفيه يدرس الرياضيات والطبيعيات لتربية مهندسين فى علم الجغرافيا وفى
العسكرية فمهندسوا الجغرافيا يهندسون القناطر والارصفة والطرق والجسور
والخلجان وكل الات الحيل ورفع الاثقال واما مهندسوا العلوم العسكرية فهم
يهندسون القلاع والحصون والبروج والتوقى من ضرر الاعداء واتخاذ العراضى
وهندسة تسييب البارود وارباب هذه المدرسة محققون لهم باع فى سائر العلوم
ويكفى فى فضل الانسان ان يكون من تلاميذها ومنها مكتب يسمى مكتب الفروع
الفقهية فيدرسون فيه احكام المعاملات والجنايات ونحوها ومنها مكتب
موقوف على تعليم علم الرسم فيدرس فيه الذكور والاناث علم التصوير ومنها
مكتب الغنا السلطانى فيتعلم فيه ايضا الذكور والاناث علم الالحان الصوتية والغنا
الكنايسى ومنها مكتب موقوف ايضا على علم الرسم والرياضيات لتكون وسائل
للفنون فيتعلم فيه الحساب والهندسة والقياس ونحاتة الحجر والخشب وعلم
المساحة وتصوير البهيمة والادمى والازهار وانواع الزينة ومنها مكتب القناطر
والجسور وفيه يتعلم هندسة الطرق والخلجان والارصفة ومنها مكتب سلطانى
لتعلم علم المعادن وفيه يتعلم وسائط كشف المعادن واستخراجها ومنها مدرسة
الفنون والحرف يتعلم فيها على الكيميا والهندسة الداخلين فى الحرف والفنون
وفيها يوجد سائر الات الصنائع الموجودة الى هذا العصر ومنها مكتب يسمى
مكتب اللغات المشرقية المستعملة وفيه يتعلم الفارسى والملايارى والعربية
الاصلية والدارجة ولغة الترك والارمن والروم ومنها مكتب يسمى مكتب
الارليغولوغى بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر اللام وسكون الياء وضم الغين
واللام وكسر الغين الاخيرة يعنى تفسير الكلمات المكتوبة من قديم الزمان
فى اللغات القديمة فيفسرون فيه النقود والمعاملات المكتوبة فى الازمنة السالفة
والاحجار المنقوشة وترجمة الهياكل القديمة المكتوبة ومنها مكتب سلطانى يتعلم
فيه تواريخ الدول وسياساتها ونحو ذلك ومنها مكتب سلطانى للموسيقا والانشا
والخطابة وفيه يتعلم اهل اللعب والغنا والالاتية من الذكور والاناث واهل التعلم

به اربعماية نفس ومنها مدرسة بستان السلطان التى هى بستان النباتات وبها يقرأ ثلاثة عشر درسا فى جملة فروع كعلم الحشايش والطبيعيات والكيميا والمعادن والتشريح والمقابلة بين اجزاء بدن الادمى والبهيمة وفيها مكتب يسمى مكتب البستنجية وفيه يتعلم علم زراعة الشجر وحفظه من البرد وتطبيع النباتات الغريبة المنقولة على اقليم المحل الذى نقلت اليه ومنها مكتب تقليم الاشجار غير المثمرة لاخراج ثمرها ومنها مكتب تعليم النباتات والمعادن لمن يريد السفر فى بلاد ليميز نباتها ومعدنها ومنها مكتب يسمى طب البهايم وفيه يتعلم تطبيب البهايم وفيه مارستانات للحيوانات الممروضة وفيه مدرسة كيميا ومدرسة لعلم الطبيعة وفيه العقاقير وبستان حشايش ومكتب للفلاحة العملية وجملة اجناس من البهايم معدة لتجربة اختلاف اصناف البهايم واصولها فيطلقون فيه صنفا مثلا من الخيل على صنف اخر كحصان عربى على حجرة اندلسية ليتولد منها صنف آخر ومنها مكتب الصم البكم وهو موقوف على ماية نفس ويدخلون فيه من احدى عشرة الى ستة عشر فيتعلم فيه القرأة والكتابة والحساب واللسان والتاريخ والجغرافيا وصنعة من الصنايع وفى هذا المكتب ورشة يتعلم فيها علم الطباخة والنقاشة والنجارة والخراطة والخياطة والصرماتية ونحوها ومنها مكتب العميان السلطانى وهو موقوف على جملة محصورة من العميان فيتعلمون القرأة على شئ مكتوب لهم كتابة مخصوصة فيمسونها باليد ويتعلمون ايضا علم الجغرافيا على خرطات مخصوصة ايضا ويتعلمون التاريخ واللغات والرياضيات والموسيقا بالصوت وبالالة وغير ذلك من الحرف كشغل الجرابات ونحوه وغير ماذكرنا يوجد ايضا عدة مدارس ويوجد فى باريس ايضا مكاتب تسمى البنسيونات جمع بنسيون بفتح الباء وسكون النون وكسر السين وضم المثناة التحتية وسكون الواو وهى مكاتب يتعلم فيها الصغار الكتابة والقرأة وعلوم الالات كالحساب والهندسة وغيرها كالتاريخ والجغرافيا وهى نحو ماية وخمسين بنسيونا وفيها اكل الانسان وشربه ونومه وغسل حوايجه ونحو ذلك فيدفع اهالى الاولاد قدرا معلوما فى السنة وغير البنسيونات المذكورة يوجد بيوت يكون

صاحبها عالما فيأخذ عنده عدة اولاد ليأكلوا معه ويشربوا معه ويعلمهم بنفسه او يحضر لهم معلمين عنده وغير هذا كله فكثير من الناس يحضر لاولاده المعلم في البيت كل يوم ليعلمهم عنده ومن الاشياء التي يستفيد منها الانسان كثير الفوائد الشاردة التذاكر اليومية المسماة الجرنالات جمع جرنال وهو يجمع في اللغة الفرنساوية على جرنو وهي ورقات تطبع كل يوم وتذكر كل ما وصل اليهم علمه في ذلك اليوم وتنتشر في المدينة وتباع لسائر الناس وسائر اكابر باريس يرتبونها كل يوم وكذلك سائر القهاوي وهذه الجرنالات ماذون فيها لسائر اهل فرانسا ان تقول ما يخطر لها وان تستحسن وتستقبح ما تراه حسنا او قبيحا وان تقول رأيها في تدبير الدولة فلها حرية تامة ما لم تضر في ذلك فانه يحكم عليها وتطلب قدام القاضي والجرنو عصب فكل جماعة لها في مذهبها مذهب كل يوم يقويه ويحاميه ويؤيده ولا يوجد في الدنيا اكذب من الجرنالات ابدا خصوصا عند الفرنسيس الذين لا يتحاشون الكذب الا من حيث كونه عيبا وبالجملة فكتاب الجرنو اسوء حالا من الشعراء عند تحاملهم او محبتهم والجرنالات مختلفة الانواع والاصناف فمنها ما هو معد لذكر اخبار داخل مملكة الفرنسيس وخارجها ومنها ما هو مخصوص بامور المملكة فقط وما هو للمعاملات وما هو للطب ولكل علم على حدته كعلم الطب الى آخره والجرنال الواحد ينطبع منه غالبا للبيع خمسة وعشرون الف نسخة وكل جرنال تكثر نسخه على حسب رغبة الناس فيه وارباب الجرنو يعرفون الاخبار الغريبة قبل غيرهم لان لهم مراسلات مع سائر البلاد ومن جملة علوم باريس الدفاتر السنوية والتقويمات الجديدة والزيجات المصححة ونحو ذلك فكل سنة يظهر فيها كثير من الروزنامات المشتملة زيادة على التواقيع وعلى غرائب العلوم والفنون وعلى كثير من امور الدولة وعلى تسمية اكابر الدنيا وتسمية اعيان فرانسا وتعيين بيوتهم ودرجاتهم ووظائفهم فاذا احتاج الانسان الى اسم واحد والى بيته راجع في ذلك الكتاب وفي باريس اوض القرأة او خلوات القرأة فيذهب الانسان فيها ويدفع قدرا معلوما ويقرأ سائر الجرنالات وغيرها من الكتب ويستأجر منها ما يحتاجه من الكتب ويأخذه عنده ويرجعه ومما يبهر

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

العقول فى باريس دكاكين الكتبية وخاناتهم وتجارات الكتب فانهامن التجارات الرابحة مع كثرتها وكثرة المطابع وكثرة التاليف التى تطبع كل سنة فانها يعسر حصرها واغلبها المقصود منه الكسب لا النفع ولا تمر سنة بمدينة باريس الا ويخرج من المطبعة كتب معدومة النظير واعتناؤهم بالمعارف هو احسن ما ينبغى ان يمدح وابه قال الشاعر

اذا شئت ان تحظى من الكتب كلها　باطيب مروى واحسن مسموع
فطالع مجاميع الدفاتر انها　تفرق من هم الفتى كل مجموع

وقال اخر

اجعل جليسك دفترا فى نشره　ليريك من حكم الزمان نشورا
ومعيد اداب ومؤنس وحشة　واذا انفردت فصاحبا وسميرا

وبالجملة فلا يمكن وصف مدينة باريس مع تفصيل علومها وفنونها الا انه يمكن التعبير عن ذلك اجمالا كما ذكرناه

المقالة الرابعة فيما كنا عليه من الاجتهاد والاشتغال بالفنون المطلوبة لتحصيل غرض ولى النعم وفى تدبير اشغال الزمن فى القرأة والكتابة وغيرهما وفى المصاريف الواسعة الخارجة من طرف صاحب السعادة وفى عدة مراسلات بينى وبين بعض خواص الافرنج تتعلق بالتعلم وفى ذكر ما قرأته من الفنون والكتب بمدينة باريس ومن هذه المقالة تفهم ان تعلم الفنون ليس سهلا وانه لا بد لطالب المعارف من اقتحام الاخطار لبلوغ الاوطار فى تلك الاقطار قال الشاعر

دعينى انل ما لا ينال من العلا　فسهل العلا فى الصعب والصعب فى السهل
تريدين ادراك المعانى رخيصة　ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وقال اخر وهو من الكلام الجامع

من كان يعلم ان الشهد راحته　فلا يخاف للذع النحل من الم

وقال آخر ايضا

ان الفضائل بالاخطار مولعة　فابغ الفضائل وابذل جهدك الثمنا
وان اراك الهوى منه الهوان فقل　حكم المنية فى حب الحبيب منا

الفصل الاول فيما حصل لنا فى اول الامر من الترتيب فى القراءة والكتابة وغيرهما
من عادة اهل باريس انهم فى التعليم يبتدؤن بتعليم الانسان القراءة فى كتب عظيمة الحروف لترسم صورها فى اذهانهم وفى هذه الكتب توجد الحروف الهجائية بتركيبها ثم بعدها عدة الفاظ لغوية من الاسماء والافعال فبهذه الطريقة يتعلم الانسان منها الكتابة ويحفظ هذه الكلمات وينطق بها كما ينبغى حتى تخرج لغته من صغره صادقة الجودة ثم بعدها تلقى فى هذه الكتب عدة جمل سهلة التعقل تناسب الصغار فمن هذه الجمل ما وجدناه فى الكتاب الذى قرأناه * هذه فرس لها اربع ارجل والطيور ليس لها الا رجلان لكن لها اجنحة تطير بها واما السمك فانه يسبح فى الماء ونحو ذلك مما هو معلوم للمخاطب فهو مثل قول النحاة السماء فوقنا والارض تحتنا الممثل به لما لم يفد فائدة جديدة على اختلاف تفسير الوضع فى قولهم الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع ثم بعد ذلك يوجد فى هذا الكتاب اوصاف الحيوانات المعروفة خصوصا التى تتعلق الصغار باللعب بها من العصافير والطيور والسنانير ونحو ذلك ثم بعد ذلك نبذة صغيرة فى كيفية سلوك الصغار وطاعتهم للوالدين ونحو ذلك ثم نبذة فى علم الحساب فبعد فراغ هذا الكتاب يبدؤن فى قراءة كتاب اهم منه وفى كتاب النحو الفرنساوى وغيره وتقسيم الزمن على دروس الانسان فان الانسان يتعلم فى النهار عدة امور مختلفة فيقرأ فى الصباح مثلا التاريخ ثم بعده درس تصوير مع معلم الرسم ثم بعده درس النحو الفرنساوى ثم بعده درس تقويم البلدان ودرس مع معلم الخط لتعلم قواعد الكتابة الى آخره وقد اسلفنا ذلك ولما كانت آمال ولى النعم متعلقة بتعلمنا عاجلا ورجوعنا الى اوطاننا ابتدأنا فى مرسيليا قبل وصولنا الى باريس وتعلمنا فى نحو ثلاثين يوما التهجى ثم لما ذهبنا الى باريس مكثنا جميعا فى بيت واحد وابتدأنا فى القراءة فكانت اشغالنا مرتبة على هذا الترتيب وهو انا كنا نقرأ فى الصباح كتاب تاريخ ساعتين ثم بعد الغدا نتعلم درس كتابة ومخاطبات ومحاورات باللغة الفرنساوية ثم بعد الظهر درس رسم ثم درس نحو فرنساوى وفى كل جمعة ثلاثة دروس من علمى الحساب والهندسة وفى مبدأ الامر كنا نأخذ فى الخط درسين يعنى فى معرفة

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

الكتابة الفرنساوية ثم بعد ذلك كنا نأخذ كل يوم درسا ثم انتهى الامر الى اننا تعلمنا
الخط فانقطع عنا معلم الخط واما الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا فلم نزل
نشتغل بها حتى سهل الله علينا بالرجوع وقد مكثنا جميعا فى بيت واحد دون سنة
نقرأ معا فى اللغة الفرنساوية وفى هذه الفنون المتقدمة ولكن لم يحصل لنا عظيم
مزية الا مجرد تعلم النحو الفرنساوى ثم بعد ذلك تفرقنا فى مكاتب متعددة كل
اثنين او ثلاثة او واحد منا فى مكتب مع اولاد الفرنساوية او فى بيت مخصوص
عند معلم مخصوص بقدر معلوم من الدراهم فى نظير الاكل والشرب والسكنى
والتعليم وتعهد امورنا من غسل ونحوه فكان يأخذ صاحب المكتب او البيت
نحو عشرة اكياس كل سنة فى نظير ذلك ولا يلزمنا شئ فى المأكل والمشرب * ولما
كانت طباع هذه البلاد شدة البرودة كان لكل واحد منا فى كل سنة بثلثماية قرش
خشب للتدفى بها وغير هذه المصاريف العظيمة كان يشترى لنا من طرف الميرى
ايضا القمصان والسراويل والنعال وسائر ما يلزم من الالات والادوات مثل
الكتب والورق والحبر واقلام التصوير وغيرها ومما ينبغى ذكره ايضا ما كان يعطى
للحكماء والاجزاجية فى مداواة من كان يمرض منا فان الحكماء بباريس مع كثرتهم
غاية الكثرة يأخذون فى زيارتهم للمريض الموسر قدرا له وقع على اختلاف مراتبهم
فى الشهرة وعدمها ويتعدد القدر بتعدد الزيارة وهذا ان لم يكن للحكيم سنوية
معلومة وقد اسلفنا ذلك فى باب اعتناء الفرنساوية بالطب وتعهدهم للصحة فاقل
الحكماء يأخذ فى كل زيارة يمكث فيها نحو نصف ساعة ثلاثة افرنكات والحكيم
المتوسط يأخذ فى كل زيارة خمسة فرنكات والحكيم الجليل القدر يأخذ فى كل
زيارة ابلغ من خمسين فرنكا وكلما تعددت الزيارة فى اليوم الواحد تعدد القدر
واما بالنسبة للمعدم فقد لا يأخذون منه شيأ ونحن نعد هنالك من الموسرين
بل من الاغنياء لتجملنا بالملبس الغريب عندهم ولنسبتنا لولى النعم ولكثرة هذه
المصاريف فى تعليمنا وغيره من سائر ما ذكرنا كان ناظر التعليم او الضابط علينا
يذكرنا به فى اغلب الاوقات لنجتهد وسترى بعض ذلك فى مراسلات كتبها الى بعد
الامتحان العام

الفصل الثانى فى تدبيرنا فى شأن الدخول والخروج

حين اجتماعنا فى بيت الافندية كنا لا نخرج منه ليلا ولا نهارا الا يوم الاحد الذى هو عيد الافرنج بورقة اذن للبواب من الضابط الذى نظره علينا ولى النعم ثم بعد تفرقنا فى المكاتب المسماة البنسيونات كنا نخرج ايام البطالة وهى يوم الاحد بتمامه ويوم الخميس بعد الدروس وايام اعياد الفرنساوية ومنا من كان يخرج كل ليلة بعد العشا ان لم يكن له درس بعده ولنذكر لك هنا قانون نامة الذى صنعه الافندية بعد دخولنا فى البنسيونات وعبارته هذه صورة ترتيب الافندية فى البنسيونات * المادة الاولى ان يوم الاحد المقرر لهم الخروج فيه يلزم ان يخرجوا من البنسيونات فى الساعة تسعة ويأتوا الى البيت المركز من اول الامر ويقدموا وقت الدخول ورقة معلمهم الى الافندى النوبتجى فى هذا الشهر لاجل ان يعلم ساعة دخولهم فى البيت وبعد ذلك يذهبون الى المواضع المعدة للفرجة بشرط ان يجتمع ثلاثة او اربعة ثم يرجعون الى البنسيونات فى ايام الصيف الساعة تسعة وفى ايام الشتا والساعة ثمانية وهذا الترتيب لازم ولابد فان رجع احد الى البنسيون قبل ذلك وتعشى هنالك فهو اولى واحسن ومن اللوازم ان لا يدور احد فى الازقة ليلا ومتى دخل فى البنسيونات يعطى الورقة المذكورة للمعلم * المادة الثانية ان من لم يمتثل لخصوص ما سبق يمنع الخروج من البنسيون بحسب الاقتضا جمعة او جمعتين * المادة الثالثة ان كل من له شكاية من معلمه لا تسمع ولا تقبل حتى يكتبها فى ورقة ولا تسمع الا اذا كانت من جهة التعليم اومن جهة اخرى يحصل له منها ضرر ولكن قبل ان يكتب ورقة الشكاية يعرف عنها معلمه مرة ثم يكتبها للنوبتجى فى هذا الشهر * المادة الرابعة ان جميع الافندية يمتحنون فى اخر كل شهر ليعرف ما حصلوه من العلوم فى هذا الشهر ويسئلون عما يحتاجون اليه من الكتب والالات ويكتب فى اخر كل شهر كسبهم وتحصيلهم وافعالهم على الصحيح ولاجل هذا ينبغى التفكر فى هذا بالخصوص لاجل تحصيل غرض حضرة ولى النعم * المادة الخامسة لو احتاجوا شيأ من الكتب والالات فى اثناء الشهر يطلبونه من معلمهم بورقة يكتبونها له

ومعلمهم يخبر بذلك مسيو جومار فان رآه مناسبا يعطيهم ذلك بعد ما يخبر النوبتجي
فان اشترى احد شيأ من غير اجازة يلزمه ان يدفع ثمنه من عنده * المادة السادسة
انه بعد الامتحان بما ذكرنا في المادة الرابعة ان استحق احد من الافندية الهدية
بنجابته تعطى له كتب والات وسكة * المادة السابعة في محل التفرج او الطريق
لا ينبغي لاحد منهم ان يرتكب ما يخل بمروءته وهذا الامر هو اهم الجميع وممنوع اشد
المنع) المادة الثامنة ان كل الافندية الذين هم في البنسيونات لا يدخلون في البيت
المركزالا كل خمسة عشر يوما مرة وهو يوم الاحد) المادة التاسعة ان يوم الاحد الذى
لا يأتون فيه الى البيت يخرجون فيه مع اولاد الفرنساوية او مع المعلمين الى مواضع
التفرج او الرياضة او ما ينبغي رؤيته وكذلك يوم الخميس او يوم التعطيل ان لم يكن
عليهم شغل فيذهبون مع من ذكر الى المواضع المذكورة * المادة العاشرة يتبعون
قوانين البنسيون كاولاد الفرنساوية بالتدقيق والاهتمام في غير الامور المتعلقة
بالدين * المادة الحادية عشر اذا خالف احد هذا الترتيب يقابل بقدر مخالفته
واذا اظهر عدم الطاعة يحبس بالخشونة وان كان احد يتشبث بافعال غير لايقة
واطواره غير مرضية وجاءت تذكرة من معلمه تشهد عليه بقبح حاله وتبين عصيانه
فمثل ما ذكر حضرة ولى النعم افندينا في القوانين التي اعطاها لنا نتشاور مع
المحبين لحضرة افندينا من اهالى هذه المدينة ونرسل فاعل القبح والعصيان بنفسه
حالا الى مصر من غير شك ولا شبهة * المادة الثانية عشر ان جميع الافندية يكونون
في البنسيونات في هذا الترتيب على حد سوا وان كان في البنسيونات مائدتان
احداهما للمعلمين والاخرى للتلامذة فافنديتنا يأكلون مع معلميهم * المادة
الثالثة عشر ان الافندية المذكورين يلزمهم جميع ما ذكر من القوانين من غير
امتياز وبسبب ذلك اعطينا كل واحد منهم صورة ذلك * المادة الرابعة عشر
كل المواد السابقة هى خلاصة افكارنا ونتيجة اذهاننا واذهان الاعيان الذين
وصاهم علينا حضرة افندينا وبناء على ذلك كل احد يلزمه ان يتبعه مع التنبه
لاجل تحصيل رضاء حضرة افندينا ولى النعم فمن لم يمتثل او تعلل بشئ يجرى
عليه ما هو مذكور في قانون حضرة افندينا ولى النعم حفظه الله

الفصل

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

الفصل الثالث فى ترغيب ولى النعم لنا فى الشغل والاجتهاد جرت عادته من مدة خروجنا من مصر بانه كان يتفضل علينا ببعثه لنا فرمانا كل عدة اشهر يحثنا فيه على تحصيل الفنون والصنائع فمن هذه الفرمانات ما كان من باب ما يسمى عند العثمانية احياء القلوب مثل الفرمان الاتى ومنها ما كان من باب التوبيخ على ما كان يصله منا ويبلغه عنا من بعض الناس حقا اوغير ذلك كفرمان اخر وصلنا قبل رجوعنا الى مصر القاهرة ولنذكر لك هنا فرمانا من النوع الاول الذى هو احياء القلوب وان كان فيه ايضا شائبة توبيخ لتعلم كيف كان حفظه الله يحثنا على التعليم وهذه صورة ترجمته * قدوة الاماثل الكرام الافندية المقيمين فى باريس لتحصيل العلوم والفنون زيد قدرهم ينهى اليكم انه قد وصلنا اخباركم الشهرية والجداول المكتوب فيها مدة تحصيلكم وكانت هذه الجداول المشتملة على شغلكم ثلاثة اشهر مبهمة لم يفهم منها ما حصلتموه فى هذه المدة وما فهمنا منها شيأ وانتم فى مدينة مثل مدينة باريس التى هى منبع العلوم والفنون فقياسا على قلة شغلكم فى هذه المدة عرفنا عدم غيرتكم وتحصيلكم وهذا الامر غمنا غما كثيرا فيا افندية ما هو مأمولنا منكم فكان ينبغى لهذا الوقت ان كل واحد منكم يرسل لنا شيأ من اثمار شغله وآثار مهارته فاذا لم تغيروا هذه البطالة بشدة الشغل والاجتهاد والغيرة وجئتم الى مصر بعد قراءة بعض كتب فظننتم انكم تعلمتم العلوم والفنون فان ظنكم باطل فعندنا ولله الحمد والمنة رفقاؤكم المتعلمون يشتغلون ويحصلون الشهرة فكيف تقابلونهم اذا جئتم بهذه الكيفية وتظهرون عليهم كمال العلوم والفنون فينبغى للانسان ان يتبصر فى عاقبة امره وعلى العاقل ان لا يفوّت الفرصة وان يجنى ثمرة تعبه فبناء على ذلك انكم غفلتم عن اغتنام هذه الفرصة وتركتم انفسكم للسفاهة ولم تتفكروا فى المشقة والعذاب الذى يحصل لكم من ذلك ولم تجتهدوا فى كسب نظرنا وتوجهنا اليكم لتتميزوا بين امثالكم فان اردتم ان تكسبوا رضاءنا فكل واحد منكم لا يفوّت دقيقة واحدة من غير تحصيل العلوم والفنون وبعد ذلك كل واحد منكم يذكر ابتداءه وانتهاءه كل شهر ويبين زيادة على ذلك درجته فى الهندسة والحساب والرسم وما بقى عليه فى خلاص هذه

العلوم ويكتب فى كل شهر ما تعلمه فى هذا الشهر زيادة على الشهر السابق وان قصر ثم فى الاجتهاد والغيرة فاكتبوا الناسبيه وهو اما من عدم اعتنائكم اومن تشويشكم واى تشويش لكم هل هو طبيعى او عارض وحاصل الكلام انكم تكتبون حالتكم كما هى عليه حتى نفهم ما عندكم وهذا مطلوبنا منكم فاقرؤا هذا الامر مجتمعين وافهموا مقصود هذه الارادة * قد كتب هذا الامر فى ديوان مصر فى مجلسنا فى اسكندرية بمنه تعالى فحتى وصلكم امرنا هذا فاعملوا بموجبه وتجنبوا وتحاشوا عن خلافه (خمسة فى ربيع الاول سنة ١٢٤٥ خمسة واربعين بعد الالف والمأتين من الهجرة انتهت صورة المكتوب * ومن وقت هذا المكتوب صرنا نكتب كل شهر جميع ما قرأناه وما تعلمناه فى ذلك الشهر وتكتب تحته المعلمون اسماءهم وتبعثه الى ولى النعم فلما تساهل بعض منا فى ذلك كتب مسيو جومار الينا جميعا مكاتيب ليأمر من كان مواظبا على كتابة هذه الاوراق فى كل شهر ان يدوم على مواظبته ويوبخ من تساهل وهذه صورة ترجمة المكتوب الذى ارسله الىّ فى هذا المعنى ولنذكره كما هو باريس ١٥ فى شهر يونيه ٢٥ فى شهر محرم سنة ١٢٤٦ الى محبنا العزيز الشيخ رفاعة لا يخفى عليكم الامر الوارد من ولى النعم المتعلق بالاوراق الشهرية المشتملة على الدروس التى قرأتموها فاقدم على ما انت عليه من المواظبة وابعث هذه الاوراق فى يوم الثلاثين كل شهر لمسيو المهردار افندى واطلب منه اوراقا غير مكتوبة لتكتبها بعد ذلك ومن المعلوم ان هذه الورقة الشهرية لا تأخذ فى كتابتها الا نصف ساعة لان الغرض منها مجرد ضبط عدد الدروس التى قرأتها او معرفة نوعها وليكتب رئيس مدرستك فى كل شهر فى الورقة الشهرية تحت اسمك ولا يخفى علىّ اجتهادك ولا اجهل قدر ثمرة تحصيلك فاطلب منك ان تواظب على توفية الحقوق التى كلفت بها واعلم وتيقن بمحبتى لك جومار احد ارباب ديوان الانسطيطوت

الفصل الرابع فى بعض مراسلات بينى وبين بعض من كبار علماء الفرنساوية غير مسيو جومار

فممن كاتبنى عدة مرات مسيو دساسى ولنذكر لك بعض مكاتيبه فمنها ما كتبه

باللغة العربية ومنها ما كتبه باللغة الفرنساوية * صورة مكتوب منه من الفقير الى
رحمة ربه سبحانه وتعالى الى المحب العزيز المكرم والاخ المعز المحترم الشيخ الرفيع
رفاعة الطهطاوى صانه الله عز وجل من كل مكروه وشر وجعله من ذوى العافية
واصحاب السعادة والخير اما بعد فان القطعة التى اكملت المطالعة فيها من كتابك
النفيس وحوادث اقامتك فى باريس رددتها اليك على يد غلامك ويصلك صحبتها
حاشية منى على ما تقوله فى باب تصريف الفعل فى لغتنا الفرنساوية فاذا نظرت
فيها تبين لك صحة ما نستعمله من صيغة الفعل الماضى فمن الواجب عليك
ان تصنف كتابا يشتمل على نحو اللغة الفرنساوية المتداولة عند امم اوربا كلها
وفى ممالكها حتى يهتدى اهل مصر الى موارد تصانيفنا فى فنون العلوم
والصناعات ومسالكها فانه يعود لك فى بلادك اعظم الفخر ويجعلك عند القرون
الاتية دائم الذكر ودمت سالما * كتبه المحب سلوستري دساسى انتهى
صورة مكتوب آخر الى حبيبنا الشيخ رفاعه الطهطاوى حفظه الله وابقاه
اما بعد فانه سيصلك مع هذا ما طلبته منا من الشهادة باننا قرأنا الكتاب المشتمل
على حوادث سفرك وكلما امعنت فيه النظر من اخلاق الفرنساوية وعوائدهم
وسياساتهم وقواعد دينهم وعلومهم وآدابهم وجدناه مليحا مفيدا يروق الناظر
فيه ويعجب من وقف عليه ولا باس ان تعرض خط يدنا على مسيو جومار
وان شاء الله يحصل لك بمصنفك هذا حظوة عند حضرة سعادة الباشا ونعم عليك
بما انت اهله ودمت على احسن حال * محبك الداعى سلوستري دساسى الباريزى
وصحبة هذا المكتوب ارسل الى ورقة باللغة الفرنساوية لاطلع عليها مسيو جومار
وهى بالتقريظ اشبه وصورة ترجمتها لما اراد مسيو رفاعة ان اطلع على كتاب
سفره المؤلف باللغة العربية قرأت هذا التاريخ الا اليسير منه فحق لى ان اقول
انه يظهر لى ان صناعة ترتيبه عظيمة وان منه يفهم اخوانه من اهل بلاده فهما
صحيحا عوائدنا وامورنا الدينية والسياسية والعلمية ولكنه يشتمل على بعض اوهام
اسلامية ومن هذا الكتاب يعرف علم هيئة العالم وبه يستدل على ان المؤلف جيد
النقد سليم الفهم غير انه ربما حكم على سائر اهل فرانسا بما لا يحكم به الا على اهل

باريس والمدن الكبيرة ولكن هذه نتيجة متولدة ضرورة من حالته التى هو عليها
حيث لم يطلع على غير باريس وبعض المدن وقد احرص فى باب العلوم على ذكر
المعلومات توطئة للتوصل الى المجهولات خصوصا فى نبذته المتعلقة بعلم الحساب
وبهيئة الدنيا وعبارة هذا الكتاب فى الغالب واضحة غير متكلف فيها التمنيق
كما يليق بمسائل هذا الكتاب وليست دائما صحيحة بالنسبة لقواعد العربية ولعل
سبب ذلك انه استعجل فى تسويده وانه سيصلحه عند تبييضه وفى التكلم على علم
الشعر ذكر استطرادا بعض اشعار عربية اجنبية من موضوع هذا الكتاب على
ما يظهر لى لكنه ربما اعجب ذلك اخوانه من اهل بلاده وفى الكلام على تفصيل
الصورة المدورة على غيرها من الاشكال ذكر بعض اشياء قليلة الجدوى فينبغى
له حذفها وما ذكرت هذه الاشياء وبينتها هذا التبيين الا للاعلام بانى دققت النظر
فى قراءتى هذا الكتاب وبالجملة فقد بان لى ان مسيو رفاعه احسن صرف زمنه
مدة اقامته فى فرانسا وانه اكتسب فيها معارف عظيمة وتمكن منها كل التمكن حتى
تاهل لان يكون نافعا فى بلاده وقد شهدت له بذلك عن طيب نفس وله عندى
منزلة عظيمة ومحبة جسيمة * البارون سلوسترى دساسى باريس فى شهر فبريه
سنة ١٨٣١ ١٩ فى شعبان سنة ١٢٤٦

وصورة ترجمة مكتوب كتبه لى قبيل خروجى من مدينة باريس بعد اهداء السلام
الى مسيو رفاعة يحصل لى حظ عظيم اذا جاء عندى يوم الاثنين الاتى والساعة
فى ٣ ان امكنه ان يسرنى برؤيتى له لحيظات لطيفة ويحصل لى ايضا غاية الانبساط
اذا بعث لى اخباره بعد وصوله الى القاهرة فاذا لم يتيسر لى رويته طلبت له طريق
السلامة ولا ازال اتذكر دائما اثاره واستنشق اخباره مع انجذاب قلب
وانشراح صدر * البارون سلوسترى دساسى

وصورة ما كتبه مسيو كوسين دى برسوال مدرس اللغة العربية المتداولة فى
المحاورات المشهورة باسم الدارجة عند العامة بداركتبخانه السلطانية بباريس
وكنت كتبت له ان يبعث لى رأيه فى هذه الرحلة فكتب هذا الجواب وصورته حضرة
المحب العزيز الاكرم الفصيح اللسان والقلم جناب الشيخ رفاعة المحترم حفظه الله

امين

امين بعد اهداء ائكم جزيل السلام ومزيد التحية والاكرام فقد ورد علينا عزيز
مكتوبكم البارحة فبادرنا بقضاء حاجتكم فواصل لكم طية تحرير تحتوى على
رأينا فى كتاب حوادث سفركم الذى تفضلتم علينا باطلاعنا عليه وبالحقيقة قلنا
مثل ماهو اعتقادنا وشرحنا ماوجدنا فيه من المحاسن واما بخصوص المذام
فما القينا من ذلك شيأ وحيث انكم عازمون على السفر فى آخر هذا الشهر فالمأمول
من حسن محبتكم انكم بعد وصولكم بالسلامة الى بلادكم لا تخرجونا من خاطركم
وتواصلونا بالاعلام بصحتكم ونترجاكم ايضا انه اذا طبع كتابكم تبعثوا لنا منه نسخة
وبذلك تصيروا ممنونين ولافضالكم شاكرين والله تعالى يحفظكم والسلام
محبكم كوسين دى برسوال ٢٤ شباط سنة ١٨٣١
والمراد بطية التحرير ورقة شهادته بانه اطلع على هذا الكتاب وقال رأيه فيه
وصورة ترجمة هذه الطية التى كتبها المسيو جومار باللغة الفرنساوية ليخبره برأيه
فى هذه الرحلة قرأت بالتأمل مؤلف الشيخ رفاعة الملقب بتخليص الابريز فى
تلخيص باريز فوجدته يتضمن حكاية صغيرة فى سفر المصريين المبعوثين الى
فرانسا من طرف وزير مصر الحاج محمد على باشا وتشتمل على تخطيط مدينة
باريز وعلى نبذات مؤخرة فى جملة فروع من العلوم المطلوبة التعليم من هؤلاء
التلامذة وقد ظهر لى ان هذا التأليف يستحق كثيرا من المدح وانه مصنوع على
وجه يكون به نفع عظيم لاهالى بلد المؤلف فانه اهدى لهم نبذات صحيحة من
فنون فرانسا وعوائدها واخلاق اهلها وسياسة دولتها ولما رأى ان وطنه
ادنى من بلاد اوربا فى العلوم البشرية والفنون النافعة اظهر التأسف على ذلك
واراد ان يوقظ بكتابه اهل الاسلام ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة
ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الافرنجى والترقى فى صنايع المعاش وماتكلم عليه
من المبانى السلطانية والتعليمات وغيرها اراد ان يذكر به لاهالى بلده انه ينبغى
لهم تقليد ذلك وما نظر فيه فى بعض العبارات يدل فى الغالب على سلامة عقله
وخلوه من التعسف والتحامل وعبارة هذا الكتاب بسيطة اى غير متكلف فيها
التنميق ومع ذلك فهى لطيفة وحين كانت نسخة هذا الكتاب بيدى كان الجزء الذى

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

يتعلق بالعلوم والفنون غير تام فما رأيت منه الا نبـذة فى الرياضيات وعلم هيئة
الدنيا ومبادى اصول الهندسة والجغرافيا الطبيعية فهذه النبذات وان كانت
موجزة الا انها مشبعة فيترجى ان المؤلف يدوم على تأليف النبذات الباقية بهذه
المثابة واذا اجتمعت هذه النبذات فى هذا الكتاب فانها تكون كتاب علوم مستقل
مفتاحا لغيره من العلوم نافعا لاهل العربية واذا فرغ الكتاب بهذه الطريقة فانه
يستدل به على رفعة عقل مؤلفه واتساع دائرة معرفته * كوسين دى برسوال
فاذا قابلت هذا المكتوب مع ما تقدم رايت ان مسيو دساسى ومسيو كسين
اتفقا على حسن هذا الكتاب وعلى بساطة عبارته اى عدم التأنق فيها وعلى نفعه
لاهل مصر وانما مسيو دساسى اعابه بثلاثة اشياء الاول اشتماله على بعض
مسائل يعتقد انها من اوهام الاسلام الثانى جعلنا ما ينسب لمدينة باريس
وغيرها من المدن عاما لسائر بلاد فرانسا الثالث ذكرنا بعض اشياء قليلة الجدوى
عند تفضيل الشكل المدور على غيره من الاشكال واما مسيو كسين فانه
لم يتعرض لما جعله مسيو دساسى من باب الاوهام ولما تحدثت معه فى شأن ذلك
اجابنى بانه لم ير ذلك مضرا حيث انى كتبت على ما هو فى اعتقادى والا لو تبعت
ما قاله الافرنج ووافقت اراءهم للعيا او غيره لكان ذلك محض موالسة واما قوله
كمسيو دساسى ان عبارة هذا الكتاب بسيطة فمعناه ان تراكيبه لم يحاول فيها سلوك
طريق البلاغة يقال عند علماء الفرنساوية عبارة بسيطة فى مقابلة العبارة
البليغة ولنذكر لك هنا رسالة من شخص كان بينى وبينه محبة اكيدة
وصورة اجتماعى بهذا الشخص انى دخلت مكتبه لقراءة الكازيطات اى الوقايع
اليومية فتعرفت بهذا الشخص الذى هو محاسبجى فى وزارة الخزينة المالية
واخوه مأمور ببرطمانه يعنى اقليما من اقليم الفرنساوية وهو من بدنة عظيمة
تسمى السلادانية نسبة الى سلادان يعنى صلاح الدين يتوهمون انهم ينتسبون
الى السلطان صلاح الدين الايوبى قائلين انه يحتمل ان يكون حين محاربته
مع الافرنج تسرى بفرنساوية فحملت منه ثم انطلقت الى بلادها فبقى الاسم
فى اولادها وذراريها الى الان ثم انى كما تعرفت به تعرفت بسائر اقاربه ولازلت

معهم على الصحبة الاكيدة مدة اقامتى فى باريس فلما سافرت كان عند
اخيه المأمور فى اقليم الترك فى مدينة يقال لها البى فارسل الى هذا المكتوب
وهذه صورة ترجمته مع بعض حذف جائز الى حضرة عزيزنا الشيخ رفاعه قد سلمت
امانتك لابن سيخ المأمورية ليعطيها لك فانتظرها بعد وصول هذا المكتوب
بزمن يسير وقد وكلنى اخى بان اخبرك بثنائه عليك على ما صنعته معه من الجميل
فى اعارتك له هذه الامانة وان اهنيك على بلوغك المأمول هل عن قريب تفارقنا
لترى وطنك العزيز فان شاء الله تجتمع بما تركته فيه من الاقارب والاحباب وتجده
بخير فقد بلغنى ان سفرك قد قرب جدا حتى اننى لا اظن ان اقابلك فى مدينة باريس
ولكن لو سافرت قبل هذا الزمن بيسير لاجتمعنا فى مرسيليا وودعتك فى اخر
مدينة من مدن الفرنساوية تعبر فيها فى سفرك ولو تأخر سفرك مدة يسيرة لافترقنا
فى مدينة باريس التى كان بها اول اجتماعنا ولا ادرى ان كان التلاقى مقدرا
ام لا ولكن تقلبات الدهر كثيرة خصوصا للافرنج فلا يمكننى ان اجزم بعدم
الاجتماع وبالجملة فلا شك انك تركت فى فرانسا صديقا يتذكرك ويتأثر بما يقع
لك من النفع والضر ويسر غاية المسرة اذا بلغه انك تحظى فى بلادك بثمرة فضلك
واوصافك وليت شعرى ترجع الى بلادك باى اعتقاد فى طبيعة الفرنساوية فقد
رأيت هذه الملة فى وقت ينبغى ان يكون تاريخا من غرائب سيرها واظن انك
تسئل فى بلادك مرارا عديدة عن هذه الفتنة العظيمة ونصرة الفرنساوية فى طلب
الحرية فاذا وقع اتفاقا ان سفرك توقف مدة ايام فأمولى ان اراك فى مدينة باريس
والا فارجو منك ان لا تسافر حتى تودعنى بلسان القلم بمحبتى لك غاية المحبة انتهت
صورته * جول سلادان

وهذه صورة مكتوب تفهم منه ايضا رغبة الفرنساوية فى تحصيل الكتب
الغريبة وترغيبهم للمؤلفين او المترجمين فى ترجمة الكتب وتأليفها وهذه صورة
ترجمة هذا المكتوب الى مسيو الشيخ رفاعة قد حملنى مسيو دبنغ ان اسأل
عن ترجمتك لكتاب العلوم الصغير المشتمل على اخلاق الامم وعوائدهم
وآدابهم لان مسيو دبنغ مؤلف هذا الكتاب فاذا كانت ترجمتك تطبع فى مصر

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

هل يتيسر لمؤلف الاصل ان يقيد اسمه لتحصيل عدة نسخ من نسخ هذا الكتاب بالشرا ونعرفك انك تخبرنا من اى محل وصلت فى الترجمة من المجلد الاول من جغرافيا ملطبرون فان هذا الجزء الان يطبع طبعا اخر مصححا مشتملا على زيادات لا توجد فى الاول فلا باس ان نحيطك به علما فانه يكمل طبعه فى اثناء هذا الشهر ومنى اليك مزيد التحية * محبك الصادق رنو بخزانة الكتب السلطانية بباريز

الفصل الخامس فى ذكر ما قرأته من الكتب فى مدينة باريس وفى كيفية الامتحانات وفيما كتبه لى مسيو جومار وفيما كتب من خلاصة الامتحان الاخير فى الوقائع العلمية واذكر هنا ما قرأته مرتبا بهذا الترتيب وان تكرر مع ما سبق

تعليم اصول نحو اللغة الفرنساوية

كان خروجنا من الكرنتينة فى السابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٢٤١ وبعد ايام قليلة فى مرسيليا ابتدأنا فى التهجى والقراءة وبعد نحو اربعين يوما تعلمنا الحروف الفرنساوية والتهجى ووصلنا باريس فى شهر محرم فرجعنا ثانيا للابتداء فى اصول الهجا واشتغلنا بذلك نحو شهر ثم ابتدأنا جميعا فى قراءة اجرومية لومند فى نحو اللغة الفرنساوية وكان المعلم يضيف اليها من اجرومية اخرى ما يحتاج اليه الحال فلما خرجت من بيت الافندية قرأت مع مسيو شواليه اجرومية اخرى ومع معلم اخر يسمى لمونرى اجروميتين وفى كل من البيتين يعنى بيت الافندية وبيت المعلم كنت اشتغل بالاعراب النحوى والاعراب المنطقى يعنى تطبيق الكلام على قواعد النحو وقواعد المنطق وبالاملا والانشا والقراءة ولازلت على ذلك ثلاث سنوات

علم التاريخ

ابتدأنا فى بيت الافندية حين كنا معا بكتاب سير فلاسفة اليونان فقرأناه وتممناه ثم ابتدأنا بعده فى كتاب تاريخ عام مختصر مشتمل على سير قدما المصريين والعراقيين واهل الشام واليونان وقدماء العجم والرومانيين والهنود وفى اخره

نبذة مختصرة فى علم الميثولوجيا يعنى علم جاهلية اليونان وخرافاتهم ثم قرأت عند مسيو شوالية كتابا يسمى لطائف التاريخ يتضمن قصصا وحكايات ونوادر ثم بعده قرأت كتابا يسمى سير اخلاق الامم وعوائدهم وآدابهم ثم تاريخ سبب عظم دولة قياصرة الروم وانقراضها ثم كتاب رحلة انخرسيس الاصغر الى بلاد اليونان ثم قرأت كتاب سيغور فى التاريخ العام ثم سيرة نابليون ثم كتابا فى علم التواريخ والانساب ثم كتابا يسمى بانورما العالم يعنى مرآة الدنيا ثم رحلة صنفها بعض المسافرين فى بلاد الدولة العثمانية ثم رحلة فى بلاد الجزاير

علم الحساب والهندسة

قرأت فى الحساب كتاب بزوت وفى الهندسة الاربع مقالات الاول من كتاب لوجندره

علم الجغرافيا بانواعها

قرأت مع مسيو شواليه كتاب جغرافية يشتمل على الجغرافية التاريخية والطبيعية والرياضية والسياسية ثم قرأت رسالة اخرى فى الجغرافية الطبيعية مقدمة لقاموس فى الجغرافية يعنى معجم البلدان ثم قرأت الكتاب الاول بعينه مع معلم اخر غير مسيو شواليه وقرأت ايضا مع مسيو شواليه جملا عظيمة من جغرافية ملطبرون ورسالة الفها التعليم بنته فى هيئة الدنيا وقرأت وحدى مؤلفات عديدة فى هذا الفن

فن الترجمة

ترجمت مدة اقامتى فى فرانسا اثنى عشر كتابا او شذرة يأتى ذكرها فى آخر هذا الكتاب يعنى اثنى عشر مترجما بعضها كتب كاملة وبعضها نبذات صغيرة الحجم

كتب فى فنون مختلفة

قرأت كتابا فى علم المنطق الفرنساوى مع مسيو شواليه ومسيو المونرى وعدة مواضع من كتاب ليبرتر وايال من جملتها المقولات وكتابا آخر فى المنطق يقال له كتاب قندلياق غير فيه منطق ارسطو وقرأت مع مسيو شوالية كتابا صغيرا فى المعادن وترجمته وقرأت كثيرا من كتب الادب فنها مجموع نويل ومنها عدة

مواضع من ديوان ولتير وديوان رسين وديوان رسو خصوصا مراسلاته الفارسية التى يعرف بها الفرق بين اداب الافرنج والعجم وهى اشبه بميزان بين الاداب المغربية والمشرقية وقرأت ايضا وحدى مراسلات انكليزية صنفها القونت شسترفيلد لتربية ولده وتعليمه وكثيرا من المقامات الفرنساوية وبالجملة فقد اطلعت فى آداب الفرنساوية على كثير من مؤلفاتها الشهيرة وقرات فى الحقوق الطبيعية مع معلمها كتاب برلماكى وترجمته وفهمته فهما جيدا وهذا الفن عبارة عن التحسين والتقبيح العقليين يجعله الافرنج اساسا لاحكامهم السياسية المسماة عندهم شرعية وقرأت ايضا مع مسيو شواليه جزئين من كتاب يسمى روح الشرايع مؤلفه شهير بين الفرنساوية يقال له منتسكو وهو اشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية ومبنى على التحسين والتقبيح العقليين ويلقب عندهم بابن خلدون الافرنجى كما ان ابن خلدون يقال له عندهم ايضا منتسكو الشرق اى منتسكو الاسلام وقرأت ايضا فى هذا المعنى كتابا يسمى عقد التأنس والاجتماع الانسانى مؤلفه يقال له روسو وهو عظيم فى معناه وقرأت فى الفلسفة تاريخ الفلاسفة المتقدم المشتمل على مذاهبهم وعقائدهم وحكمهم ومواعظهم وقرأت عدة محال نفيسة فى معجم الفلسفة للخواجه وليتر وعدة محال فى كتب فلسفة قنديلياق وقرأت فى فن الطبيعة رسالة صغيرة مع مسيو شواليه من غير تعرض للعمليات وقرأت فى فن العسكرية من كتاب يسمى عمليات كبار الضباط مع مسيو شواليه ماية صفحة وترجمتها وقرأت كثيرا فى كازيطات العلوم اليومية والشهرية وفى كازيطات السياسات اليومية التى تذكر كل يوم ما يصل خبره من الاخبار الداخلية والخارجية المسماة البوليتيقه وكنت متولعا بها غاية التولع وبها استعنت على فهم اللغة الفرنساوية وربما كنت اترجم منها مسائل علمية وسياسية خصوصا وقت حرابة الدولة العثمانية مع الدولة الموسقوبية ولنذكر لك هنا ترجمتنا رسالة فرضية من فرنساوى متطوع بالخدمة فى معسكر الموسقو من مدينة شملا القريب الى بعض امراء الالوية بمدينة باريس تاريخها اثنان وعشرون من يولية الافرنجى سنة ١٨٢٨ من الميلاد اعلم يا محبنا ان هذا

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

اول مرة التحم فيها صفنا مع الصفوف الاسلامية من منذ وصولنا الى العساكر الموسقوبية ثم ان سائر ما رأيته مما يذهل العقول ويحير الالباب تقصر عنه العبارة كيف وهو امر غريب بالنسبة الى مثلى فلو كنت مثل جنابكم من العسكر المتمرن على الحروب سافرت فى غزوة مصر ورأيت واقعة ابى قير وحصار مدينة عكا لما حار لبى حين رأيت شيأ جديدا لم اكن عاينته قبل ذلك مما يكل عنه الوصف ولكن تأمل يا اخى فى امرى حيث انى قد كنت فى خفر ملكنا وخرجت من مكتب سنسير ولم احضر من الوقائع الا وقعة الاندلس فلم اشعر الان وجدت نفسى قدام جبل بلقان بعد ان جبت البرارى والقفار وعاينت المشاق بتهديد اهلها لنا وتخلصهم منا وادهاشهم لجيوشنا وانظر فى استعجابى وذهاب صوابى حين خرجت الفوارس التركية متصافة تصفوفا عجيبة للحرابة الاسلامية باعلى شملا وقد وصل الى شريف علمكم من دفتر علم الموسقو تفصيل هذه الواقعة وشرح الجم الغفير من عساكرنا والخبر بانها صارت ضايعة وقد شاهدت بعينى سوء ميتة الميرالاى باردى الموسقوبى بحالة رديئة حيث انقسم نصفين بضربة مدفع تركية ومن الان فقط ظهرت صعوبة هذه الحرابة وطول مدتها الا يعد من الغرابة وان كان بعساكرنا شجاعة وصلابة فى الحروب فعساكر الاسلام لها مصادمة قوية بمعزل عن الهروب وهذه المصادمة هى التى تستسهل الخطر وتخترق الموانع لبلوغ الوطر ينتج منها ثمرتان الاولى انها تلقى الحيرة فى عقول الرجال والثانية ان عاقبتها دائما تفرغ الفزع فى قلوب الاعدا ولو كانوا من الابطال ولو شاهدت عيناك ما شاهدته من ان الفرسان العثمانية ترعب الانسان بمجرد منظرها المرعب وبسرعة اقتحامها المدهش المعجب ومشيها على صوت الالحان الوحشيه وصهيل الخيول الكردية ونزولها كالصواعق على المشاة الموسقوبية لحكمت مثلى بان هذه الحرابة تطول وان اضطرام نارها قل ان يزول اوليس ان للدولة العثمانية فرسانا عظيمة مرتبة بترتيب عجيب وهمة علية بنظام غريب او هل ينكر احد ان رجالهم متمرنون على ركوب الخيل وان خيولهم على اصل خلقتهم الوحشية طائعة لسيدها فى الاقدام والاحجام يبلغ عليها فى الحرابة المقصود والمرام

فياويح العساكر القرابة التى يلتحم صفهم ابصف هذه الخيول المركوبة لهولاء الفحول الذين لهم زيادة عن قوتهم الجهادية دعامة غيرتهم الاسلامية والوطنية وهذه مزية لا توجد يقينا فى عساكر الموسقو ثم ازدحام الخلائق فى اوقات الحروب له تدبير صحيح ولكن فى هذه الواقعة لا يجهل انسان ولو كان من القزاق ان الفخر لعساكر الاسلام وهذا الخبر بما ظهر لك انه عجيب من مثلى خصوصا وانا قد جئت متطوعا فى عسكر الموسقو لاشاركهم فى اقتحام الاخطار واقتسم معهم الفخار ولكن لما وصلت الى هنا ظهر لى ان الظن قد خاب وانى قد حدت عن الصواب ورأيت اعداءنا الذين كنا نتهمهم بحقارة الرتبة والرداءة هم الليوث الضراغم ليس لهم شئ من الدناءة بل هم اقرب الى قبول التأدب والظرافة من الافرنج واعلم يا اخى ان غيرتى على خلاص الاروام من يد العثمانية لم تنقص شيأ ولكن اقول ليت شعرى هل تلزم الغارة على اسلامبول فى خلاصهم اوليس مما يتحسر عليه ان ما خسرناه فى اخذ مدينة ابرائل من العساكر كان يكفى وحده فى فك اسر الاروام وتحرير رقابهم وتقليل سفك دمائنا بعساكر الاسلام وقد اسرنا عن قريب احد ضباط العساكر العثمانية وكان شابا بديع الصورة كثير الجروح فعفى عساكرنا عن قتله ولم يكن ذلك لغيره ورقوا لملاحته وجراحته نخاطبته باللغة الايطاليانية ففهم مقالى واجاب سوالى واخبرنى بان اباه له من العمر الان ثمانون سنة وله اخوان فى خدمة حسين باشا لا يشك فى نصرة الدولة العثمانية بل يقول ان الترك يصلون الى موسقو واعلم يا اخى ان فى شملا نحو مائتى الف محارب ويتجدد عليها كل يوم وسلطانهم بطل عظيم عن يقين وها انا الان اطوى لك كتابى لاضع قدمى فى ركابى فالان عساكر الاعداء تحارب فى طالعة جيشنا وانا بين دوى الحان الترك وعجيج اصوات الروس غريق وهذه حرابة مهولة ان نظرت بعين التحقيق

الفصل السادس

فى الامتحانات التى صنعت معى فى مدينة باريس خصوصا فى الامتحان الاخير الذى اعقبه رجوعى الى مصر اعلم ان من عادة الفرنساوية ان لا يكتفوا فى العلم

بمجرد شهرة الانسان بالفهم او الاجتهاد او بمدح المعلم فى المتعلم بل لابد عندهم
من ادلة واضحة محسوسة تفيد الحاضرين فى الامتحان قوة الانسان والفرق بينه
وبين امثاله وهذا يكون بالامتحانات العامة يحضرها العام والخاص بدعوة مثل
دعوة الولائم عادة وهنالك امتحانات خاصة وهى ان يمتحن المعلم تلامذته كل اسبوع
او شهر ليعلم قوة زيادتهم فى ذلك الاسبوع او الشهر وليكتب مفاد ذلك الى ابائهم
فكنا فى البنسيونات بهذه المثابة وكل سنة يصنع معنا الامتحان العام بحضرة
اعيان الفرنساوية فاول بحث صنع معنا كان اغلبه ومداره على اللغة الفرنساوية
وقد جرت العادة عندهم بانهم يعطون هدية امتحان للبارعين فى الجواب المتميزين
عن غيرهم ففى اول امتحان عام بعث لى مسيو جومار كتابا يسمى رحلة
انخرسيس فى بلاد اليونان سبعة مجلدات جيدة التجليد مموهة بالذهب يصحبها
هذا المكتوب الذى صورته مترجما * اول يوم فى شهر اغسطس ١٨٢٧ من الميلاد
قد استحقيت هدية اللغة الفرنساوية بالتقدم الذى حصلته فيها وبالثمرة التى نلتها
فى الامتحان العام الاخير ولقد حق لى ان اهنى نفسى بارسالى لك هذه الهدية من
الافندية النظار دليلا على التفاتك فى التعليم ولاشك ان ولى النعمة يسر متى
اخبر ان اجتهادك وثمرة تعليمك يكافئان للمصاريف العظيمة التى يصرفها
عليك فى تربيتك وتعليمك وعليك منى السلام مصحوبا بالمودة وقوله فى الامتحان
الاخير المراد انه اخر بالنسبة لما قبله وهدية الامتحان تشبه ان تكون جائزة
مثل جائزة الشعراء وفى الامتحان العام الثانى بعث لى هدية الامتحان كتاب
الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور مؤلفه
مسيو دساسى وصحبته هذا المكتوب * وصورته مترجما باريس ١٥ فى شهر مارث
سنة ١٨٢٨ من الميلاد قد استحقيت هدية النحو الفرنساوى بالتقدم الذى
حصلته فى هذه اللغة وبالثمرة التى نلتها فى الامتحان العام الاخير ولقد سرنى انك
استحقيت ان ابعث لك علامة السرور منك ليقوى قلبك وها انا باعث جدول
امتحانك لسعادة ولى النعم باجتهادك وفلاحك ولاشك انه يسر بانك تشتغل مع
ثمرة وانك اهل لرعايته لك واعتنائه بتربيتك وتعليمك وعليك منى السلام

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

وفى هذين الامتحانين اخذت هدية الامتحان واما صورة الامتحان الاخير الذى
به رجعت الى مصر ان مسيو جومار جمع مجلسا فيه عدة اناس مشاهير ومن
جملتهم وزير التعليمات الموسقوبى رئيس الامتحان وكان القصد بهذا المجلس
معرفة قوة الفقير فى صناعة الترجمة التى اشتغلت بها مدة مكثى فى فرانسا وصورة
ما تحصل من الامتحان وكتبه الفرنساوية فى وقائع العلوم مانصه وصورة
التلميذ رفاعة انه قرئ فى المجلس دفتران الدفتر الاول يشتمل على تعديد اثنى عشر
ترجمة من اللغة الفرنساوية الى العربية ترجمها المذكور من منذ سنة وهذه
اسماؤها * الاول نبذة فى تاريخ اسكندر الاكبر مأخوذة من تاريخ القدما * الثانى
كتاب اصول المعادن * الثالث رزنامه سنة ١٢٤٤ من الهجرة الفه مسيو جومار
لاستعمال مصر والشام متضمنا الشذرات علمية وتدبيرية * الرابع كتاب دائرة
العلوم فى اخلاق الامم وعوائدهم * الخامس مقدم جغرافيه طبيعية مصححة
على مسيو دهنبلض * السادس قطعة من كتاب ملطبرون فى الجغرافية * السابع
ثلاث مقالات من كتاب لجندرة فى علم الهندسه * الثامن نبذة فى علم هيئة الدنيا
التاسع قطعة من عمليات روساضباط العسكرية) العاشر اصول الحقوق الطبيعية
التى تعتبرها الافرنج * الحادى عشر نبذة فى الميثولوجيا يعنى جاهلية اليونان
وخرافاتهم) الثانى عشر نبذة فى علم سياسات الصحة) الدفتر الثانى يشتمل على رحلته
وذكر سفره ثم احضر له عدة تأليف مطبوعة فى بولاق فترجم منها مواضع بسرعة
ثم قرأ بالفرنساوى مواضع منها ما هو صغير ومنها ما هو كبير فى كازيطة مصر
المطبوعة فى بولاق ثم بحث معه فى ترجمة العمليات العسكرية المترجمة له فكان بعض
الحاضرين بيده الاصل الفرنساوى والشيخ بيده الترجمة ثم انه يترجم العربية
بالسرعة الى الفرنساوية قرأة لا كتابة ليقابل عبارة الترجمة مع عبارة الاصل وقد
تخلص على وجه حسن من هذا الامتحان فادى العبارات حقها من غير تغيير
فى معنى الاصل المترجم ولكن ربما احوجه اصطلاح اللغة العربية ان يضع مجازا
بدل مجاز آخر من غير خلل فى المعنى المراد مثلا فى تشبيه اصل علم العسكرية بمعدن
مشبع يستخرج منه كذا غير العبارة بقوله علم العسكرية بحر عظيم تستخرج منه

الدرر وقد اعترض عليه فى الامتحان بانه بعض الاحيان قد لا يكون فى ترجمته
مطابقة تامة بين المترجم والمترجم عنه وانه ربما كرر وربما ترجم الجملة بجمل
والكلمة بجملة ولكن من غير ان يقع فى الخلط بل هو دائما محافظ على روح المعنى
الاصلى وقد عرف الشيخ الان انه اذا اراد ان يترجم كتب علوم فلا بد له ان يترك
التقطيع وعليه ان يخترع عند الحاجة تغييرا مناسبا للمقصود وقد امتحن فى كتاب
اخر وهو مقدمة القاموس العام المتعلقة بالجغرافية الطبيعية وهذا الكتاب
ترجمه هو الى العربية ولما كان وقت ترجمة هذا الكتاب لم يصل الى درجته الان
فى اللغة الفرنساوية كانت ترجمته دون ترجمة الكتاب الذى بحث معه فيه قبله
وكان عيبه انه لم يحافظ على تأدية عبارة الاصل بجميع اطرافها وعلى كل حال
فلم يغير فى المعنى شيأ بل طريقته فى الترجمة كانت مناسبة فتفرق اهل المجلس
جازمين بتقدم التلميذ المذكور ومجمعين على انه يمكنه ان ينفع فى دولته بان يترجم
الكتب المهمة المحتاج اليها فى نشر العلوم والمرغوب فى تكثيرها فى البلاد المتمدنة
ولا شك ان بعض هذه الكتب قد يحتوى على اشكال والعطار من اهل بلاده
يشتغل بالطباعة على الاحجار لاجل ذلك وقد كان حاضرا فى المجلس فقدم لاهل
المجلس عدة عينات مطبوعة بيده على الحجر من تصوير وكتابة عربية وفرنساوية
وقد ابتدأ فى معرفة تسيير الشوكة للنقش والقلم للكتابة وقلم الشعر لكتابة التصوير
وفى تصويراته توجد حيوانات وامور عمارات وغير ذلك من الامور المصنوعة
بالخطوط من غير ظل ولكنه جاء فى فرانسا كبير السن فلم يمكنه ان يصور تصويرا
صحيحا خاليا عن جميع العيوب ولكن يمكنه ان يعرف معرفة تامة طريق الطباعة
على الحجر علما وعملا وينسخ عينات التصوير التى تعطى له ويطبعها بنفسه عند
الحاجة ويمكنه ان يتأهل لفتح دار للطباعة ونظارتها وقد ترجم مختصرا فى صناعة
الطباعة بالحجر وكتبها على الحجر وطبعها بيده وكانت نسخة منها موضوعة على
باش تختة مسيو جومار انتهى كلام كازيطة دائرة العلوم وكتب لى مكتوب تهنئة
برجوعى الى مصر بعد تحصيل المرام غير ان هذا المكتوب قد ضاع منى وكان
لا باس بذكره هنا وصورة ترجمة ما كتبه لى مسيو شوالبيه وهو اشبه باجازة وشهادة

لى وزارة الحرب يقول الواضع اسمه فيه شواليه تلميذ قديم من تلامذة مدرسة العلوم المسماة بلوتكنيقا الضابط المهندس المكتوب فى وزارة الحرب الوكيل من طرف مسيو جومار والافندية النظار بالارشاد الى تعليم مسيو الشيخ رفاعة اشهد انى مدة نحو الثلاث سنوات ونصف التى مكثها التلميذ المذكور عندى لم ار منه الا اسباب الرضا سواء فى تعليمه او فى سلوكه المملوء من الحكمة والاحتراس وحسن خلقه ولين عريكته وقد قرأ معى فى السنة الاولى اللغة الفرنساوية والقسمغرافيا انتهى وفيما بعدها الجغرافيا والتاريخ والحساب وغير ذلك ولما كان خاليا عن الاستعداد والخفة اللازمين لتعلم الرسم مع ثمرة لم يشتغل به الامرة فى كل اسبوع لمجرد امتثال اوامر ولى النعم ولكن صرف جهده مع غاية الغيرة فى الترجمة التى هى صنعته المختارة له واشغاله فيها مبينة فى اعلاماتى الشهرية خصوصا فى الجرنالات الاولى التى اعطيتها لمسيو جومار وحسب هذا التلميذ ما فى هذه الاعلامات والجرنالات ومما ينبغى التنبيه عليه ان غيرة مسيو الشيخ رفاعة تناهت به الى ان ادته الى ان شغله مدة طويلة فى الليل تسبب عنه ضعف فى عينه اليسار حتى احتاج الى الحكيم الذى نهاه عن مطالعة الليل ولكن لم يمتثل لخوف تعويق تقدمه ولما رأى ان الاحسن فى اسراع تعليمه ان يشترى الكتب اللازمة له غير ما سمح به الميرى وان يأخذ معلما اخر غير معلم الميرى انفق جزأ عظيما من ماهيته المعدة فى شراء كتب وفى معلم مكث معه اكثر من سنة وكان يعطيه الدرس فى الحصة التى لا يقرأ معى فيها وقد ظننت انه يجب على وقت سفره ان اعطيه هذا الاعلام الموافق لما فى الواقع ونفس الامر وان اضيف الى ذلك الافصاح عما فى ضميرى من كمال اعتقاد فضله ومحبته * مسيو شواليه

٢٨ فى شهر فبريه سنة ١٨٣١

المقالة الخامسة فى ذكر ما وقع من الفتنة فى فرانسا وعزل الملك قبل رجوعنا الى مصر وانما ذكرنا هذه المقالة لانها تعد عند الفرنساوية من اطيب ازمانهم واشهرها بل ربما كانت عندهم تاريخا يورخ منه

الفصل الاول فى ذكر مقدمة يتوقف عليها ادراك علة خروج الفرنساوية عن طاعة

ملكهم

ملكهم
اعلم ان هذه الطائفة متفرقة فى الرأى فرقتين اصليتين وهما الملكية والحرية والمراد بالملكية اتباع الملك القائلون بانه ينبغى تسليم الامر لولى الامر من غير ان يعارض فيه من طرف الرعية بشئ والاخرى يميلون الى الحرية بمعنى انهم يقولون لا ينبغى النظر الا الى القوانين فقط والملك انما هو منفذ للاحكام على طبق ما فى القوانين فكانه عبارة عن آلة ولا شك ان الرأيين متباينان فلذلك كان لا اتحاد بين اهل فرانسا لفقد الاتفاق فى الرأى والملكية اكثرهم من القسوس واتباعهم واكثر الحريين من الفلاسفة والعلماء والحكماء واغلب الرعية فالفرقة الاولى تحاول اعانة الملك والاخرى ضعفه واعانة الرعية ومن الفرقة الثانية طائفة عظيمة تريد ان يكون الحكم بالكلية للرعية ولا حاجة الى ملك اصلا ولكن لما كانت الرعية لا تصلح ان تكون حاكمة ومحكومة وجب ان توكل عنها ما تختاره منها للحكم وهذا هو حكم الجمهورية ويقال للكبار مشايخ وجمهور وهذا مثل مصر فى زمن حكم الهمامية فكانت امارة الصعيد جمهورية التزامية فعلم من هذا ان بعض الفرنساوية يريد المملكة المطلقة وبعضهم يريد المملكة المقيدة بالعمل بما فى القوانين وبعضهم يريد الجمهورية وقد سبق للفرنساوية انهم قاموا سنة ١٧٩٠ وحكموا على ملكهم وزوجته بالقتل ثم صنعوا جمهورية واخرجوا العيلة السلطانية المسماة البربون من مدينة باريس واشهروهم مثل الاعدا ولا زالت الفتنة باقية الاثر الى سنة ١٨١٠ ثم تسلطن بونابارته المسمى نابليون وتلقب بسلطان سلاطين ثم لما كثرت حراباته وكثر اخذه للممالك وخيف باسه وبطشه تعاهد عليه ملوك الافرنج ليخرجوه من المملكة فاخرجوه منها مع محبة الفرنساوية له وارجعوا البربون الى محلهم رغما عن انف الملة الفرنساوية فكان اول من تسلطن منهم لويز الثامن عشر ولاجل ترغيب الناس فى حكمه وتمكين ملكه صنع قانونا بينه وبين الفرنساوية بمشورتهم ورضاهم والزم نفسه ان يتبعه ولا يخرج عنه وهو الشرطة وقد ذكرناها مترجمة فى باب سياسة الفرنساوية ولا شك ان وعد الكريم الزم من دين الغريم وقد جعل هذا القانون له ولمن بعده من ورثة

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

مملكة الفرنساوية وانه لا يزاد فيه ولا ينقص الا اذا اتفق عليه الملك وديوان البير وديوان وكلاء الرعية فلابد من الديوانين والملك ويقال انه صنع ذلك على غير مراد اهله واقاربه وهم يحبون التصرف المطلق فى الرعية ويقال انهم تعصبوا عليه وكان رئيس العصبة اخاه شرل العاشر حتى انه اطلع على ما اخفاه له فابطله ويقال ان شرل العاشر اراد فى كبرلويز الثامن عشر ان ينقض ذلك القانون ويرجع الى طريق اطلاق التصرف فلم يمكنه ذلك ثم بعد موت اخيه اظهر شرل الحيلة وابطل ما كان نواه واظهر انه لا يريد شيأ من ذلك وجوز لكل انسان ان يبدى فى الكازيطات رأيه بالكتابة من غير ان ينظر فيه قبل طبعه واظهاره فصدق الناس كلامه واعتقدوا انه لا يخلف وعده بل فرحت سائر الرعية بتدبيره ومشيه على القوانين ثم انه انتهى امره الى ان هتك القوانين التى هى شرايع الفرنساوية وخالفها وقبل هتكه للشريعة بانت منه امارتها بمجرد تقليده الوزارة للوزير بولنياق وهو معلوم المذهب والتدبير يعنى انه يميل الى كون الامر لا يكون الا للملك ويقال ان هذا الوزير هو ابن زنا زنت امه بهذا الملك فولدته منه فهو فى الحقيقة ابوه وشهير بالظلم والجور ومن الحكم التى فى غاية الشيوع ان ظلم الاتباع مضاف الى المتبوع وفى الحديث من سل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولازمه الهم وقال الشاعر

من انصف الناس ولم ينتصف بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافه مثلما انصف اضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافه وهو لا ينصفهم فهو الدنى الحقير

ولما كان هذا الوزير سابقا ايلجيا ببلاد الانكليز من طرف الفرنساوية يعنى رسولا للمصالح بين الدولتين كانت الفرنساوية تنسب اليه كلما خالف مذهب الحرية وكلما شاع عنه انه راجع الى فرانسا ظن جميع الناس انه لا يأتى الا ليتقلد منصب الوزارة ويغير القوانين فلذلك كان يبغضه سائر ارباب الحرية واغلب الرعية وقد عرف الفرنساوية من قبل ان اختياره للوزارة كان مقصودا لهم وقد حصل بعد توليته بنحو سنة وقد قلنا فيما سبق ان ديوان رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية

يجتمعون كل سنة للمشورة العمومية فلما اجتمع هذا الديوان عرضوا على الملك ان يعزل هذا الوزير ومن معه من الوزرا الستة فلم يصغ لكلامهم اصلا وقد جرت العادة ان ديوان المشورة يعمل فيه جميع الاشياء بمقالة اكثر اربابه وكان المجتمع فى هذا الديوان للمشورة فى قضية الوزرا اربعماية وثلاثون نفسا منها ثلاثماية لا يرضون بابقاء الوزرا ومنهم ماية وثلاثون يحبون ابقاءهم فكان العدد الاكثر عليهم والعدد الاقل لهم فتيقنوا عزلهم وكان الملك يحب ابقاءهم لاستعانته بهم على تنفيذ ما اضمره فى نفسه فابقاهم ثم خرم القانون بعدة اوامر ملكية فكانت عاقبتها خروجهم واخراجهم له من بلادهم معزولا فهو كما قال الشاعر

لم يدر ما يجنى عليه القول ولا لماذا امره يوول

يلقى الكلام كيف ما القاه لم يحسن الفكرة فى عقباه

وهكذا التهور فى المقال وصحبة الاشرار والجهال

يخفض الجاهل انى رفعك يرديك وهو زاعم ان ينفعك

الفصل الثانى

فى ذكر التغييرات التى حصلت وما ترتب عليها من الفتنة) قد سبق لنا من القوانين السالفة فى الكلام على حقوق الفرنساوية فى المادة الثامنة انه لا يمنع انسان فى فرانسا من ان يظهر رأيه ويكتبه ويطبعه بشرط ان لا يضر ما فى القوانين فان اضر به ازيل فلما كان سنة ١٨٣٠ واذا بالملك قد اظهر عدة اوامر منها النهى عن ان يظهر الانسان رأيه وان يكتبه او يطبعه بشروط معينة خصوصا الكازيطات اليومية فانه لابد فى طبعها من ان يطلع عليها احد من طرف الدولة فلا يظهر منها الا ما يريد اظهاره مع ان ذلك ليس حق الملك وحده فكان لا يمكنه عمله الا بقانون والقانون لا يصنع الا باجتماع اراء ثلاثة رأى الملك وراى اهل ديوانى المشورة يعنى ديوان البير وديوان رسل العمالات فصنع وحده ما لا ينفذ الا اذا كان صنعه مع غيره وغير ايضا فى هذه الاوامر شيأ فى مجمع اختيار رسل العمالات يعنى فى الذين يختارون رسل العمالات ليبعثوها فى باريس وفتح ديوان العمالات قبل ان يجتمع مع انه كان حقه ان لا يفتحه الا بعد

اجتماعهم كما فعله فى المرة السابقة وهذا كله على خلاف القوانين ثم ان الملك لما اظهر هذه الاوامر كانه احس فى نفسه بحصول مخالفة فاعطى المناصب العسكرية لعدة رؤسا مشهورين بانهم اعداء للحرية التى هى مقصد رعية الفرنساوية وقد ظهرت هذه الاوامر بغتة حتى ظهر ان الفرنساوية كانوا غير مستعدين لها وبمجرد حصول هذه الاوامر قال غالب العارفين بالسياسات انه يحصل فى المدينة محنة عظيمة يترتب عليها ما يترتب كما قال الشاعر

اري بين الرماد وميض جمر ويوشك ان يكون له ضرام
فان النار بالعيدان تذكو وان الحرب اولها الكلام

ففى مساء اليوم الذى ظهرت فيه هذه الاوامر فى الكازيطات اخذ الناس فى الحركة بقرب المحل المسمى بالروايال يعنى السراية السلطانية التى سكنها عيلة اقارب الملك المسماة عيلة ارليان التى الملك الان منها وهذا الوقت ظهر الغم على وجوه الناس وكان هذا يوم السادس والعشرين فى شهر يوليه وفى يوم السابع والعشرين لم يظهر غالب الكازيطات الحرية لعدم رضاتها بالشروط فلذلك بلغت الاوامر جميع الناس وحصلت حركة عظيمة بعدم ظهور الكازيطات التى من عادتها انها لا تفتر عن الظهور الا لمهم عظيم فاغلقت الورشات والمعامل والفبريقات والمدارس فظهر بعض كازيطات الحرية آمرة بعصيان الملك والخروج من طاعته ومعددة لمساويه وفرقت على الناس من غير مقابل وبهذه الديار بل وفى غيرها قد يبلغ الكلام حيث تقصر السهام خصوصا مادة الخطابات فانها قوية وخصوصا بلاغة الانشا فلها مدخلة عظيمة كما قيل ان نزل الوحى على قوم بعد الانبيا نزل على بلغاء الكتاب خصوصا اذا كان ما يذكر فى تلك اليوميات مقبولا عند العامة ومقصودا عند الخاصة فان هذا هو عين البلاغة الصحيحة فانها ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة فلما سمع بذلك ولاة الحسبة حضروا فى المحال العامة ومنعوا الناس من قراءة هذه الكازيطات وحاصروا مطابعها وهموا بكسر آلات الطباعة وكسروا بعضها وحبسوا من اتهموه من الطباعين وبهدلوا كثيرا مما اظهر شيأ مخالفا لترتيب الملك من الرعية وهذا ايضا مما قوى

غضب الفرنساوية فكتب ارباب هذه الكازيطات يعنى روسا الفرنساوية
الذين هم يكتبون فيها اراءهم ورقة انكاروا شهروها وعددوا نسخها والصقوها
بجدران المدينة وامروا فيها الرعية بالحرب وعينوا محله وكان الميعاد فى درب
سراية بالبروايال فازدحم فيه كثير من الامم وفيما حوله من الحارات فكانت
العساكر السلطانية تحاول تفريق هذه الزحمات فعظم دوى الرعية وكثرت
اصواتهم وظهر غضبهم فى سائر الدروب والحارات فهجم العسكر على الرعية
والتحم القتال بين الفريقين فكانت الرعية تقاتل اولا بالاحجار والعساكر
بالسيوف وآلات الحرب فكثر القتال وعظمت المطاردة من الجانبين ثم بحث
الرعية عن آلات الحرب وظهر صوت البارود من الجانبين فى مدينة باريس
فكانما لسان حال الفرنساوية الذى هو اصدق من لسان مقالهم جعل يقول
ان بنى عمك فيهم رماح * فعظم القتال وكان اكثر المقتول من الرعية فاشتد غضبهم
وعرضوا القتلى فى المحال العامة لتحريض الناس على القتال واظهار عيوب
العساكر وقامت انفس الناس على ملكهم لاعتقادهم انه امر بالقتال فامرت
بهذا الوقت بحارة الاوسعت فيها السلاح السلاح ادام الله الشرطة واهلك شدة
الملك فمن هذا الوقت كثر سفك الدما واخذت الرعية الاسلحة من السيوفية بشراء
اوغصب واغلب العملة والصنائعية خصوصا الطباعين هجموا على القرقولات
وخانات العساكر واخذوا منها السلاح والبارود وقتلوا من فيها من العساكر وخلع
الناس صورة علامة الملك من الحوانيت والمحال العامة وعلامة ملك الفرنسيس
هى صورة زهر الزنبق كما ان علامة ملك الاسلام صورة هلال وملك الموسقوبية
صورة عقاب وكسروا قناديل الحارات وقلعوا ابلاط المدينة وجعوه فى السكك
المطروقة حتى يتعذر مشى الفرسان عليه ونهبوا اجبخانات البارود السلطانية فلما
اشتد الامر وعلم الملك بذلك وهو خارج امر بجعل المدينة محاصرة حكما وجعل
قايد العسكر اميرا من اعداء الفرنساوية مشهورا عندهم بالخيانة لمذهب الحرية
مع ان هذا خلاف الكياسة والسياسة والرياسة فقد دلهم هذا على ان الملك ليس
جليل الرأى فانه لو كان كذلك لاظهر امارات العفو والسماح فان عفو الملك ابقى للملك

ولما ولى على عساكره الاجماعة عقلا احبابا له وللرعية غير مبغوضين ولا اعداء
ولكن اراد هلاك رعاياه حيث نزلهم بمنزلة اعدائه مع ان استصلاح العدو احزم من
استهلاكه ويحسن قول بعضهم

عليك بالحلم وبالحياء * والرفق بالمذنب والاغضاء
ان لم تقل عثرة من يقال * يوشك ان تصيبك الجهال

فعاد عليه ما فعله بنقيض مراده * وبنظير ما نواه لاضداده * فلو انعم فى اعطاء
الحرية * لفرقة بهذه الصفة حرية * لما وقع فى مثل هذه الحيرة * ونزل عن كرسيه
فى هذه المحنة الاخيرة * سيما وقد عهد الفرنساوية بصفة الحرية والفوها واعتادوا
عليها وصارت عندهم من الصفات النفسية وما احسن قول الشاعر

وللناس عادات وقد الفوا بها   لها سنن يرعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم   فذاك ثقيل عندهم وبغيض

وفى اليوم الثامن والعشرين اخذت الرعية من يد العساكر محلا يسمى دار المدينة
الذى هو محل شيخ مدينة باريس فعند ذلك ظهر الخفر الجنسى يعنى ورديان
الرعية وهم عساكر كانت سابقا تخفر الاهالى كما ان للملك عساكر ورديان
تخفره وقد كان عزلهم الملك شرل العاشر فلما وقعت الفتنة ظهروا اليما نعوا
عن الرعية فاشهروا اسلحتهم للقتال وطردوا سائر العساكر من محلهم
وحرقوا كثيرا منها وفى هذه الاوقات ارتفعت المحاكم وصار الحاكم هو الرعية
ولم يمكن للدولة عمل شئ فقد بذلت ما عندها من القوة لاخماد ذلك وتسكينه
فلم تقدر عليه فكانت جميع القواصة متحركة والطبجية معينة لاثنى عشر الفا
من الورديان السلطانى وستة الاف من عساكر الصف فكانت جملة العساكر
السلطانية ثمانية عشر الف نفس غير الطبجية والقواصة وكان من يحمل السلاح
من الرعية اقل من هذا العدد ولكن من لا يحمل السلاح يحارب بالاحجار ويعين
المتسلح وبعد اخذ دار المدينة وسلب مدفع من العساكر الحربية ظهر انهزام سائر
العساكر السلطانية بالبلدة ثم ذهبوا الى محل يقال له لوفر والى قصر
التولرى وهو سراية الملك ووقع الحرب فيهما بين العساكر واهل البلد وبينماهم

فى الحرابة بهذا المحل اذ انتشر البيرق المثلث الالوان الذى هو علامة الحرية على الكنايس والهيا كل العامة ودقت النواقيس الكبيرة لاعلام سائر الناس داخل وخارج باريس من اهل المدينة اوغيرها بطلب حمل السلاح منهم للاستعانة على العساكر فلما رأت العساكر ان النصرة للرعية وان ضرب السلاح على اهل بلادهم واقاربهم عار عليهم امتنع اغلبهم وعزل كثير من رؤسائهم نفسه من منصبه وفى اليوم التاسع والعشرين فى الصباح ملكت اهل البلد ثلاثة ارباع المدينة ووقع ايضا فى ايديهم قصر التولرى واللوفر فملكوهما ونشروا عليهما بيرق الحرية فلما سمع بذلك صارى عسكر المأمور بادخال اهل باريس فى طاعة السلطان رجع فكان هذا تمام نصرة اهل البلد حتى ان العساكر دخلت تحت بيرق الرعية ومن هذا الوقت نصب حكم وقتى وديوان موقت لنظم البلاد حتى ينحط الرأى على تولية حاكم دائم وكان رئيس هذا الحكم الموقت صارى العسكر المسمى لفيته وهو الذى قاتل فى الفتنة الاولى للحرية ايضا وهذا الرجل شهير بانه يحب الحرية ويحابى عنها ويعظم مثل الملوك بسبب اتصافه بهذا الوصف وكونه على حالة واحدة ومذهب واحد فى البوليتيقة وليس صاحب قريحة مستخرجا للعلوم من حيز العدم كغالب رجال الفرنساوية ومشاهيرهم خصوصا فى العلوم العسكرية ولكن اعظم الناس مقاما الاقريحة وفهما وليس المراد القدح فى معرفته بل فى انتهاء الرياسة اليه ومما يشاهد فى سائر بلاد الدنيا ان التصدر ليس دائما على قدر المعرفة وان كانت المعرفة موجبة له بالشرع والطبع ومن الغريب ان مثل هذا الامر يقع ايضا فى البلاد الحسنة التمدن واظن ان هذا كله مصداق الحديث الشريف الذى هو ذكاء المرء محسوب عليه من رزقه وكما قال الشاعر

اذا ابصرت ذا فضل فقيرا   فلا تعجب لفقر فى يديه
فقد قال النبى مقال صدق   ذكاء المرء محسوب عليه

وما احسن قول الشاعر

ولو ان السحاب همى بعقل   لما اروى مع النخل القتادا
ولو اعطى على قدر المعالى   سقى الهضبات واجتنب الوهادا

الفصل الثالث

كيف كان يصنع الملك فى هذه المدة وفيما جرى بعد ذلك من رضائه بالصلح بعد فوات اوانه وفى خلعه المملكة على ابنه * اعلم ان اوامر الملك برزت منه وهو فى بلدة سنكلو على القرب من باريس فالفتنة حصلت فى باريس والملك لم يكن بها ثم ان اهل المدينة بعثوا له ان يغير وزراءه وان يسترد اوامره ويسترجعها يعنى ان يكتب امر ابانه ارجع اليه ما كان امر به فلم يرض بذلك وارسلوا اليه فى ذلك عدة وكلاء ليستعطفوه فى ذلك ويترجوه فلم يفده كلامهم بل كان اضيع من دمع على طلل واخبروه ان الرعية لا تريد ذلك ابدا وانه ربما ترتب عليه فساد اعظم من ذلك فاجاب بان كلامه غير قابل للتغيير والتبديل فلما تحقق عنده ان دولته قد اشرفت على الزوال بسبب عدم قبوله للمصالحة ارسل يطلب منهم ذلك بنفسه فاجابوه بانه لم يبق محلا للصلح وان اوان الصلح قد فات وانه لم يتبصر فى العواقب ومن لم يتبصر فى العواقب لقى النوائب وانه لم يدقق النظر والا لما حصل له ذلك وفى يوم الثلاثين من شهر يوليه اتفق رأى اهل مشورة رسل العمالات على ان يبعثوا يترجوا الدوق درليان قريب السلطان من بدنة ثانية بان يكون قائم مقام المملكة حتى تقع مشورة اخرى على من يتولى مملكتهم وكان خارج باريس فبمجرد ما وصله ما اقتضاه نظر هذه المشورة وصل الى باريس فى الحادى والثلاثين ونزل فى دار المدينة واجاب برضائه بما صنعه اهل هذا الديوان وعند دخوله شرع يذكر عبارة عظيمة فى السبب الحامل له على الرضاء بذلك وملخصها انه قد حصل لى غاية التحسر على الامر الذى جعل باريس فى هذه الحالة المسببة عن خرم القوانين او تفسيرها بمعنى بشع تحتمله عباراتها ولقد امتثلت وجئت بينكم لاخلص البلاد من الفشل ولابد ان البس معكم علامة الثلاثة الوان التى قد لبستها كثيرا فى اول عمرى ثم ختم عبارته بقوله والشرطة تصير من هذا الوقت حقا يعنى انه يعمل بقوانين المملكة وتصير متبعة لا يحاد عنها لكونها حقا ولقد صارت هذه الجملة عند الفرنساوية مثلا من الامثال والفاظها بالفرنساوية فى غاية الحماسة ثم ان شرل العاشر ظن انه يمكنه التخلص من زوال مملكته بخلع المملكة على ابنه ونزوله عنها

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

شعر

يودلوان ايام الحمى رجعت * وقل ان ردشئ بعدما ذهبا

فما كان ذات يوم فى سنكلو الا وخرج ابنه الدوفين فى ساحة وجمع فيها العساكر واعلمهم بان اباه ولاه ملكا فتلقت العساكر هذا الخبر باستخفاف وبغير اعتناء ثم ان الملك لما ولى ابنه سافر مع ديوانه وجلسائه فى ليلة التاسع والعشرين فى شهر يوليه وبقى الدوفين وحده ينتظر عاقبة توليته فاحضر جميع من معه من العساكر وسيرها قدامه ليرى كيفيتها فلما علم انها لا ترضى بالمحاربة معه نوى السفر وخرج من سنكلو فبعد عدة ساعات من خروجه انتشر على قصر سنكلو البيرق المثلث وهذا القصر هو سراية السلطان فى هذه البلدة فوصل السلطان واتباعه فى رنبوليا اول شهر اغسطس وفى اليوم الثانى من هذا الشهر بعث شرل العاشر وابنه الدوفين ورقة للدوق درليان قريبهما يذكران فيها انهما خلعا المملكة على الدوق دبردو حفيد الملك وابن اخ الدوفين وانهما جعلا الدوق درليان وكيله ووليه حتى يبلغ رشده وطلبا منه فى هذه الورقة ان يبعث لهما جماعة ليؤمنوهما فى خروجهما من فرانسا فعرض الدوق درليان ذلك على مشورة رسل العمالات فلم يرضوا بخلع المملكة ورضوا بان يبعثوا اليه عدة وكلاء من الكبار ليأمنوه فى خروجه من فرانسا ثم انه جاء الخبر فى باريس ان الملك لم يرض الخروج حالا فوجهوا اليه جملة من العساكر ليكرهوه حالا على الخروج فبمجرد سماعه بذلك اجاب بالخروج متوجها الى بلاد الانكليز

شعر

والدهر طورا يعز * يقضى وطورا يهون

وفى هذا الوقت كان ابن عمه قائم مقام المملكة بباريس فكان الامر والنهى له ولدواوين المشورة فاول ما صنعه تقرير بقاء الثلاثة الوان التى هى علامة على حرية الملة الفرنساوية ثم فتح ديوان مشورة العمالات وديوان مشورة البير وقد جرت العادة انه عند فتح ديوان مشورة العمالات يحضر الملك ويخطب على منبر بكلام فصيح يذكر فيه ما صنعه من التحسين فى بلاده وما هو عازم على فعله فى سنته ولما

كان هذا الدوق قائمًا فى هذا الوقت مقام الملك صعد على المنبر يقول كلاما وجيزا مضمونه انه يتحسر على الخطر الذى حصل لمدينة باريس عقب هتك قوانين المملكة ثم بعد فراغه سلم لديوان المشورة الورقة التى بعثها له شرل العاشر وابنه الدوفين المتضمنة خلعهما المملكة على الدوق دبردو وانهما يسميانه هرى الخامس لانه تقدم فى فرانسا اربعة ملوك كل منهم يسمى هرى ثم خرج قائم مقام المملكة من المشورة وصار ديوان المشورة يفتح كل يوم للتدبير

الفصل الرابع فيما انحط عليه رأى اهل المشورة وفيما ترتب على هذه الفتنة من تولية الدوق درليان ملك الفرنساوية

اعلم ان المشورة كانت تدبر حالة فرانسا المستقبلة وقد اسلفنا ان آراء الفرنساوية مختلفة حتى انهم فى المشورة مختلفون فى الموضع فنهم الملكية يجلسون فى الجهة اليمنى والحريون فى الجهة اليسرى والتابعون لآراء الوزرا فى الجهة الوسطى وكل منهم يقول رأيه من غير معارض له لان العبرة بكثرة الاصوات ولا زال هذا الامر معمولا به الى الان ولم تغير الفتنة شيأ من ذلك فكان اصحاب الآراء فرقتين فرقة تريد المملكة وفرقة تريد الجمهورية والفرقة الاولى منها من كان يريد تمليك الدوق دبردو حفيد الملك القديم ومنهم من كان يريد تولية ابن نابليون الذى هو بونابارته ومنهم من كان يريد تمليك الدوق درليان قائم مقام المملكة وعيلة درليان هى العيلة الثانية الوارثة للمملكة بعد انقراض العيلة الاولى البكرية وهى عيلة البربون ثم انه ظهرت ورقة مطبوعة ولصقت فى الحارات والمشارع العامة مضمونها قد صح بالتجربة ان الجمهورية لا تناسب بلاد الفرنساوية واما الدوق دبردو فتوليته تجعل الفرنساوية تحت حكم البربون فتقع الفرنساوية فيما فرت منه واما ابن نابليون فهو تربية قسيسين وهم اعداء الحرية فتعين الدوق درليان انتهت وقد دبرت المشورة عدة مواد انحط عليها الرأى

المادة الاولى * ان الكرسى فارغ حسا ومعنى ولا حق لاحد فيه فلا بد من شغله باحد * الثانية * من اغراض الفرنساوية ومن مصالحهم ان تحذف العبارات الدالة على الاستعلا من الشرطة التى هى كتاب قوانين المملكة لان بقاءها بهذه

الكيفية

الكيفية يحط بمقام الرعية الفرنساوية ولابدان يحذف من الشرطة بعض المواد
الغير اللائقة وتبدل بغيرها حتى تكون مصلحة على ماتقتضيه الحال الراهنة
ثم بعد تمام ذلك يطلب ديوان مشورة وكلاء الرعية ان المصلحة العامة اللازمة حالا
لجميع الفرنساوية ان يترجى حضرة سعادة الدوق درليان لويزفليب قائم مقام
المملكة لان يكون ملكا وتكون مملكته وراثة بعده لاولاده الذكور ثم بعده لاكبر
اولاده وهكذا يعني ان الملك اذا مات انتقلت المملكة لاكبر اولاده فاذا مات
وحصل له عذر كانت لابنه الاكبر وهكذا وان يقبل المملكة ويرضى بالشروط
وبصيغة المبايعة التي تعينها له اهل المشورة وان يلقب ملك الفرنساوية لا ملك
فرانسا والفرق بينهما ان ملك الفرنساوية معناه كبير على نفس الاشخاص
يجعلهم له ملكا بخلاف ملك فرانسا فان معناه ان ارض فرانسا مادامت باقية
فهو سيدها وملكها ولا منازع له من اهل بلاده فيها وسبب ذلك ان الملوك السالفين
كانوا يلقبون ملوك فرانسا وكان اذا كتب الواحد منهم يقول ماصورته انا
فلان بفضل الله تعالى ملك فرانسا ونوار على كل من يرى هذه الاوامر الحاضرة
سلام قدامرنا ونأمر بما سيأتي لنا وقوله ملك فرانسا ظاهر واما قوله ملك نوار
فان هذا اللقب اصطلاحي له لمجرد الشرف وسبب ذلك ان اسلاف ملك فرانسا كانوا
يحكمون على مملكة نوار ثم انتقلت منهم الى ملوك اسبانيا فصارت حصة منها وبقي
اللقب لملك فرانسا واما ملك الفرنساوية فانه يقول في كتابته انا فلان ملك
الفرنساوية مني السلام على من حضر في الحال والاستقبال قدامرنا ونامر ففرق
بين عبارة الاول والثاني فان الاول جعل نفسه ملك مجموع فرانسا ونوار بانعام الله
سبحانه وتعالى عليه والثاني جعل نفسه ملك الفرنسيس ولم يقل بفضل الله ولقد
تحاشى عن ان يقول ذلك لارضاء الفرنساوية فانهم يقولون انه ملك الفرنسيس
بارادة ملته وبتمليكهم له الا ان هذه خصوصية خص الله سبحانه وتعالى بها عيلته
من غيران يكون لرعيته مدخلية فظهر من هذا ان قوله بفضل الله معناه عندهم
باستحقاقه لذلك بولادته ونسبه كما ان قوله ملك فرانسا معناه صاحب الارض
والسلطنة عليها والا فلو كان عندنا لاستوت العبارتان فان كون الملك ملكا

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

باختيار رعيته له لا ينافى كون هذا صدر من الله تعالى على سبيل التفضل
والاحسان ولا فرق عندنا مثلا بين ملك العجم وملك ارض العجم ثم بعد تمام
المشورة بعث اليه اهلها عدة رسل فقرأ عليه رئيس الرسل ما اتفق عليه
اهل ديوان المشورة فاجاب حالا بقوله قد سمعت والقلب فى اضطراب ما عرضتموه
على من خلاصة مجلس المشورة من انتخابى للمملكة ولقد صح عندى
ان عبارتكم الصادرة عنكم هى ايضا عبارة لسان حال الرعية بتمامها وظهر لى
ان ما صنعتموه فى القوانين يناسب ما ذهبت اليه فى السياسات التى مارستها
مدة حياتى ولكن حصل لى من ذلك انفعال عظيم لاننى لست انسى
مدة حياتى ما قاسيته سابقا من الاهوال حتى اننى كنت عزمت على
ان لا اطمع ابدا فى قضية السلطنة ونويت على ان اعيش خاملا مرتاحا بين عيالى
ولكن حبى لعمار بلادى غلب ذلك فهو جدير بان اوثره عليه حيث قد ايقنت
ان الضرورة دعت اليه ثم انه عين اليوم الذى يتتوج فيه فى ديوان رسل العمالات
فلما جاء اليوم الموعود جاء فى الساعة المتفق عليها بموكب عظيم من غير
خفر سلطانى ومن غير جلساء وقد جرت عادة ملوكهم بان زينة الموكب انما هى
بذلك وكل ما مشى خطوة حياه جميع الناس من الجوانب بقولهم حفظ الله
الدوق درليان حفظ الله الملك فلما دخل الديوان ركب مصطبة بقرب الكرسى وسلم
على اهل المجلس ثلاث مرات ثم جلس على دكة امام الكرسى ابنه الاكبر عن يمينه
والثانى عن يساره وخلفه اربع وزرا فى العسكرية يلقبون بالمارشالات جمع مارشال
وهو اعلى مراتب العسكرية عند الدولة الفرنساوية وهو دائما مضاف الى فرانسا
فيقال مارشال فرانسا وبالفرنساوية مارشال دفرانسا والدال علامة على الاضافة
بين المضاف والمضاف اليه مثل اللام المقدرة فى الاضافة عندنا فعلامة الاضافة
ظاهرة عند الفرنسيس ثم بعد جلوسه عزم على اهل ديوان البير وديوان رسل
العمالات بالجلوس ثم طلب من رئيس الديوان ان يقرأ عليه الخلاصة التى عزم عليه
اهل الديوانين فيها بالمملكة فلما فرغ الرئيس من قراءتها اجاب الدوق المذكور بقوله
يا اسيادى انا قد سمعت مع التأمل خلاصة الديوانين وقد وزنت عبارتهما وامعنت

فيها

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

فيها النظر واقول رضيت من غير شرط ولا تعليق بجميع الشروط المذكورة في الخلاصة وبتلقيبي ملك الفرنسيس الذى اعطيتموه لى وها انا حاضر مستعد للحلف والمبايعة على انى احفظ ذلك ثم قام الملك مكشوف الرأس ورفع يده اليمنى وشرع يقول هذه الصيغة الآتية بترتيب وترتيل وبصوت ثابت من غير لجلجة وهذه الصيغة مترجمة اشهد الله سبحانه وتعالى على انى احفظ مع الامانة الشرطة المتضمنة لقوانين المملكة مع ما اشتملت عليه من التصليح الجديد المذكور في الخلاصة وعلى انى لا احكم الا بالقوانين المسطورة وعلى طريقها وان اعطى كل ذى حق حقه بما هو ثابت في القوانين وان اعمل دائما على حسب ما تقتضيه مصلحة الرعية الفرنساوية وسعادتها وفخرها ثم صعد على كرسى المملكة وشرع يقول يا سادات انا قد حلفت في هذا الوقت يمينا عظيما وما جهلت بالواجبات المرتبة به على مع عظمها واتساعها الا ان نفسى تحدثنى انى اوفى بها وما قبلت المبايعة الا عن رضى وقد كنت عزمت على ان لا اركب ابدا الكرسى الذى اعطته لى الملة الفرنساوية ولكن لما رأيت ان فرانسا قد جرحت حريتها وتكدرت الراحة العامة بارضها وبهتك قوانين المملكة قد اشرفت على الفساد وجب نصب القوانين وكان ذلك من وظيفة ديوان البير وديوان رسل العمالات وقد وفيتم بذلك فما صنعناه من اصلاح الشرطة يستلزم الامن في المستقبل فأملى ان فرانسا تصير مرتاحة في داخلها ومحترمة في خارجها والصلح في بلاد اوروبا يزيد ثباتا فلما فرغ من كلامه صاحت الاصوات حفظ الله الملك لويز فليب الاول ثم سلم الملك على المجلس وخرج مصافحا من رآه من اهل المجلس وغيرهم وركب حصانه ومشى وصار يصافح الناس عن يمينه وعن يساره وربما عانق كثيرا من الناس وكان موكبه مولعا من اهل البلد ومن خفر الملة المسمى الخفر الاهلى ولما دخل الليل نورت باريس بوقدة عظيمة وكان تملكه ٧ في شهر اغسطس سنة ١٨٣٠ من الميلاد

الفصل الخامس فيما حصل للوزرا الذين وضعوا خطوط ايديهم على الاوامر السلطانية التى كانت السبب في زوال مملكة الملك الاول الذى فعل فعلته

وفى العواقب لم ينظر وطمع بما لم يظفر كما قال الشاعر

ان النفوس على اختلاف طباعها   طمعت من الدنيا بما لم تظفر

اعلم ان الفرنساوية بعد هذه الفتنة اهتموا غاية الاهتمام بالتفتيش على الوزرا الذين كانوا السبب فى ذلك وايضا فانه بمقتضى القوانين ان الوزراء يضمنون ما يقع فى المملكة من الخلل فهم المحاسبون دون الملك وليس على الملك شئ اصلا فحملهم ثقيل ووظيفتهم شاقة التحمل فعليهم الوزر فى كل ما يحدث قال الشاعر

يتداول الناس الرياسة بينهم   واريد حظهم فلا استطيع

واكابد العبأ الثقيل وانما   تبلى به الاتباع لا المتبوع

فعليهم الاثقال يرمى حملها   وعلى الرئيس الختم والتوقيع

فبرزت الاوامر فى جميع طرق البلاد ان يوقفوهم اذا مروا عليهم وقد قلنا ان رئيس الوزرا كان بولنياق فمسك من الوزرا اربعة منهم هذا الامير المذكور وصورة القبض عليه انهم وجدوه خارجا من بلاد فرانسا فى صورة خادم لمرأة عظيمة فعرفوه واوقفوه وخفره الخفر الموجود فى الطريق خوفا من الرعية ثم اعلموا بذلك الديوان فى باريس فكتب هو مكتوبا الى ديوان مشورة البير وقد كان من رجال المشورة يقول فيه انه لا معنى للقبض عليه حيث انه من اهل هذا الديوان واحتج بالمادة الرابعة والثلاثين من الشرطة لا يمكن ان يحبس احد من اهل ديوان البير الا بامر اهل ذلك الديوان ولا يمكن ان يحكم عليه غيرهم فى مواد الجنايات فما كان جوابهم الا انهم اجتمعوا وقرأوا مكتوبه ثم تشاوروا فكانت خلاصة المشورة الاذن بالقبض عليه وحبسه حتى يحكموا عليه فجئ به الى بلدة ونسينه بقرب باريس وحبس فى قلعتها ثم قبض على الثلاثة الاخر وحبسوا معا من غير ان يحصل لاحد منهم شئ من التذليل ابدا مدة حبسه ثم انه مدة حبسهم بنوا لهم محلا عظيما فى ديوان مشورة البير لتسمع دعواهم فيه وجعلوه بناء متينا وثيقا على صورة عظيمة حتى لا يمكن للرعية الهجوم عليهم لاذيتهم ولا لاحبابهم ان يخلصوهم من الحبس وكلفوا ذلك اموالا لها وقع عظيم ثم جاؤا بهم الى هذا المكان وحبسوهم فى محل منه وصاروا يأتون بهم كل يوم وكانت دعوتهم من اعظم

ما يتعلق

Digitized by Google   Original from PRINCETON UNIVERSITY

ما يتعلق غرض الانسان بسماعه * ومن اجل ما يدل دلالة قطعية على تمدن الفرنساوية وعدل دولتها ولنذكر لك بعض شئ منها فنقول * اعلم ان ملك الفرنسيس الجديد لما تولى تعلقت ارادته بعزل سبعين رجلا من اهل مشورة البير الذين كان ولاهم شرل العاشر الملك السابق ثم سمى منهم تسمية جديدة من كان على غرضه فلو كان هؤلاء السبعون فضلوا من اهل الديوان لكانوا يحابون عن الوزرا فكان غالب اهل ديوان مشورة البيرا اعداءلهم الا ان التمسك بالقوانين وطيب نفوسهم في الجملة وعدم ميلهم بالطبيعة الى الظلم كان سببا في نجاة الوزرا المذكورين ومما يتعجب منه ان الوزير بولنياق حين القبض عليه اراد ان يختار واحدا يحامى عنه من العارفين بالاحكام فلم يختر الامر تنياق احد الوزرا المعزولين قبله ليس بينه وبينه وصلة ولا محبة واعجب من ذلك ان الاخر الذى هو مر تنياق وفى بذلك مع غاية الامانة التامة وبذل ما عنده من المعارف لدفع الايرادات عن موكله وكذلك كل واحد من الوزرا المقبوض عليهم وكل محاميا له ثم لما فتحوا الدعوى ارسلوا لكل واحد من الوزرا المحبوسين يطلبونه بخصوصه مع غاية الرفق واللين وكيفية اول ما يسأل به ما اسمك ما وصفك ما منصبك ما رتبتك فيجيب باجوبة هذه الاسئلة ولو كانوا يعرفون ماذكر ثم قالوا لكل واحد منهم اتقر بانك وضعت خط يدك تحت اوامر الملك قال نعم ولاى شئ فعلت ذلك فيجيب بان الملك اراده ولاى شئ اراد الملك فعل ذلك وهل عزم عليه من قديم الزمان او الان فقط وقد كان كل منهم يجيب فى مثل هذه الاسئلة بقوله لا افشى سر ديوان حضرة الملك اصلا مع غاية التعظيم فى المجلس لملكهم المعزول ولم يتفوه احد منهم بشئ من اسرار الديوان ابدا ولم يكرههم احد على ذلك ثم بعد سوالهم وانتهائه وكتب خلاصته جاء المحامون عنهم ومكثوا ايضا عدة ايام ليظهروا ان الوزرا بريؤن من الذنوب وان مقصدهم كان حسنا وهكذا فبعد ذلك امتحنت المشورة جميع الدعوى ثم قضت بما هذه صورته من حيث ان الوزرا وضعوا خط ايديهم تحت الاوامر المخالفة لقوانين المملكة ومن حيث انهم هتكوا حرمة القوانين ومخالفتها حكمت المشورة عليهم بالحبس الدائم وتجريدهم من اوصاف الشرف والقابه

وحكمت على بولنياق زيادة على ذلك بالموت الحكمى وهو تقريبا نظير مسئلة من انقطع خبره وحكم بموته القاضى باجتهاده بعد مضى مدة لا يعيش فوقها غالبا والموت الحكمى عند الفرنساويه ويقال له الموت المدنى هو ان يكون حكم الحى عندهم كحكم الميت فى كثير من الاحوال وهو ان المحكوم عليه بذلك يزول عنه جميع ما يملكه ليدخل تحت يد ورثته مثل ما اذا مات حقيقة ولا يصح ان يرث غيره بعد ذلك ولا ان يورث غيره الاموال التى ملكها بعد ذلك ولا يمكنه ان يتصرف فى امواله جميعها او بعضها بهبة او وصية ولا يجوز اهداؤه ولا الوصية له الا بالقوت ولا يجوز ان يكون وليا ولا وصيا ولا شاهدا فى شهادة شرعية ولا تقبل دعواه ولا ينعقد نكاحه بل ينفسخ نكاحه الاول بالنظر للاحكام المترتبة عليه ولزوجته واولاده ان يصنعوا فى امواله او فى انفسهم كما لو مات هو حقيقة وبالجملة فهو حى ملحق بالموتى ولكن لما كان هذا الوزير وامثاله ممن يحكم عليهم بذلك من اعيان الناس وكانت ذريته حسنة التربية كان المحكوم عليه بذلك يبقى فى العادة على ما كان عليه قبل الحكم لكون عيلته تعتقد ان هذا من باب التعدى المحض وانه ناجح بينه وبين مولاه ولا تفارقه زوجته اصلا لاعتقادها انها فى عصمته باطنا ولو ولدت منه بعد ذلك ولدا ورثه الاخوة معهم وان كان هذا خلاف الاحكام المترتبة على الموت الحكمى ولما سمعت الرعية بذلك قاموا وقالوا لابد من الحكم عليهم بالموت الحقيقى فاخبرهم اهل الدولة ان هذا يناقض ما تطلبونه من الحرية والعدل والانصاف وان كتاب القوانين لم يعين نوع عقوبة الوزرا اذا حصلت منهم خيانة وانما حكمت المشورة بالاجتهاد عقوبة لهم وزجر الامثالهم ثم ليلة ان حكم عليهم بذلك قبل ان يطلعوهم على خلاصة المشورة اخرجوهم من هذا الحبس الذى كان بنى لاجلهم وخفروهم الى قلعة ونسينة فحبسوهم بها ومنها نقلوهم الى قلعة اخرى وهم محبوسون بها الى الان والحكم عليهم بهذه الكيفية مما يدل على حسن اخلاق الدولة الفرنساوية

الفصل السادس فيما كان بعد الفتنة فى سخرية الفرنساوية على شرل العاشر وفى عدم اكتفاء الفرنساوية بذلك

اعلم

اعلم انه جاء الى الفرنساوية خبر وقوع بلاد الجزائر في ايديهم قبل حصول هذه الفتنة بزمن يسير فتلقوا هذا الخبر من غير حماسة وان اظهروا الفرح والسرور به فبمجرد ما وصل هذا الخبر الى رئيس الوزرا بولنياق امر بتسييب مدافع الفرح والسرور ولقد صدق من قال

وكم سرور طيه احزان لاجل هذا خلق الزمان

وصار يتماشى في المدينة كانه يظهر العجب بنفسه حيث ان مراده نفذوا انتصرت الفرنساوية في زمن وزارته على بلاد الجزاير فما كانت ايام قلايل الا وانتصرت الفرنساوية عليه وعلى ملكه نصرة اعظم من تلك حتى ان مادة الجزاير نسيت بالكلية وصار الناس لا يتحدثون الا بالنصرة الاخيرة على ان حاكم الجزائر خرج منها بشروط واخذ منها ما يملكه وملك الفرنسيس خرج من مملكته يتندم على ما وقع منه وللزمان صروف تدول * واحوال تحول * وكان هذا هو عاقبته على غارته على بلاد الجزائر باسباب واهية لا تقتضى ذلك بل بمجرد ارضاء هوى النفس واذا نصر الهوى بطل الرأى وممّا وقع ان المطران الكبير لما سمع باخذ الجزائر ودخل الملك القديم الكنيسة يشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك جاء اليه ذلك المطران ليهنيه على هذه النصرة فمن جملة كلامه ما معناه انه يحمد الله سبحانه وتعالى على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الاسلامية ولا زالت كذلك انتهى مع ان الحرب بين الفرنساوية واهالى الجزائر انما هو مجرد امور سياسية ومشاحنات تجارات ومعاملات ومشاجرات ومجادلات منشاؤها التكبر والتعاظم * ومن الامثال الحكمية لو كانت المشاجرة شجرا لم تثمر الا الضجر افلما وقعت الفتنه كسر الفرنساوية بيت المطران بعد هروبه وخربوه وافسدوا جميع ما فيه حتى انه تخفى ولم يعلم له اثر ثم ظهر واختفى ثانيا وهجم على بيته ثانيا ولا زال مذموما مخذولا

قال الشاعر

لا تعجبن رويدا انها دول دنيا تنقل من قوم الى قوم

ثم ان الفرنساوية لما راوا ان شرل العاشر اخرج باشا الجزائر من مملكته ايضا

صاروا يهزؤن بشرل العاشر ويصورونه هو وباشا الجزائر فى الطرق ويكتبون فى
وقائع النوادر تلميحات غريبة ونكات ظريفة فمن جملة ذلك انهم صوروه هو
والباشا المذكور وكتبوا تحت صورة باشا الجزائر وانت ايضا جاءت نوبتك كان
الباشا يقول للملك استفهاما اليهزو به وانت ايضا عزلت كما عزلتنى

شعر

فقل للشامتين بنا رويدا امامكم المصائب والخطوب

وقال اخر

الدهر يفترس الرجال فلا تكن ممن تطيشه المناصب والرتب

كم نعمة زالت بادنى زلة ولكل شئ فى تقلبه سبب

وكتبوا ايضا فى وقائع النوادر مانصه ان الباشا المذكور يقول لشرل العاشر
قم بنا نلعب لعب كذا على قدر معلوم وان لم يكن معك شئ جمعنا لك شيأ على
سبيل الصدقة من الناس يشيرون بذلك الى ان باشا الجزائر خرج من بلاده غنيا
وشرل العاشر خرج من بلاده فقيرا وصوروا ايضا الملك المذكور فى صورة اعمى
يتكفف الناس ويقول فى سؤاله اعطوا بعض شئ للفقير الاعمى يشيرون الى انه لم
يتبصر فى عواقب الامور وصوروه ايضا هو ووزيره بولنياق خارجين من كنيسة
اشارة الى انهما لا يفلحان الا فى هذه العبادة الباطلة وانهما قسوس لا امرا
وكانوا يزعمون ان الملك كان يلبس فى بعض الاحيان لبس القسيسين ويقدس
بالناس كالقسيس فى كنيسته التى فى سرايته وكانوا يصيحون فى البلدة بعد هذه
الفتنة بورقات مطبوعة فيها عشق هذا الملك وفساده فى صغر سنه وفسق المطران
الكبير وهكذا وبان ابن ابنه ليس هو ابن حقيقى وانما هو ابن مزور والعجيب انهم
كانوا يصيحون بهذه الاوراق ليبيعوها فى ساحة بيت الملك الجديد الذى هو من
اقارب الملك واعجب من ذلك انهم يكتبون فى هذه الورقة ان الملك الجديد هو الذى
كتب ذلك سابقا فى جرنالات الانكليز بعد ولادة حفيد الملك القديم ويصيحون بذلك
ولا احد ينكر عليهم لما ان حرية الرأى قولا وكتابة تقضى بذلك وبعد تولية هذا الملك
ظهرت عدة تعصبات عظيمة منها من يريد عزله ونصب الجمهورية لعدم اكتفائه

بالحرية وطلبه ازيد من ذلك ومنهم من تعصب لنصب الحكم القديم وتولية حفيد الملك السابق ولازالت هذه الفتنة باقية الآثار الى الان وربما تعدت آثارها الى غيرها من البلاد فمن ذلك الفتنة التى ترتب عليها انعزال اقليم البلجيك من مملكة الفلمنك وقد كان جزأ منها ومن آثارها ايضا طلب بلاد له الحرية والخروج من حكم الموسقوبية ومنها الفتن التى وقعت فى بلاد ايطاليا

الفصل السابع فيما كان من دول الافرنج بعد سماعهم بانعزال الملك الاول وتقليد المملكة للملك الثانى وفى رضائهم بذلك

لا يخفى ان العيلة السلطانية القديمة قد رجعت بعد تعاهد الدول الافرنجية على السلطان نابليون واخراجه ونفيه الى جزيرة سنت هلينة وترجيع هذه العيلة الى البلاد بعد ان كانت فى البلاد الغريبة فتملك هذه العيلة انما هو بمعاهدة ملوك الدول الافرنجية فهى فى الحقيقة مملكة على فرانسا رغما عن انف غالب الفرنساوية فلما وقعت الفتنة خشى الفرنساوية من ان الملوك المذكورين يأتون بجيوش الى بلادهم وينصبون كرسى هذه العيلة فتخلصوا من ذلك بتملك العيلة الاخرى التى هى عيلة ارليان ولكنهم لم يعلموا اهل ترضى الملوك بذلك اولا وعزموا على انهم اذا لم يرضوا بذلك وجاؤا لمحاربتهم حاربوهم ولو حصل ما حصل وجهزوا ما يدل على ذلك ولنذكر لك هنا نسبة ملوك الافرنج بالنظر لهذه المادة فنقول اعلم ان ملك اسبانيا يوافق بسياسته وسلوكه سياسة ملك فرانسا القديم وهو ايضا من اقاربه لان العيلة التى تحكم ببلاد اسبانيا من العيلة التى تحكم ببلاد فرانسا فهى تميل اليها ظاهرا وباطنا ومثلها فى ذلك الميل بلاد البرتوغال فهاتان المملكتان لا يحصل منهما شئ يخاف به على العيلة القديمة واما بلاد ايطاليا فان دولة نابلى ودولة رومة ودولة سردينا توافق ايضا فى سياستها سياسة البربون يعنى العيلة القديمة فحينئذ ملوك هذه الدول تاثرت باطنا بما وقع فى بلاد الفرنساوية واما دولة المسقو ودولة النمسا ودولة البروسه والانكليز فانها متعاهدة على تولية عيلة البربون القديمة المملكة فهى ايضا تاثرت بذلك نوع تاثر وخصوصا الدولة المسقوبية واما الدول الصغيرة ببلاد الافرنج فانها تابعة للدول الكبيرة فلم يبق مع

دولة الفرنساوية الجديدة الابعض اقاليم صغيرة تريد الحرية غيران اهل دولة
الانكليز اظهرت الرضى بما وقع فلذلك ملكهم كان اول من اعترف بالمملكة لملك
الفرنساوية الجديد وقد جرت العادة ان الملك اذا تولى لابد من ان يعترف له الملوك
بالتملك ويقروه على ذلك وهو من الرسوم غالب ايقال ان حضرة مولانا السلطان
الاعظم لما سمع بذلك واخبره الايلچى اجاب بانه لايصنع شيأ حتى يرى ماتصنعه
ملوك الافرنج فان اقروه على ذلك اقره ايضا ومدخلية الدولة العلية فى ميدان
دوائر الدول الافرنجية قليل وممن توقف فى الاقرار مدة طويلة ملك الموسقو ثم بعد
ذلك اقره بشرط ان لايتغير شئ فى ميزان بلاد الافرنج يعنى ان بلاد الافرنج تبقى
على ماهى عليه من غيران يحصل بها راجحية اومرجوحية فى السياسة بمعنى
ان مملكة فرانسا مثلا لاتزيد عما كانت عليه قبل الفتنة والظاهر ان اكثر الملوك
التى اقرت ملك الفرنساوية الجديد انما اقرته على ذلك ورضيت بما وقع رضاء وقتيا
حتى ان الفرنساوية تحس بذلك وتجهر به كانها لاتثق بذلك الصلح الذى تراه كانه
هدنة وتعليق ولما خرجت من فرانسا كان جميع الناس يتوقع فيها اشهار الحرب
وظهوره بين النمساوية والفرنساوية اوالموسقوبية اوالاسبانيول اوالبروسه
والله سبحانه وتعالى اعلم بما كان وبما يكون وللفرنساوية الآن التئام مع
الانجليز لم يسبق مثله ابدا واما الكلام على الرجوع فراجعه فى خاتمة الرحلة

المقالة السادسة فى ذكر نبذات من العلوم والفنون المسرودة فى الباب الثانى من المقدمة وهى تشتمل على عدة كتب

الفصل الاول فى تقسيم العلوم والفنون من حيث هى وفى ذكر الفنون والعلوم العامة لجميع التلامذة

الفصل الاول فى تقسيم العلوم والفنون على طريق الافرنج

اعلم ان الافرنج قسموا المعارف البشرية الى قسمين علوم وفنون فالعلم هو الادراكات
المحققة المذكورة بطريق البراهين واما الفن فهو معرفة صناعة الشئ على حسب
قواعد مخصوصة ثم ان العلوم تنقسم الى رياضية وغيرها وغير الرياضية تنقسم الى
طبيعيات والهيئات والعلوم الرياضية هى الحساب والهندسة والجبر والمقابلة

والعلوم الطبيعية هى تاريخ الطبيعيات وعلم الطبيعة وعلم الكيميا والمراد بتاريخ الطبيعيات علم الحشايش والاعشاب وعلم المعادن والاحجار وعلم الحيوانات وهذه الفروع الثلاثة تسمى مراتب التولدات مرتبة النباتات ومرتبة المعادن ومرتبة الحيوانات واما الالهيات فتسمى ايضا علم ماوراء الطبيعيات اوما فوق الطبيعيات واما الفنون فانها تنقسم الى فنون عقلية والى فنون عملية فالفنون العقلية ما يكثر قربها من العلوم مثل علم الفصاحة والبلاغة وعلم النحو والمنطق والشعر والرسم والنحاتة والموسيقا فان هذه فنون عقلية لانها تحتاج الى قواعد علمية واما الفنون العملية فهى الحرف هذا هو تقسيم حكما الافرنج والافعندنا ان العلوم والفنون فى الغالب شئ واحد وانما يفرق بين كون الفن علما مستقلا بنفسه وآلة لغيره ثم ان العلوم المطلوبة من عموم التلامذة هى الحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ والرسم ومعرفة هذه كلها تكون بعد معرفة اللغة الفرنساوية وما يتعلق بها فلذلك وجب علينا هنا ان نذكر نبذة منها *

الفصل الثانى فى تقسيم اللغات من حيث هى وفى ذكر اصطلاح اللغة الفرنساوية *

اعلم ان اللغة لما كانت ضرورية فى افهام السامع معنى يحسن سكوت المتكلم عليه وكانت لازمة فى التفهيم والتفهم وفى المخاطبات والمحاورات وجب عند جميع الامم على المتعلم ان يبتدىء بها ويجعلها وسيلة لما عداها واللغة من حيث هى الالفاظ المخصوصة الدالة على المعانى المخصوصة وطريقها الكلام والكتابة المختلفة باختلاف الامم وهى قسمان لغات مستعملة ولغات مهجورة فالاولى ما يتكلم بها الان كلغة العرب والفرس والترك والهند والفرنسيس والطليانية والانكليز والاسبانيول والنمسا والموسقو والثانى ما انقرض اهله واندثرت ارباباه ولم يبق الا فى الكتب مثل اللغة القبطية واللاطينية واليونانية القديمة المسماة بالاغريقية ومعرفة هذه اللغات المهجورة فى المخاطبات نافعة لمن اراد الاطلاع على كتب المتقدمين وفى بلاد الافرنج توجد مدارس مخصوصة معدة لتعلم هذه الالسن لما يعلمون من نفعها وكل لغة من اللغات لابد لها من قواعد لتضبطها كتابة وقرأة وتسمى هذه القواعد باللغة الطليانية اغرماتيقا وباللغة الفرنساوية

اغرميرومعناها تركيب الكلام يعني علم ضبط اللغة بنحوها فلا مانع من ان يراد بالنحو قواعد اللغة من حيث هي وهو مرادنا هنا فهو علم به يعرف تصحيح الكلام والكتابة على اصطلاح اللغة المرادة الاستعمال والكلام ما قصد به افادة المستمع معنى يحسن عليه السكوت وهو يتركب من الكلمة واقسامها عند اهل اللغة العربية ثلاثة الاسم والفعل والحرف والاسم اما مظهر نحو زيد او مضمر نحو هو او مبهم نحو هذا والفعل اما ماض كضرب او مضارع كيضرب او امر كاضرب والحرف اما مختص بواحد من قسميه كمن وقد او مشترك بينهما كهل وبل وانما قسمنا هذا التقسيم هنا لانه سيأتى لنا ان الفرنساوية عندهم الضمير واسم الاشارة قسيمان للاسم ولا يعد ان منه بوجه من الوجوه واما الفرنسيس فانهم جعلوا اجزاء الكلمة عشرة كل واحد منها قسم مستقل له علامة وهى الاسم والضمير وحرف التعريف والنعت واسم الفاعل واسم المفعول والفعل والظرف ويسمى عندهم مكيف الفعل وحروف الجر وحروف الربط وحروف النداء والتعجب ونحوه فيقولون فى تعريف الاسم هو كلمة تدل على شخص او شىء اى على العالم وغير العالم مثل زيد وفرس وحجر وفى تعريف الضمير هو ما يقوم مقام الاسم وحرف التعريف هو ايضا عندهم لام التعريف كما عندنا الا انه يختلف باختلاف الاسم الداخل عليه فانه للمذكر لُ بالضم وفى المؤنث لَ بالفتح وجمعهما لس ولكن السين لا ينطق بها ويقولون فى تعريف النعت هو ما يدل على الاتصاف بوصف من الاوصاف كحسن وجميل فهو نظير الصفة المشبهة واما اسم الفاعل واسم المفعول فانهما نحو ضارب ومضروب والظرف عندهم مثله فى لغة العرب وحروف الجر مثل الظروف وحروف الجر فى اللغة العربية فاذا قال الانسان باللغة الفرنسارية جئت قبل زيد وبعده فان قبل وبعد من حروف الجر عندهم واذا قال جاء زيد اولا او قبل او نحو ذلك فانه ظرف واما الحروف الروابط فانهم يعرفونها بانها ما تتوسط بين كلمتين او جملتين نحو واو العطف فى قولك جاء زيد وعمرو ونحو ان فى قولك اومل ان اعيش زمنا طويلا ومن هذا القسم اذن وحينئذ من نحو قولك انت عاقل فاذن انت قابل للتعلم او انت حينئذ قابل وحروف النداء والتعجب ونحوها معلومة وقواعد

لغتهم

لغتهم يلزمها هذا التقسيم ويظهر ان قول بعضهم اقسام الكلمة او الكلام ثلاثة في سائر اللغات وان الحصر عقلي لعله استقلالها بالمفهومية وعدمه ودلالة ما استقل بالمفهومية على زمان وعدمها فيه بعض شيء ثم ان كل انسان يعبر عن مقصوده اما بالكلام او بالكتابة فكلامه يسمى عبارة ومنطقا وتعبيره عن مقصوده بالكتابة يسمى نفسا ومسطرة وقلما فقد يكون قلم الانسان افصح من عبارته فانه قد يكون الانسان الكن ويكون قلمه فصيحا ثم انه اذا افصح واغرب غرابة مقبولة كانت عبارته عالية وان كانت عبارته مودية للمقصود من غير ركاكة فهي مناسبة وان كان بها بعض شيء يمجه السماع فهي ركيكة او رديئة وعلى كل فالعبارة اما بها اطناب او اختصار او على الاصل ثم ان الكاتب اما ان يفصح عن مراده بنظم او نثر وعلى كل فاما ان يكون كلامه او تأليفه باللغة المستعملة في المحاورات المسماة الدارجة او باللغة الموافقة لقواعد النثر هو الاصل في الكلام والتأليف ولا يحتاج الى وزن وتقفية الا في السجع وهو لسان العلوم والتاريخ والمعاملات والمراسلات والخطابات ونحو ذلك ولاتساع اللغة العربية كان بها كثير من كتب العلوم منظوما واما لغة الفرنسيس فلا ينظم فيها كتب العلوم اصلا والنظم هو ان يفصح الانسان عن مقصوده بكلام موزون مقفى وهو يحتاج زيادة عن الوزن الى رقة العبارات وقوة الاسباب الداعية لنظمه ويعجبني قول بعضهم موريا

صوغ القريض على اختلاف رجاله * ما بين حصباء لا تعد وجوهر
واذا اردت بان تفوز بدره * نظما فخذه من صحاح الجوهري

ولبعضهم

يا من يقول الشعر غير مهذب * ويسومني التكليف في تهذيبه
لو كان كل الخلق فيك مساعدي * لعجبت عن تهذيب ما تهزو به

وقال بعضهم في فقد الاسباب *

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

وقال آخر

الشعر لا يخفى عليكم حاله * قد بار واسفاه بعد نفاق

وراحمتا للبنى القريض فانهم * ماتوا وهم احيا من الاملاق

ونظم الشعر غير خاص بلغة العرب فان كل لغة يمكن النظم فيها بمقتضى علم شعرها نعم فن العروض على الكيفية الخاصة به المدون عليها فى لغة العرب وحصره فى البحور الخمسة عشر المستعملة هو لخصوص اللغة العربية وليس فى اللغة الفرنساوية تقفية النثر ومعرفة فن النظم لا تكفى فى نظم الشعر بل لا بد ان يكون الشاعر به سجية النظم سليقة وطبيعة والا كان نفسه باردا وشعره غير مقبول ولنذكر هنا خلاصة صغيرة من الاشعار ملخصة من احسن القصايد والمقطعات فنقول قد اشتهر ان ارق بيت قالته العرب فى الغزل قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم تحيين قتلانا

يسلبن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله انسانا

ولنذكر هنا حكاية لطيفة وهى انه دخل اعرابى على ثعلب فقال له تزعم انك اعلم الناس بالادب فقال كذا يزعمون فقال انشدنى ارق بيت قالته العرب واسلسه فقال قول جرير ان العيون الى آخره فقال هذا الشعر غث رث قد لاكته السفلة بالسنتها هات غيره فقال ثعلب افدنا من عندك يا اعرابى قال قول مسلم بن الوليد صريع الغوانى

نبارز ابطال الوغى فنبيدهم * ويقتلنا فى السلم لحظ الكواعب

وليست سهام الحرب تفنى نفوسنا * ولكن سهام فوقت فى الحواجب

فقال ثعلب لاصحابه اكتبوها على الحناجر ولو بالخناجر فشعر مسلم بن الوليد اقوى حماسة من قول جرير واقول ان نسبة القوة بينهما كنسبتها بين قول بعضهم

خطرات النسيم تجرح خديه * ولمس الحرير يدمى بنانه

وقول ابن سهل الاسرائيلى

انى له عن دمى المسفوك معتذر * اقول حملته فى سفكه تعبا

ومما يمكن نظمه فى سلك قول مسلم ابن الوليد قول بعضهم

زعل

نعد العذارى من دواهى زماننا * واقتلها احداقها والمحاجر
ونشكوا اليها دائرات صروفه * واعظمها اطواقها والاساور
ويعجبنى قول امين افندى الزللى فى همزيته
واقرن صبوحك بالغبوق ولا تدع * فرص السرور بغدوة ومساء
واعقد بنت الحان واجعل مهرها * عقلى واشهد سائر الندماء
واستجلها بكرا تقلد جيدها * بعقود دربل نجوم سماء
الى ان قال
واعدل عن العيدان وارشفها على * رقص الغصون ونغمة الورقاء
الى ان قال
من كف ساق فى لماه ولحظه * وحديثه نوع من الصهباء
وبخده ورد حماه بأسهم * عن قطفه باللحظ والايماء
ويحسن هنا ذكر قول الشهاب الحجازى
لا وغصن راق للطرف ورق * وعليه حلل الطرف ورق
وشموس لم تغب عن ناظرى * والشعور الليل والخد الشفق
وعيون حرمت نومى وما * حللت لى غير دمعى والارق
ما احمرار الراح الا خجل * من رضاب سكرت منه الحدق
والذى قد حسبوه حببا * فوق خد الكاس قطرات العرق
ويعجبنى قول بعضهم
لولا شفاعة شعرها فى صبها * ما واصلت وازالت الاسقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عندها * وغدا على اقدامها يترامى
وينتظم فى سلكه قول بعضهم
سل سيفا من لحظه ثم ارخى * وفرة وفرت عليه الجميله
ان شكى الخصر طولها غير بدع * لنحيل يشكو الليالى الطويله
ومما يفوق قول الواوا الدمشقى او يساويه
قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها * اما غدا زعموا اولا فبعد غد

فامطرت لولؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقول بعضهم

بنفسى بيضاء العوارض اقبلت * بوجه كان الشرق من حسنه غرب
وبين الازار الملتوى حقف رملة * وبين الوشاح الملتوى غصن رطب
وتحت لثام الخز انفاسها الظى * وفوق الرواء السكب ادمعها سكب
تبدت مع الاتراب تدعو على النوى * وان لم يكن فى الغانيات لها ترب
تسيل على الخد الاسيل دموعها * وصب دموع العين يروى به الصب
وقد وكلت احدى يديها بقلبها * مخافة ان يرفض من صدرها القلب
فلما اجزن الجسر من وراءه * كسرب من الغزلان ليس له سرب
وعضت بدر الثغر فضة معصم * يكاد يثنيه من الذهب القلب
وكادت تحط الرحل لولا عزيمتى * قسى جفون العين اسهمها الهدب

ومما يعد من الاشعار الرقيقة قول الشاعر

يصفر وجهى اذا تأمله   طرفى فيحمر خده خجلا
حتى كان الذى بوجنته   من دم جسمى اليه قد نقلا

ومما ينسب للخليفة هارون الرشيد

واذا نظرت الى محاسنها   فبكل موضع نظرة نبل
وتنال منك بحد مقلتها   ما لا ينال بحده النصل
شغلتك وهى لكل ذى بصر   لاقى محاسن وجهها شغل
فلقلبها حلم يباعدها   عن ذى الهوى ولطرفها جهل
ولوجهها من وجهها قمر   ولعينها من عينها كحل

ومن ارق ما قيل ايضا قول الشاعر

لاموا على صب الدموع كانهم   لا يعرفون صبابتى وولوعى
فاجبتهم وعد الخيال بزورة   أفلا ارش طريقه بدموعى

ومما يعجب فى الرثا قول ابى الطيب فى ابى شجاع فاتك

يا من يبدل كل يوم حلة * أنى رضيت بحلة لا تنزع

مازلت تخلعها على من شاءها * حتى لبست اليوم مالا يخلع

مازلت تدفع كل امر فادح * حتى اتى الامر الذى لا يدفع

فظللت تنظر لا رماحك شرع * بين الانام ولا سيوفك قطع

بابى الوحيد وجيشه متكاثر * يبكى ومن شر السلاح الادمع

واذا حصلت من السلاح على البكا * فحشاك رعت به وخدك تقرع

الى ان قال

من للمحافل والجحافل والسرى * فقدت بفقدك نيرا لا يطلع

ومن اتخذت على الضيوف خليفة * ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيع

وقوله ايضا فى فاتك المذكور

لا فاتك اخر فى مصر نقصده * ولا له خلف فى الناس كلهم

من لا تشابهه الاحياء فى شيم * اضحى تشابهه الاموات فى الرمم

عدمته وكانى سرت اطلبه * فما تزيدنى الدنيا على العدم

الى ان قال

الدهر يعجب من حملى نوائبه * وحمل جسمى على احداثه الحطم

وقت يضيع وعمر ليت مدته * فى غير امته من سالف الامم

اتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم واتيناه على الهرم

وبالجملة والتفصيل فاحسن واظرف سائر ما قيل

سلوت عن الاحبة والمدام * وملت عن التهتك والهيام

وسلمت الامور الى الهى * وودعت الغواية بالسلام

وملت الى اكتساب ثواب ربى * وقدما طال عزمى بالغرام

وما انا بعده معط عنان الهوى لكن ترى بيدى زمامى

ابعد الشيب وهو اخو سكون * يليق بان اميل الى اغرام

فشرب الراح نقص بعد هذا * ولو من راحتى بدر التمام

فكم اجريت فى ميدان لهو * خيول هوى وكم ضربت خيامى

وكم قبلت وردا من خدود * وكم عانقت غصنا من قوام

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

سأوتى الكاس تعبيسا وصدا * وان جاءت تقابل بابتسام
عزمت على الرجوع عن المناهى * ومثلى من يدوم على اعتزام

الفصل الثالث فى فن الكتابة

هو فن يعرف به التعبير عن المقصود بنقوش مخصوصة تسمى حروف الهجا او حروف المعجم واغلب الحروف الهجائية متفقة فى سائر اللغات ومبدوءة بحرف الالف الا عند الحبشة فان حرف الالف هو الثالث عشر وصناعة الكتابة شديدة النفع عند سائر الامم وهى روح المعاملات واحضار الماضى وترتيب المستقبل ورسول المراد ونصف المشاهدة ثم ان العرب والعبرانيين والسريانيين يكتبون من اليمين الى الشمال والصينيون يكتبون من اعلى الى اسفل وتكتب الافرنج من الشمال الى اليمين وهل الاوفق طبعا الكتابة من اليمين الى الشمال كما تكتب العرب وغيرهم ممن ذكر معهم او العكس كما تكتب الافرنج مما يدل على الاول ترتيب الاعداد فانها مرتبة طبعا وهى تبتدئ من اليمين الى اليسار فالاحاد التى هى اجزاء العشرات تكون على يمين العشرات والعشرات كذلك بالنسبة للميات وهى كذلك بالنسبة للالوف واذا كانت الاعداد اصولا لغيرها يعنى اشياء اولية اتفقت فيها الطبائع على اختلاف اصحابها دل ذلك على ان مخالفتها مخالفة للاصل وثبت نقيضه وهو المراد وحاول الافرنج فحملوا القراءة والكتابة على قراءة الاعداد وكتابتها فقط فبرهنوا بهذا على اوفقية طريقتهم للطبع فمن باب اولى يقال ان الكتابة من اعلى لاسفل مخالفة لمقتضى الطبع ويقال ان العرب كانت تعرف الكتابة فى زمن ايوب عليه السلام وقد وقع اختلاف فى ان الحروف الهجائية هل هى من الاوضاع الالهية او من الاوضاع البشرية وعلى الثانى فقد وقع الاختلاف فى انها من اوضاع اى ملة فقال بعضهم انها من اوضاع السريانيين او من اوضاع قدماء المصريين واستظهر الاول فعليه تكون انتقلت من السريانيين الى اليونان بدليل ان الحروف اليونانية هى عين السريانية الا انها انقلبت من الشمال الى اليمين ومن اهل اليونان اخذ الرومانيون حروفهم وجودة الخط لا تدل على الفضل وعدم تادية الكتابة حقها دليل على الجهل وقد تنازع الشعراء فى التفضيل بين السيف

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

والقلم ثم بين قلم الانشاء والحساب واشار المتنبى الى تفضيل السيف فى قوله

السيف اصدق انباءً من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

واشار السيوطى فى كتاب الاوائل الى تفضيل القلم على السيف حيث قال

الكتب عقل شوارد الكلم * والخط خيط فرايد الحكم
بالخط نظم كل منتثر * منها وفصل كل منتظم
والسيف وهو بحيث تعرفه * فرض عليه عبادة القلم

وتمام رفع المنازعة فى تاريخ الدول لابن الكردبوسى فى قوله قوام الملك شيأن السيف والقلم والثانى مقدم على الاول وبرهن على ذلك والظاهر ان يقال فى ذلك ما قيل فى الكتابتين من ان صناعة الانشا ارفع وصناعة الحساب انفع فيقال ان السيف ارفع من القلم والقلم انفع منه

الفصل الرابع فى علم البلاغة المشتمل على البيان والمعانى والبديع

وهو علم تحسين العبارة او علم تطبيق العبارة على مقتضيات الاحوال والمقصود منه على العموم توصل الانسان الى الافصاح عما فى ضميره بفصيح الكلام وبليغه وهذا العلم بهذه الحيثية ليس من خواص اللغة العربية بل قد يكون فى اى لغة كانت من اللغات فانه يعبر عن هذا العلم فى اللغات الافرنجية بعلم الريشوريقى نعم هذا العلم فى اللغة العربية اتم واكمل منه فى غيرها خصوصا علم البديع فانه يشبه ان يكون من خواص اللغة العربية لضعفه فى اللغات الافرنجية وبلاغة اسلوب القرأن الذى نزل اعجازا للبشر من خصوصيات اللغة العربية ثم انه قد يكون الشئ بليغا فى لغة غير بليغ فى اخرى او قبيحا فيها وقد تتفق بلاغة الشئ فى لغتين او لغات كما اذا اردت ان تعبر عن رجل شجاع بانه اسد فتقول زيد اسد فان هذا مقبول فى غير اللغة العربية كما هو مقبول فيها واذا اردت ان تعبر عن شخص حسن بانه بديع الجمال فتقول هو شمس او عن حمرة خده فتقول خدوده تتلظى فان هذا التشبيه حسن فى اللغة العربية غير مقبول اصلا فى اللغة الافرنجية وكذلك ما يقال فى الريق ونحوه مثل قول الشاعر

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

خليلى ان قالت بثينة ماله   اتانا بلا وعد فقولا لها لها
سها وهو مشغول بعظم الذى به   ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى   اذا برزت لم تبق يوما بها بها
لها مقلة نجلاء كحلاء خلقة   كأن اباها الظبى او امها مها
دهتنى بود قاتلى وهو متلفى   وكم قتلت بالود من ودها دها
وماست باعطاف لطاف تهزها   فعاينت غصن البان من هزها زها
وقالت وقد سارعت فى السير دونها   وقاطعت طرقا دونها او مهامها
سلافة ريق عتقت ثم روقت   فمن لم يمت بالسكر من صفوها وهى
وفى الشفة اللعساء دواء كل مدنف   فان كنت مشتاقا الى رشفها فها

فاغلب التشبيهات الموجودة فى هذه الابيات غير مقبولة عندهم لانهم يقولون ان الطبع لا يؤلف الريق مثلا لكونه آيلا الى البصاق واذا شبهت بضع العذرا قبل افتضاضها بالوردة التى لم تفتح ثم بعده بالوردة المفتوحة كان ذلك عظيما عند الفرنسيس فبنى البلاغة عندهم على ما يقبله الطبع ويقال نسبة علم البلاغة للبلاغة كنسبة العروض للشعر فحينئذ قد توجد البلاغة عند من لا يحسن علم البلاغة كما انه قد يحسن علم البلاغة غير البليغ واغلب نفع البلاغة يكون فى الشعر والخطابات ونحوهما من كتب الاداب والتواريخ واعظم نفع ذلك العلم التوصل الى معرفة اسرار التنزيل واعجازه وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث فى زمن شعر ونظم وكهانة فايده الله سبحانه وتعالى بالقرآن الذى لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فظهر لارباب العقول الصائبة انه كلام قادر يقدر ولا يقدر عليه وانه لا يشبه كلام المخلوقين فامنوا به واتبعوه الامن حق عليه العذاب فنزل القرآن الشريف على مقتضيات الاحوال وكانت سائر عباراته مناسبة للاحوال لفظا ومعنى واذا اردت توضيح العلوم الثلاثة ومعرفة قواعدها فعليك بكتب المعانى والبيان والبديع

الفصل الخامس فى المنطق

هو علم يبحث فيه عن المعلومات التصورية والتصديقية من حيث توصيلها
الى غيرها والمشهوران واضعه ارسطو الحكيم المسمى ايضا ارسطاطاليس
وفى كتب الفرنساوية ان ارسطاطاليس هو الذى قد كمل هذا الفن
وان افلاطون ايضا هذبه وان زنون وضعه ونسبة هذا العلم للقلب كنسبة النحو
للسان والعروض للنظم ونحو ذلك ولهذا العلم مبادو مقاصد فباديه التصورات
والتصديقات ومقاصده التعريفات والاقيسة والتصور ادراك غير الحكم
وعكسه التصديق فاذا تصورنا حقيقة الرجل من غير ان نحكم عليه باثبات
ونفى كان ذلك تصورا واذا حكم عليه بانه عالم مثلا فانه يكون تصديقا والتصور
قسمان بسيط ومركب فالتصور البسيط ادراك الشئ مجردا عن صفاته والمركب
ادراك الشئ مع بعض صفاته مثال الاول ما اذا تصورت الانسان ولم يخطر ببالك
انه متحرك ومثال الثانى ما اذا تصورته وميزته عن الجماد بتحركه فالتصور لا يكون
الا فى المفردات كما ان التصديق لا يكون الا فى القضايا والقضية هى حكم يحصل
باثبات تصور الى اخر او نفيه عنه فالتصور المسند اليه الاثبات او النفى يسمى
الموضوع والتصور المسند الى الموضوع مما تقدم يسمى المحمول والموضوع والمحمول
يسميان جزئى القضية وهذان الجزأن يجمعهما جزء ثالث يسمى رابطة
مثال ذلك ما اذا قلت زيد فصيح فان زيدا هو الموضوع وفصيح هو المحمول
والرابطة مقدرة والتقدير زيد هو الفصيح او زيد يكون فصيحا واما اذا قلت
زيد هو الفصيح فان الرابطة ظاهرة ثم ان القضية اما كلية يعنى مستغرقة لسائر
الافراد كما اذا قلت كل انسان صنعة الله تعالى واما جزئية كما فى قولك بعض الحيوان
انسان وكل من القضية الكلية والجزئية مسور) واما شخصية واما مهملة فالاولى
كزيد قائم والثانية كالانسان كاتب بقطع النظر عن الكلية والجزئية واما طبيعية كما
فى قولك الظلم ردى والقضية ايضا اما بسيطة او مركبة فالقضية البسيطة ما كانت
غير متعددة الموضوع والمحمول كما فى قولك الفضيلة حميدة والرذيلة ذميمة وبخلافها
المركبة فهى ما تعدد فيها الموضوع فقط او المحمول فقط او هما معا كما اذا قلت
الفضيلة والرذيلة ضدان او الفضيلة محبوبة مطلوبة او الفضيلة والرذيلة ضدان

لا يجتمعان ونحو ذلك واذا كانت القضية المركبة مصنوعة من عدة قضايا بسيطة فانها يكفي في كذبها كذب بعض اجزائها واما التعريفات التي هي مقاصد التصورات ومصححات القضايا فانها تنقسم الى تعريف بالحد وتعريف بالرسم وتعريف لفظي فمثال التعريف بالحد قولك الانسان حيوان ناطق ومثال التعريف بالرسم قولك الانسان حيوان كاتب ومثال التعريف اللفظي قولك الانسان هو الادمي اذا فرضنا ان لفظ الادمي اشهر واعرف من لفظ الانسان ويمكن ان يجعل من هذا القسم الثالث سائر تفسير الالفاظ المترجمة من لسان الى اخر مثال ذلك اذا قدرنا ان اعجميا لا يعرف معنى كلمة الله فانك تعرفه اله تعريفا لفظيا بقولك له الله هو خداى وكل من الحد والرسم ينقسم الى تام والى ناقص على حسب كونه بالجنس او الفصل القريب او البعيد او بالخاصة او بالعرض العام كل منهما منفردا او مجتمعا وهذا كله موضح في كتب المنطق * واما القياس وهو المقصود الاصلي من علم المنطق فهو ما يلزمه لذاته تصديق اخر مثال ذلك ما اذا قلنا ان الله سبحانه وتعالى لا بد ان يقتص من الظالم للمظلوم فانك تقول هكذا الله سبحانه وتعالى حكم عدل وكل من كان كذلك فانه يقتص للمظلوم من الظالم فتكون النتيجة هكذا الله سبحانه وتعالى يقتص للمظلوم من الظالم فمتى سلمنا القضيتين الاولتين فلا بد ان نسلم القضية الثالثة والقضيتان الاولتان تسميان مقدمتين واحداهما تسمى صغرى والاخرى كبرى وروح القياس هو النتيجة والقياس يكون صحيحا اذا كان صحيح المادة والصورة وفاسدا اذا فسدت احداهما والمراد بصحة المادة ان سائر قضاياه تكون صحيحة والمراد بصحة الصورة ان يكون منظوما على كيفية يكون انتاجها ضروريا والقياس الصحيح هو المسمى بالحجة او البرهان واما القياس الفاسد او البرهان الفاسد فيسمى سفسطة وهو ما يشبه الصحيح وليس صحيحا لعدم ملازمة نتيجته الظاهرية للمقدمات الصحيحة وفي كتب الفرنسيس ان القاعدة التي ينبني عليها القياس الصحيح ويمتاز من السفسطة هي اثبات اصلين احدهما مبنى الصحة والاخر مبنى الفساد وهما ان المستلزم لمستلزم لشئ مستلزم لذلك الشئ والنافي لشئ ناف لشئ آخر هو ناف لذلك

الاخر

الاخر او ناف للاثنين معا وكيفية تطبيق هذا على القياس انك اذا سئلت عن
الغضب هل هو مذموم فاردت ان تستدل على انه مذموم فانك تبحث عن طرف
القضية التى هو الموضوع فانك ترى من جملة تعريف الغضب انه عيب فحينئذ كلمة
غضب متضمنة لمعنى العيب فتركب مقدمة هكذا الغضب عيب ثم تقابل العيب
مع الذم الذى هو محمول القضية فانك تجد ان العيب يستلزم الذم فتقول العيب
ذميم فاذا لما رأيت ان الغضب يستلزم العيب والعيب يستلزم الذم فانك تنتج منه
ان الغضب ذميم فكل قياس لا يمكن ان تطبقه على هذا الاصل فانه يكون سفسطة
مثال ذلك ارسطو فيلسوف وبعض الفلاسفة صالح فارسطو صالح فان الانتاج
فاسد وذلك ان القضايا لا تستلزم النتيجة لانه لا يلزم من كون ارسطو هو احد
الفلاسفة وان بعض الفلاسفة صالح ان ارسطو صالح وبعض اجزاء القياس قد يحذف
للعلم به كما فى قولك الفضيلة حميدة فينبغى كسبها والقياس اما حملى او شرطى فكل
ما تقدم مثال للحملى ومثال الشرطى لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا
لكن الشمس ليست بطالعة تخرج النتيجة قائلة فالنهار ليس بموجود ومحل ذلك
كتب المنطق ثم ان الافرنج كما يطلقون الكلمات على قواعد اللغة الفرنساوية
ويسمون ذلك اعرابا نحويا يطبقونها على قواعد المنطق ويسمون ذلك منطقيا فاذا
اراد انسان اعراب زيد فاضل اعرابا نحويا فانه يقول مثلا زيد مبتدا وفاضل خبره
او نحو ذلك مما يليق بقواعد نحوهم واذا اراد ان يعرب اعرابا منطقيا فانه يقول
زيد موضوع وفاضل محمول وهذه القضية قضية شخصية ويفعلون ذلك فى سائر
الجمل

الفصل السادس فى المقولات العشر المنسوبة الى ارسطو

من المعلوم ان ارسطاطاليس حصر الاشياء المتعقلة فى عشر مراتب تسمى
مقولات فجعل المواد داخلة تحت الاولى وجعل سائر الاعراض داخلة تحت التسعة
الاخرى * المقولة الاولى مقولة الجوهر وهو جسمانى وروحانى * الثانية الكم وهو
اما منفصل اذا كانت الاجزاء متفرقة مثل العدد او متصل اذا كانت الاجزاء مجتمعة
وهو اما متتابع مثل حركة الفلك او قار وهو المسمى العظم او الامتداد للجسم من

الطول والعرض والعمق فمن الطول وحده تتعقل الخطوط ومن الطول والعرض تتعقل السطوح ومنهما مع العمق يحصل الجسم التعليمى) الثالثة الكيف وقسمه ارسطو الى اربعة اقسام فالاول هو الاستعدادات يعنى تهيات العقل او الجسم المكسوبة بالاعمال المتكررة مثل العلوم والفضائل والرذائل والقدرة على الكتابة والرسم والرقص والثانى القوى الطبيعية مثل قوة النفس والبدن كالادراك والارادة وقوة الحفظ والحواس الخمسة والقدرة على المشى والثالث القوى المشاهدة مثل الصلابة والرخاوة والكثافة والبرد والحر والالوان والاصوات والروايح والاذواق والرابع الصور والاشكال التى ينتهى بها الكم مثل الاستدارة والتربيع والكروية والتكعيبية * الرابعة مقولة الاضافة وهى النسبة بين شيئين مثل الاب والابن والمخدوم والخادم والملك والرعية وكنسبة القدرة والارادة لمتعلقيهما والبصر للمبصر بالقوة وكالنسبة التى تقتضى المشاركة كالشبيه والمساوى والمباين والاصغر والاكبر * الخامسة مقولة الفعل سواء كان قائما بالفاعل مثل المشى والقيام والرقص والمعرفة والعشق او واقعا منه على غيره مثل الضرب والقتل الى اخره) السادسة مقولة الانفعال مثل الانكسار والانحراف) السابعة مقولة الاين يعنى جواب السؤال التى يتعلق بالمكان مثل قولك فى مصر فى الحريم فى الفراش الثامنة مقولة المتى وهى جواب السؤال الذى يتعلق بالزمان كما اذا قلت متى كان موجودا فلان فقيل من منذ مايه سنة او متى وقع هذا فقيل البارحة التاسعة مقولة الوضع كحالة الجلوس والوقوف وكونه قبل او بعد او امام على اليمين او على اليسار * العاشرة مقولة الملك وهو وجود شئ مع الانسان منسوب اليه كاللباس والزينة والسلاح فتعلق ذلك به وحوزه له هو هذه المقولة فهذه المقولات العشرة التى ذكرها ارسطو وعدت من الامور الخفية والافرنج يقولون انه ليس فى معرفة هذه المقولات كبير فائدة بل معرفتها مضرة لشيئين الاول ان الانسان يظن انها مبنية على حكم عقلى ومحصورة بحصر استدلالى مع انها ليست الا اصطلاحية جعلية حصرها بعض الناس فى هذه الاقسام ليظهر بها الرياسة على غيره مع انه يوجد فى ذلك الغير من يمكنه ان يحصرها حصرا آخر

جديدا كما فعل ذلك بعض الناس من انه حصر المقولات فى سبعة وسماها المواد العقلية المادة الاولى العقل اوالجوهر الدراك الثانية الجسم اوالجوهر ذو الامتداد الثالثة القدر او صغر كل جزء من اجزاء الهيولات الرابعة وضع الهيولات على التناسب بين اجزائها الخامسة صورة الاشياء السادسة الحركة السابعة السكون * الشئ الثانى ان متعلمها يكتفى بمجرد الفاظ وهمية ويظن انه على شئ مع انه لم يعرف بها شيأله فى الواقع معنى واضح محقق

الفصل السابع فى علم الحساب المسمى باللغة الافرنجية الارتماطيقى

اعلم ان علم الارتماطيقى هو احد العلوم الرياضية الخالصة وذلك لان حكماء الافرنج قسموا الرياضيات الى خالصة والى غير خالصة اومختلطة فالرياضيات الخالصة هى علم الحساب الغبارى والهوائى وعلم الجبر والمقابلة وعلم الهندسة ونحو ذلك واما الرياضيات المختلطة فهى علوم الحيل وفن تحريك الاثقال ونحوها والرياضيات الخالصة هى ما تبحث عن الكميات والاشياء القابلة للزيادة والنقصان والرياضات المختلطة هى مايدخلها اشياء خارجية من علم الطبيعية وغيره والحساب اهم العلوم الرياضية وقد دلت كتب التواريخ على ان واضع هذا العلم اهل برور الشام يعنى الصوريين وقدماء اهل مصر يعنى ان هاتين الامتين هما اول من جمع الاعداد والحساب ونظماهما فى عقد الترتيب حتى ان فيثاغورس الحكيم رحل من بلاد اليونان الى مصر فتلقى فيها هذا العلم ومما اشتهر بين السلف ان علم الحساب من مخترعات الصوريين ويقال انهم ايضا اول من استعمل القوائم والدفاتر والظاهر ان الاصابع هى اول الطرق التى استعملها الانسان فى الحساب وان ذلك هو السبب فى كون اول عقد فى العدد هو عقد العشرات والثانى عقد عشرات العشرات التى هى الميات والعقد الثالث عقد عشرات الميات او الالوف وهكذا لان الاصابع عشرة فكان الانتقال من عقد الى آخر من عشرة الى عشرة ولما كانت الاصابع لاتكفى الا فى تمييز عشرة عشرة احتاج الامر الى طريقة اخرى وعلامات اخر فاخذوا صغار الحصى وحبوب الرمل والقمح ونحوها واستعملوها لضبط المعدودات

كما هو الان عند بعض همل امريكة وبعض همل غيرها من اقسام الارض حتى
ان بعض قدماء الامم الماضين لا يوجد فى لغاتهم ما يمكن التعبير به عما فوق
العشرات فانهم كانوا يعبرون عن ماية وسبعة وعشرين مثلا بقولهم سبعة
وعشرتان وعشرة عشرات وذلك لان الاقدمين كانوا يذكرون العدد الاصغر قبل
الاكبر فيبتدون بالاحاد ثم بالعشرات ثم بالميات وهكذا كما قال بعضهم انه يوجد
فى كتب العبرانين واليونانيين ما يدل على ذلك وهو ايضا اسلوب اللغة العربية
فيما دون الماية واما الان فقد تبحر الامم فى علم الحساب وتنوعوا وتفننوا فيه حتى
وصلوا الى كماله وحد علم الحساب انه علم يبحث فيه عن الاعداد من حيث ما يعتريها
من الاعمال والعدد اجتماع الاحاد وهو قسمان صحيح وكسر وزاد بعضهم ثالثا
وهو ما تركب منهما وسماه عددا اشتمل على الكسور ويتعلق بهذه الاعداد اعمال
اربعة هى الجمع والطرح والضرب والقسمة وهى معلومة فى كتب هذا الفن واما علم
الهندسة فموضوعه قياس الامتدادات الثلاثة التى هى الطول والعرض والعمق
كما اشرنا اليه فى منظومتنا فى علم الهندسة بقولنا

موضوعه قياس الامتداد * فسره بالثلاثة الابعاد
والطول والعرض كذا والعمق * وشرح هذى غير مستحق

واما الجغرافيا فقد تقدم منها نبذة فى مقدمة الكتاب وانما ينبغى لنا هاهنا ان نذكر
اقسامها فنقول انه تارة ينظر الى الارض من جهة شكلها وسكونها او تحركها
ونسبتها الماعداها من الاجرام الفلكية فتسمى الجغرافيا الرياضية او علم هيئة
الدنيا وتارة تلاحظ من جهة مادتها الترابية او المائية وما يتعلق بذلك مما يظهر
على سطحها مثل الجبال فتسمى بالجغرافيا الطبيعية اى المتعلقة بطبيعة
الارض وتارة ينظر اليها من جهة اختلاف اهلها فى الدين والملة فتسمى
بالجغرافية الدينية وتارة ينظر اليها من جهة اختلاف اهلها فى التدبير والسياسة
والرسوم والقوانين فيسمى ذلك بالجغرافيا السياسية او التدبيرية وتارة تعتبر
من جهة التغيرات والتقلبات الحاصلة طول الازمان المختلفة فى الارض
وفى اجزائها بالنسبة للدين والسياسة ونحو ذلك ويسمى ذلك بالجغرافيا التاريخية

وهذه

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

وهذه هى الاصول والافالقسمة غيرحاصرة ومن ارادالكلام على ذلك فعليه برسالتنا المسماة التعريبات الشافية بمريد الجغرافية فانه موضح فيها غاية التوضيح غيرانه ينبغى لنا هنا الكلام على مسئلة من مسائل علم الجغرافيا الرياضية التى هى علم الهيئة فنقول الافرنج قسموا الكواكب الفلكية الى ثوابت والى سيارة والى سيارة السيارة والى ذوات الذنب وعدوا الشمس من الثوابت والارض من السيارة والقمر من سيارة السيارة اى التابعة فى السير للكواكب السيارة وهذا المذهب يسمى عندهم مذهب كبرنيق النمساوى وقد كشف المتأخرون منهم عدة كواكب سيارة لم يظفر بها المتقدمون لفقد الآلات عندهم ووجودها لهؤلاء الافرنج فبذلك بلغت السيارات المعروفة عندهم احد عشر غيرالشمس والقمر فان الاولى من الثوابت على رأيهم والثانى من سيارة السيارة ولنذكرها لك هنا على حسب قربها من الشمس فنقول هى عطارد والزهرة والارض والمريخ ووستة بكسر الواو وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة اى المجمرة السيارة ويونون بضم الياء والنون بعدها واو وتسمى زوجة المشترى ويقال لها بنت زحل وسريس بكسر السين والراء بعدها ياء مسكنة ويقال لها قريس اى السنبلة السيارة وپلاس بفتح الباء وتشديد اللام ومعناه ابو الفلق والمشترى وزحل واورانوس بضم الهمزة وراء بعدها الف ثم نون مضمومة ومعناه الفلك الاعلى وهذه الكواكب الجديدة لا يمكن رصد دورانها على نفسها الا بصعوبة لصغر بعضها فى رأى العين وبعد البعض الاخر بل لا يمكن رصد ما عدا اورانوس الا بالنظارات الفلكية ولهذا سميت عند الافرنج بالسيارات النظارية ويؤمل الافرنج كشف غيرها من السيارات * واما التاريخ فهو ايضا مما ينبغى للانسان الاطلاع عليه لاسيما ارباب الدول ولنذكر لك هنا نبذه لطيفة ذكرها هنا بعض المؤلفين من الافرنج فنقول

للتاريخ مدرسة عادة يقصدها من اراد من الامم ان يفوز بالتعلم وهو ايضا تجربيات حوادث الاعصر التى تساعد الحال الراهنة ومن جهة اشتماله على عبر محفوظة يعين المرء على التفكر فى ظاهر الاتى فمنه يعتبر من اعتبر من جميع

الناس ايا ما كان مقامهم لما انه يظهر على رؤس الاشهاد الاثار الرديئة المترتبة
على تشاجرهم واختلافهم ومثل هذه الصورة المهولة تحملهم على التخلق
بالاخلاق الحميدة مثل الحلم والعدل ومن التاريخ يفهم الملوك انه فى زمن سلطنة
ملك حسن التدبير ينبغى ان تكون شوكة الملك وكرسيه ظلا ووقاية قال بسوه
لو فرض ان التاريخ لا ينفع غير الامراء فانه يجب قراءته للامراء ولكن انما يفتح
التاريخ للعاقل كنوزه ليفهم منها خفياته ورموزه فيشغل فكره مدة
قراءته عن تغيرات معيشة الانسان الباطلة ثم ينتقل من ذلك الى مادة اهم
من ذلك فتنكشف له سلاسل الزمن العديدة التى تمس حلقتها الاخيرة خلق العالم
وليس ان هذه السلاسل كميدان عظيم يطلع الانسان فيه دفعة واحدة على جميع
الامم والدول وازمان كل فانظر الى هذا المحفل العظيم المحتوى على ارباب سعود
ونحوس فكم فيه من مداين دمرت ومن دول انقرضت ومن ممالك ذهبت
واندثرت ومن محال خربت ومن مقابر عمرت فكان كل شئ يؤل الى القبور
وهى التى تعلو وحدها على ميدان الارض فكم تظهر زينة الحياة الدنيا هينة
حقيرة اذا نظر الانسان من سماء التاريخ وكم يظهر ان الجمعية التى فى زماننا يسيرة
هينة بجانب جمعيات اهالى القرون والاعصار فشتان بين ملوك عصرنا الذين
يمكن للناظر ان يقيس عظمها المحسوس وملوك تلك الازمنة التى يظهر للاعين
كانهم جبال مرفوعة على دائرة افق الاعصر السالفة وانظر ما تكون حروبنا
الوقتية وحبنا للعلو والشرف الموقتين بجانب منازعة السلف من مبدء العالم
على مكان من الامكنة او على شبر من ارض فمن نظر حق النظر فى عجايب التاريخ
فانه يكتسى بثياب الجد ويتجرد عن ملابس الهزل ويصعد على ذروات النظر
فيرى تحت رجليه ان العالم باسره اشبه ببحر محيط تسبح فيه سفن امال الخلق
واما نيهم من غير دفة عرضة للرياح الشديدة وينتهى امرها الى الانكسار
على ما يصادمها من الشعوب ولا تجد من المراسى ما ترسى عليه غير فرضات
القدم فاذا نظرت من هذا المحل ترى بعين مجردة عن الطمع حطام الدنيا الفانية
والمدح الباطل المقصود بين المرغوبين لكثير من الناس كلا شئ اوليس ان للدهر

نكبات وتغيرات فى جميع ما وهبه واعطاه فاى مملكة امنا على كرسيها من السقوط
واى دولة آيسنا على تختها من الارتفاع اوما رأينا ان الهيكل الواحد تداول على
محرابه عدة اديان متباينة وكم ارتكبت الرذائل حيث كانت الفضائل قاطنة
وكم من قواعد فخر وغنا آل امرها الى ان اعقبها الفقر والحقارة وكم شوهد
ان الخشونة والتمدن يمشيان بهرولة على سطح الكرة ويتبادلان على اجزائها من غير
تخلل واسطة بينها وكيف قد آل امرك أيتها المداين التى كنت عامرة ببلاد آسيا وقد
كنت تحكمين على جميع الامم يا مدن نينيو يونس وبابل السحر ويا اصطخر فارس
وتدمر سليمان كيف صارت الان محالك خرابا وقد كنت كراسى دول العلوم فلم يبق
لك من زخارفك القديم وبهائك الجسيم غير الاسم وبعض رسم من حجر ومع ذلك
فلم يحل ببلد من بلاد الدنيا من النكبات العجيبة والبلايا الغريبة مثل ما حل بمصر
المباركة المصابة بالشقاء التى كانت خيولها تسبق سائر الممالك فى
الركض فى ميادين الفخار والعلم والحكمة فكان الدهر اراد ان يصب على هذه البلاد
دفعة واحدة اما نعيم الانعام او عذاب الانتقام مع انه لم يكن من الامم مثل قدماء
مصر فى كونهم بذلوا جهدهم فى الجلوس على مبانى هيا كلهم المشيدة وارادوا
بذلك ان يكونوا مؤبدين فبادوا جميعا وانقرضوا حتى ان اهل مصر الموجودين
الان ليسوا جنسا من اجناس الامم بل هم طائفة متجمعة من مواد غير متجانسة
ومنسوبون الى عدة جنوس مختلفة من بلاد آسيا وافريقية فهم مثل خليط
من غير قياس مشترك وتقاطيع شكل صورهم لا تقوم منها صورة متحدة بها
يعرف كون الانسان مصريا من سحنته فكانما سائر بلاد الدنيا اشتركت
فى تأهيل بر النيل انتهى مترجما من مقدمة الخواجه آكوب فى تاريخ مصر
وفى اخرها امدح ولى النعم محيى بلاد مصر من العدم وقد مدحه ايضا فى قصيدة
فرنساوية سماها نظم العقود فى كسر العود وقد ترجمتها وذكرت بعضا منها
فى الفصل الثانى من المقالة الثالثة وعلم التاريخ واسع وان شاء الله تعالى
بانفاس ولى النعم يصير التاريخ على اختلافه منقولا من الفرنساوية الى لغتنا
وبالجملة فقد تكفلنا بترجمة على التاريخ والجغرافيا بمصر السعيدة بمشيئته تعالى

Digitized by Google Original from PRINCETON UNIVERSITY

وبهمة صاحب السعادة محب العلوم والفنون حتى تعد دولته من الازمنة التى تورخ بها العلوم والمعارف المتجددة فى مصر مثل تجددها فى زمن خلفاء بغداد

الخاتمة فى رجوعنا من باريس الى مصر وفى عدة امور مختلفة

من المعلوم ان نفس القارى لهذه الرحلة تتطلع الى معرفة نتيجة هذا السفر الذى صرف عليه ولى النعمة مصاريف لم تسبق لاحد من الملوك ولا سمع بها فى التواريخ عند سائر الامم وانما تسطيرها فى تاريخ دولة الخديوى مما يدل على ان حضرته العلويه صاحبة الهمة العلية قد تبصرت فى عواقب الامور واصابت المرمى فى جميع ما شرعت فيه مما يبقى به الذكر على ممر الدهور ولا شك ان ذلك تقصر عنه همة قيصر وتكل عن نيل مثله قوة اسكندر الاكبر ولا يمكن لمثل نابليون ان يفوق فيه نباله ولا لمثل افريدريقوس ان يوجه اليه باله او يميل اليه آماله فكيف وارسال ولى النعمة للافندية الى باريس قد نجح غاية النجاح واثمر حيث ان جلهم قد اكتسب رضاء صاحب السعادة وسارع فى المطلوب وعن ساعد الجد والاجتهاد شمر فقد ارضع حفظه الله تعالى فى تلك الديار باثداء العلوم اطفالا حتى صاروا بكمال المعارف رجالا بل منهم من وصل الى رتبة اساطين الافرنج فهم ما بين مدبر للامور الملكية حائز كمال الرتبة فى السياسات المدنية كحضرة صاحب البراعة واليراعة رب الطالع السعيد وذو النجابة والرأى السديد عبدى افندى وما بين متمكن فى معرفة ادارة الامور العسكرية راق فيها الى درجة علية وما بين ربانى بسائر الامور البحرية او خبير بالطب او بالكيميا الصحيحة المرضية وبصير بالطبيعيات وماهر فى علم الزراعة والنباتات ومنهم فايق الاقران فى الفنون والصنايع وحرى بفتح فبريقات تشتهر ببراعته بغير منازع ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع من ظفر بقصده من الافندية على حسب حوزه للمراتب العلية ولعمرى لا استطيع عدم التعرض لعدة اشخاص قد بلغ فضلهم الغاية فى الامتياز غير اننى اسلك فى ذكرهم غاية الايجاز كيف لا اقول ان حضرة مصطفى مختار بيك افندى قد بلغ درجة كبار الفرنساوية فى علم ادارة المهمات العسكرية وقد حاز مرتبة سامية من العلوم وتمكن من المنطوق منها والمفهوم ولا شك انه ممتاز

بالعلوم التدبيرية وجامع لمعارف الديار الافرنجية وسع الله به دائرة المعارف بممالك مصر والشام وجعله مقبولا لدى ولى النعم الاكبر وسرعسكر نجله الضرغام وليس كل من اكتسب المعارف يصدر عنه عمل اللطايف قال الشاعر

وعادة السيف ان يزهو بجوهره * وليس يعمل الا فى يدى بطل

واما حضرة حسن بيك افندى والافندية البحريون ففضلهم وكمال علومهم ثابت بالبرهان يدل عليه امتيازهم بين الاقران وشهرة اسطفان افندى غنية ايضا عن البيان فقد حاز من العلوم ما حاز وفاز من الفنون بما فاز ولا ينكر فهم الطين افندى فى جميع انواع العرفان ولا خليل افندى محمود وتعلم احمد افندى يوسف مشهود غير مجحود وبالجملة فالجل من الافندية حصل المرام ورجع لنشر هذا بديار الاسلام ولنذكر هنا رجوع العبد الفقير الى مصر ليتم غرض هذه الرحلة فنقول * خرجنا من باريس فى شهر رمضان سنة ١٢٤٦ وسرنا نقصد مرسيليا لنركب البحر ونرجع الى سكندرية فمررنا على مدينة فنتنبلو بقرب باريس بها قصر سلطانى وهذا القصر شهير بان نابليون نزل فيه عن سلطنة فرانسا وخلعها عنه سنة ١٨١٥ من الميلاد ويشاهد به عمود على شكل الهرم مبنى من الحجارة والقصد منه انه تبقى اثاره لتذكر رجوع البربون فى فرانسا فتجد مرسوما عليه اسماؤهم وتاريخ ولادتهم وغير ذلك وفى هذه الفتنة الاخيرة محى الخلق هذه الاسامى فلا يشاهد منها الا الاثار وهكذا عادة الزمان فى تلونه بجميع الالوان وغدره وفتكه بقوم واقباله على اخرين قبل تمام يوم قال الشاعر

قتلت صناديد الرجال فلم ادع عدوا ولم امهل على جيشه خلقا

واخليت دار الملك بعد ملوكهم فشردتهم غربا وبددتهم شرقا

فلما بلغت النجم عزا ورفعة وصارت رقاب القوم اجمع لى رقا

رمانى الردا سهما فاخمد جمرتى فها انا ذا فى حفرتى عاطلا ملقى

وكتابة تلك الرسوم من عادة الافرنج تأسيا بالسلف من اهالى مصر وغيرهم فانظر الى بناء اهل مصر للبرابى واهرام الجيزة فانما بنوها لتكون اثارا ينظر بعدهم اليها من رأها ولنذكر لك اراء الافرنج فيها وما ظهر لهم بعد البحث التام حتى تقابله بما ذكره

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

المورخون فيها من الاوهام فنقول ملخص كلام الافرنج ان الذى بناها هو ملوك مصر وانه اختلف فى زمن بنائها فبعضهم زعم انها بنيت من منذ ثلاثة آلاف سنة وان البانى لها ملك يقال له قوف وبعضهم قال ان البانى لها ملك يقال له خميس اوخيوپس والاظهر ان احجارها منحوتة من صعيد مصر لا من البحيرة وقال بعضهم ان مدة بنائها لم تكن ازيد من ثلاثة وعشرين سنة وان العملة الذين بنوها كانوا ثلثمائة وستين الف نفس ولكن بمصاريف عظيمة حتى ان ما صرف على البصل والكراث للعملة يبلغ على ما قاله بلنياس نحو عشرين مليونا من القروش المصرية ثم ان هذه الاهرام تنسب الى احد ملوك الفراعنة وانه اعد الهرم الاكبر ليضم جثته والاخرين لدفن زوجته وبنته فلم يدفن هو فى الاول بل بقى هذا الهرم الان مفتوحا واما الهرمان الاخران فدفنت فيهما بنته وزوجته وسد اسدا محكما هذا ما حكاه الافرنج فى شأن الاهرام ومما قيل فى عظم بناء الهرمين العظيمين

خليلى ما تحت السماء بنية * يشابه بنيانها بناء هرمى مصر

بناء يخاف الدهر منه وكلما * على الارض يخشى دائما سطوة الدهر

وقال بعضهم فى الاهرام مضمنا عجز بيت فى معلقة طرفة

لقد بت بالاهرام حول احبة * جفونى ببرد يابس وتجلد

يقول بها صحبى لبرد جليدها * وهجرى لا تهلك اسى وتجلد

قال السيوطى فى منتهى العقول انه يتعجب من قول العلماء ان اعجب ما فى مصر الاهرام مع ان البرابى بالصعيد اعجب منها والبرابى هى المشهورة عند العامة بالمسلات ولغرابتها نقل اليها الافرنج اثنتين الى بلادهم احديهما نقلت الى رومة فى الزمن القديم والاخرى نقلت الى باريس فى هذا العهد من فايض معروف ولى النعم واقول حيث ان مصر اخذت الان فى اسباب التمدن والتعلم على منوال بلاد اوروبا فهى اولى واحق بما تركه لها اسلافها من انواع الزينة والصناعة وسلبه عنها شيأ بعد شئ يعد عند ارباب العقول من اختلاس حلى الغير للتحلى به فهو اشبه بالغصب واثبات هذا لا يحتاج الى برهان لما انه واضح البيان

وقد صنع نابليون فى باريس عمودا مفرغا من المدافع القسى سلبها من الموسقو والنمسا وقد حاول الموسقو اسقاطه حين حلولهم بباريس فاظهر الاعجزهم عن ذلك ثم بعد ان جزنا فنتنبلو شاهدنا مدينة نمور بعد سير اربع ساعات من فنتنبلو وهى على عشرين ساعة ايضا من باريس ثم بعدها مررنا على مدينة كونة على شط نهر الوارة وهى مدينة تصنع فيها الهلاليب للمراكب السلطانية ثم على مدينة مولن وبها كثير من اولاد العرب الذين صحبوا الفرنساوية من مصر الى فرانسا ثم سرنا حتى وصلنا مدينة روانة وهى على سبعة وتسعين فرسخا فرنساويا على جنوب باريس قبل الوصول الى مدينة ليون بثلاثة عشر فرسخا واهلها تسعة الاف نفس وبها ديوان مشورة للفبريقات ومشورة للزراعة وكتبخانة ومخزن آلات طبيعية وهندسة وبها قنطرة ظريفة على نهر لوار ورصيف مشهور وهى ساحل لمركز تجارات ليون وغيرها من سائر انواع البضايع وباراضيها مقاطع الرخام ونهر لوارة يمكن المسير فيه بقرب هذه المدينة وهذه المدينة غير مدينة روان البعيدة عن باريس جهة الشمال بثلاثين فرسخا والتى يمر بها نهر السين والتى هى من اقليم نومنديا ثم وصلنا الى مدينة ليون وقد تقدم الكلام عليها ثم وصلنا الى مدينة اورغون التى على جنوب باريس بماية وثمانية وسبعين فرسخا فرنساويا وهى فى سفح جبل شهيرة بكون نابليون حال عبوره بها تخفى خوفا من اهلها ولا زلنا نمر ببلاد حتى وصلنا الى مرسيليا وقد تقدم الكلام عليها مستوفيا ومنها نزلنا فى سفينة تجارية وسرنا قاصدين اسكندرية ولا حاجة ايضا الى ذكر ما شاهدناه لانه عين ما سبق فى المقصد غاية ما نقول ان كل من يعرفنى من الفرنساوية طلب منى اننى بمجرد دخولى اسكندرية اذكر ما يقرع فكرتى مما استغربه لبعد عهدى من مصر ولرويتى خلافه فى بلاد الافرنج وتعودى على مشاهدة غيره يظهر لى غرابة ما اراه اول وهلة حين وصولى فوعدت ووفيت هذا حاصل ما كان لخصت حسب الامكان فلم يبق علينا حينئذ الا ذكر خلاصة هذه الرحلة وما دققت فيه النظر وامعنت فيه الفكر فاقول ظهر لى بعد التأمل فى آداب الفرنساوية

Digitized by Google

Original from
PRINCETON UNIVERSITY

واحوالهم السياسية انهم اقرب شبها بالعرب منهم للترك ولغيرهم من الاجناس واقوى مظنة القرب بامور كالعرض والحرية والافتخار ويسمون العرض شرفا ويقسمون به عند المهمات واذا عاهدوا عاهدوا عليه ووفوا بعهودهم ولاشك ان العرض عند العرب العربا اهم صفات الانسان كما تدل على ذلك اشعارهم وتبرهن عليه اثارهم قال الشاعر

وانى لحلو للصديق واننى لمر لذى الاضغان ابدى له بغضى
وانى لاستغنى فما ابطر الغنا وابذل ميسور المنى يبتغى قرضى
واعسر احيانا فتنفد عسرتى وادرك ميسور الغنى ومعى عرضى

وهتك العرض هو ما يعبر به عندهم بالسبة والعار قال الشاعر

تعيرنا انا قليل عدادنا فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
وانا لقوم ما نرى القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول
اذا سيد منا خلا قام سيد قوول لما قال الكرام فعول
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهمو فليس سواء عالم وجهول

ولا يظن بهم انهم لعدم غيرتهم على نسائهم لاعرض لهم فى ذلك حيث ان العرض يظهر فى هذا المعنى اكثر من غيره لانهم وان فقدوا الغيرة لكنهم ان علموا عليهن شيأ كانوا اشر الناس عليهن وعلى انفسهم وعلى من خانهم فى نسائهم غاية الامر انهم يخطؤن فى تسليم القياد للنساء وان كانت المحصنات لا يخشى عليهن شئ كما قال الشاعر

اذا غاب عنها البعل لم تفش سره وترضى اياب البعل حين يؤوب

قال الزمخشرى عند قوله تعالى حكاية عن قول العزيز واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين ما كان العزيز الا حليما وقيل انه كان قليل الغيرة قال الشيخ اثير الدين ابو حيان فى تفسير هذه الآية الكريمة وتربة مصر اقتضت هذا يعنى قلة الغيرة واين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندمائه

الخصيصين به فى مجلس انس وجارية تغنى وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فالبثت ان جئ برأس الجارية مقطوعا فى طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط مغشيا عليه ومرض مدة حياة ذلك الملك اقول واين غيرة هذا الملك من غيرة عبد المحسن الصورى على محبوبته حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا ... به غفلت من لوعتى ونحيبى

وشاركنى فى حبه كل ماجد ... يشاركنى فى مهجتى بنصيب

فلا تلزمونى غيرة ما الفتها ... فان حبيبى من احب حبيبى

انتهى سكردان بن حجلة صاحب ديوان الصبابة وبالجملة فسائر الامم تتشكى من النساء ولو العرب قال الشاعر

لقد باليت مظعن ام اوفى ... ولكن ام اوفى لا تبالى

وقال آخر

فان تسألونى بالنساء فاننى ... بصير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء اوقل ماله ... فليس له فى ودهن نصيب

يردن ثراء المال حين علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

وحيث ان كثيرا ما يقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء عند الافرنج كشفنا عن حالهن الغطا وملخص ذلك ايضا ان وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتى من كشفهن اوسترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره وعدم التشريك فى المحبة والالتئام بين الزوجين وقد جرب فى بلاد فرنسا ان العفة تستولى على قلوب النساء المنسوبات الى الرتبة الوسطى من الناس دون نساء الاعيان والرعاع فنساء هاتين المرتبتين يقع عندهم الشبهة كثيرا ويتهمون فى الغالب فكثيرا ما كانت تتهم الفرنساوية نساء العيلة الملكية المسماة البربون على ان مما يقوى كلامهم ما وقع لزوجة ابن ملك فرنسا المعزول التى هى ام الدوك دوبردو الذى خلع عليه جده المملكة بعد عزله ولم يقبله الفرنساوية وقالوا ان هذا الولد ابن زنا فان امه ولدت ولدا آخر من الزنا

وادعت انها تزوجت سرا فانكسر بذلك ناموسها وبعد ان كانت تطلب مملكة فرنسا لابنها الاول وكانت آخذة فى اسباب توليته وكان يخشى منها وقوع شئ فى المملكة سقطت من الاعين وبعد ان وقعت فى يد الفرنساوية وكان يظن هلاكها تركوا سبيلها قائلين انها صارت مهملة ورجعت الى اهلها بولدها الاخير ومن اغرب ما وقع ببلاد الافرنج فى هذا الامر ان ملك الانكليز جرجس الرابع اتهم زوجته بالفاحشة بعد ان عهد منها ذلك المرار العديدة واشتهرت بذلك عند الخاص والعام لكونها كانت تسافر ببلاد الافرنج مع من تريد والها فى كل محل عشاق فلما رفع امرها عند شرعهم واقيمت الدعوى كما ينبغى وقصد باثبات زناها طلاقها ليتزوج بغيرها فلم تثبت امور كافية فى الطلاق فحكم القاضى ببقائها على عصمته قهرا عنه فبقيا متفرقين ولكن لم يتزوج غيرها وذاع امرهما وشاع ولكن فى الحقيقة وان كان يعتقد فيها ذلك الا انه بمجرد القرائن لا بالمشاهدة والا لا انثلم عرضه فمادة العرض التى تشبه الفرنساوية فيها العرب هو اعتبار المروءة وصدق المقال وغير ذلك من صفات الكمال ويدخل فى العرض ايضا العفاف فانهم تقل فيهم دناءة النفس وهذه الصفة من الصفات الموجودة عند العرب والمركوزة فى طباعهم الشريفة وان كانت الآن قد تلاشت فيهم واضمحلت فانما هو لكونهم قاسوا امشاق الظلم ونكبات الدهر واحوجهم الحال الى التذلل والسؤال ومع ذلك فقد بقى منهم من هو على اصل الفطرة العربية عفيف النفس على الهمة كما قال الشاعر

فدعنى ونفسى والعفاف فاننى اخذت عفافى فى حياتى ديدنى

واصعب من قطع اليدين على الفتى صنيعة برّ نالها من يدى دنى

واما الحرية التى تطلبها الافرنج دائما فكانت ايضا من طباع العرب فى قديم الزمان كما تنطق به المفاخرة التى وقعت بين النعمان ابن المنذر ملك العرب وكسرى ملك الفرس وصورتها انه قدم النعمان على كسرى وكان عنده وفود الروم والهند والصين والعجم والترك وغيرهم فذكروا من ملوكهم وبلادهم وعماراتهم وحصونهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم ولم يستثن فارسا ولا غيرها فقال

كسرى وقد اخذته الغيرة يا نعمان لقد فكرت فى العرب وفى غيرهم من الامم ونظرت
فى حال من يقدم على من الوفود فوجدت الروم لها حظ فى اجتماع الفتها وعظيم
سلطانها وكثرة مداينها ووثيق دينها ورأيت الهند شهيرة الحكما طيبة الثرا كثيرة
الانهار والبلاد والثمار عجيبة الصناعة من ونقتا الحسان معمورة بالاهل وكذلك
الصين عجيبة فى اجتماعها وكثرة صنايع ايديها وهمتها فى الحروب وصنعة الحديد
وان لها ملكا يجمعها وكذلك الترك مع ما هم عليه من سوء الحال فى المعاش
وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس
فان لهم بعد ذلك ملوكا تضم قاصيهم وتدبر امورهم ولم ار للعرب شيأ من ذلك
من خصال الخير فى امر دين ولا دنيا ولا حرمة ولا قوة ولا عقد ولا حكمة مع ما يدل
على تدانيها وذلها وضعف همتها بحالهم التى هم بها مع الوحوش النافرة والطيور
الحائرة يقتلون اولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة
قد حرموا من مطاعم الدنيا ومشاربها وملابسها ولهوها ولذاتها واعظم طعام
ظفروا به لحوم الابل التى يعافها كثير من الطيور والسباع لثقلها وسوء طعمها
وخوف دائها وان اقرى احد ضيفا اعتدها مكرمة وان اطعم لقمة اعتدها غنيمة
تنطق بذلك اشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما عدا هذه التنوخية التى اسس جدى
اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجرى له ذلك الى يومنا هذا فان لها
مع ذلك اثارا وحصونا وامورا تشبه اموال بعض الناس لكنى اراكم لا تسكتون
على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخرون وتريدون ان تنزلوا
فوق مراتب الناس فقال النعمان اصلح الله الملك صدقت ان هذه الامة تسموا
بفضلها وبعظم خطبها وعلو درجتها الان عندى جوابا فى كل ما نطق به الملك
من غير رده عليه ولا تكذيب له فان امنتنى من الغضب مما اتكلم به فعلت قال
كسرى وانت آمن فقال النعمان اما امتك فلا تنازع فى الفضل لموضعها التى
هى به من عقولها واخلاقها وبسطة محلها وبحبوحة عزها وما كرمها الله تعالى
به من ولايتك وولاية ابائك واجدادك واما الامم التى ذكرت فامن امة الافضلتها
العرب بفضلها قال كسرى لماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

وذمتها وبأسها ورياستها وسخائها وحكمة السنتها وشدة عقولها ووفائها
فاما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لابائك واجدادك الذين فتحوا البلاد ووطنوا
العباد واقاموا الملك وقادوا الجيوش ولم يطمع فيهم طامع ولم يزالوا عندهم
محترمين ولا نال احدا منهم نايل بل حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الارض
وسقوفهم السماء والى جانبهم السيوف وعدتهم السقف اذ غيرها من الامم
انما عزها بالحجارة والطين والجزائر والبحور والقلاع والحصون واما حسن وجوهها
والوانها فقد يعرف بذلك فضلهم على الهند المحترقة والصين المتجمشة والترك
المشوهة والروم المقترة الوجوه واما انسابها واحسابها فليس امة من الامم الا وقد
جهل اباؤها واصولها وكثير من اولها واخرها حتى ان احدهم ليسأل عمن
وراء ابيه فلا ينسب ولا يعرفه وليس احد من العرب الا ويسمى اباه ابا فابا احاطوا
بذلك احسابهم وحفظوا بذلك انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينسب
الى غير نسبه ولا يدعى الى غير ابيه واما شجاعتها وسخاؤها فان ادناهم رجلا يكون
عنده البكرة والناب عليها بلغته وحمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى
يقتدى بالقادة ويجترى بالشربة فيعقرها له ويرضى ان يخرج له عن دنياه كلها
فيما يكتسبه من حسن الاحدوثة وطيب الذكر والثنا واما حكمة السنتها فان الله
تعالى اعطاهم اشعارا ورونقا كاملا وحسن وزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة
وضربهم الامثال وبلاغتهم فى الصفات ما ليس من السنة الاجناس
ثم ان خيولهم افضل الخيول ونساءهم اعف النساء ولباسهم احسن اللباس
ومعادنهم الذهب والفضة واحجار جبالهم الجزع ومطاياهم التى لا يبلغ الاعلى
مثلها سفر ولا يقطع الا بمثلها بلد قفر واما دينها وشريعتها فانهم متمسكون
به اعظم تمسك وان لهم اشهرا حرما وبلدا محرما وبيتا محجوجا ينسكون فيه
مناسكهم ويذبحون فيه ذبايحهم فيلقى الرجل فيه قاتل ابيه واخيه وهو قادر
على اخذ ثاره منه وادراك رغمه فيه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله اياه
احتراما لذلك البيت وتشريفا له واما وفاؤهم فان احدهم يلحظ اللحظة فهى
عقد لا هلها لا يرجع عما اضمره فى نفسه حتى يبلغه وان احدهم يرفع عودا

من

من الارض فيكون رهنابدينه فلا يطلق رهنه ولا يخفر ذمته خوفا من الله تعالى
وان احدهم يبلغه ان احدا استجار به وعسى ان يكون نائيا عن داره فيمنع عنه
عدوه ويحميه منه ولو تفنى قبيلته اوتلك القبيلة التى استجار عليها وذلك لما اخفر
من جواره وان احدهم ليلجأ اليه المحروم والمحدث عنه بغير معرفة ولا قرابة فينزلونه
عندهم وتكون انفسهم واموالهم دون ماله واما قولك ايها الملك حفظك الله
انهم يقتلون اولادهم من الحاجة فانما يفعله من فعله منهم رغم انفه حذرا من العار
وخيفة وغيرة من الازواج واما قولك ايها الملك ان افضل طعام ظفروا به لحوم
الابل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها الا احتقارا له فعمدوا الى اجلها
وافضلها فكانت مراكبهم ومطاعمهم مع انها اكثر البهائم لحوما واطيبها شحوما
وارقها البانا واقلها غايلة واحلاها مضغة وانه لا شئ من اللحوم يفاخر لحمها
الا استبان فضلها عليه واما محاربتهم واكلهم بعضهم بعضا وتركهم الانقياد
الى رجل واحد يسوسهم ويدبر امورهم فانما يفعل ذلك من الامم من علمت
الضعف من انفسها وتخوفت من نهوض عدوها عليها فانهم يحتاجون الى ملك
يدبر امرهم ويكون رجلا من اعظمهم شأنا وقدرا ويكونون معترفين بشرفه على
سائرهم فينقادون اليه بازمتهم وينقادون الى امره واما العرب ايها الملك فان كثيرا
فيهم لعظم كرمهم ووفائهم ودينهم وحكمة السنتهم وسخاء نفوسهم يقولون انهم
ملوك باجمعهم مع رفعتهم فلا ينقاد احد الى الاخر فانهم اشراف واما اليمن التى
وصفها الملك فان اباءك واجدادك اعلم بصاحبها لما اتاه ملك الحبشة فى مائتى الف
وتغلب على ملكه وجاء الى بابك وهو مستصرخ ذليل حقير مسلوب فلم يجره احد
من اجدادك ولا ابائك فاستجار بالعرب فاجاروه ولولا ما وتر به من بلية العرب لمال
الى نقص ولم يرجع الى محله ولولا انه وجد من يجيد معه الطعان بقتل الاحرار وتبدد
شمل الكفار وذبح العبيد الاشرار لم يرجع الى اليمن قال فعجب كسرى مما جاء به
النعمان ثم قال له انك لاهل لموضعك من الرياسة ولاهلك ولاهل اقليمك ولما هو
افضل منه ثم كساه وانعم عليه واعطاه اشياء جزيلة ثم سيره الى موضعه
من الحيرة ثم بعد ذلك سير اليه وقتله والتنوخية فرقة من اليمن قال المتنبى على

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

نسان بعضهم

قضاعة تعلم انى الفتى الذى ادخرت لصروف الزمان

ومجدى يدل بنى خندف * على ان كل كريم يمان

انا ابن اللقاء انا ابن السخاء * انا ابن الضراب انا ابن الطعان

انا ابن الفيافى انا ابن القوافى * انا ابن السروج انا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العماد * طويل القناة طويل السنان

حديد اللحاظ حديد الحفاظ * حديد الحسام حديد الجنان

يسابق سيفى منايا العباد * اليهم كانهم فى رهان

يرى حده غامضات القلوب * اذا كنت فى هبوة لا ارانى

ساجعله حكما فى النفوس * ولو ناب عنه لسانى كفانى

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال حضر رجل من اهالى مصر الى عمر بن الخطاب وجعل يشكو من عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين ان هذا مقام العائذ فقال عمر لقد عدت فاشأنك قال تسابقت بفرسى انا وابن عمرو بن العاص فسبقته فحمل على بسوط فى يده وجعل يقنعنى بالسوط ويقول لى انا ابن الاكرمين وبلغ ذلك لعمرو ابن العاص فخشى ان آتيك لاشتكى ولده وحبسنى فتفلت من الحبس وها انا قد آتيتك قال فكتب كتابا عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص انه اذا اتاك كتابى هذا احضر الموسم يعنى الحج انت وابنك ثم التفت الى المصرى وقال له قم حتى يأتى غريمك فلما حضر عمرو بن العاص وابنه الحج وجلس عمر بن الخطاب وجلسوا بين يديه وشكى المصرى كما شكى اول مرة فاومى عمر بن الخطاب وقال له خذ الدرة وانزل بها عليه قال فدنى المصرى من ابن عمرو بن العاص ونزل عليه بها وعن انس قال والله لقد ضربه ونحن نشتهى ان نضربه فلم يزل يضربه حتى استحيينا ان لا يضربه وذلك من كثرة ما يضربه وعمر رضى الله عنه يقول اضرب ابن الاكرمين قال عمرو بن العاص قد شفيت يا امير المؤمنين قال عمر ابن الخطاب للمصرى انزع عمامته وضع الدرة على صلعة عمرو فخاف المصرى من ذلك وقال يا امير المؤمنين قد ضربت من ضربنى فالى اضرب من لم يضربنى

فقال

فقال عمر رضى الله عنه والله لو فعلت لما منعك احد ثم التفت رضى الله عنه
وقال لعمرو بن العاص متى استعبدت من ناس وقد ولدتهم امهم احرارا انتهى
فمنه يفهم ان الحرية ايضا من طباع العرب من قديم الزمان هذا ولا ينبغى لنا
ان نختم هذه الرحلة من غير ان نشكر محاسن من ساعد ولى النعم فى نجاح
مقصوده من ترتيب امور التلامذة وتعليمهم بمدينة باريس محب البلاد المصرية
واهلها الخواجة جومار فانه يسعى بهمته ورغبته فى تنفيذ مقصد افندينا
ولى النعم ويسارع فى المصلحة بلا انكار فكانه من ابناء مصر البارين بها فهو
جدير بان ينظم فى سلك المحبين للذات الخديوية ومما يدل على ذلك غاية الدلالة
ما ذكره فى روزنامته التى الفها لاستعمال مصر والشام سنة الف ومائتين
واربعة واربعين من الهجرة فانه ذكر فيها انه ان صدرت له ارادة سنية واوامر
خديوية ليؤلفن كل عام روزنامة بهذا الوضع ليعين على حسن تمدن الايالات
المصرية فمن جملة ما قاله فى مقدمته انه يذكر فى هذه الروزنامة عدة امور) الامر الاول
الدلالة على تقدم الحرف والصنائع اللازمة لمصر من اولها لاخرها * الثانى تجارة
اهالى اوروبا وآسيا وافريقية كقوافل بلاد البربر ودارفور وسنار وبلاد الحجاز
ومقابلة الاقيسة والمكاييل والموازين المختلفة باختلاف البلاد المستعملة هى
فيها * الثالث ذكر امور الزراعة فانها كانت سببا فى سالف الاعصر فى غناء اهل
مصر فلهذا ينبغى ان تكون اول ما تهتم به الدولة فى مملكة مصر الطيبة التربة
والزراعة كثيرة الفروع المهمة فمن ذلك علم توفير المصاريف الخلائية
ويتشعب عنه اصلاح المزارع والمروج المستحدثة المدبرة وتتميم زراعة القطن
والنيلة والعنب والزيتون والتوت واستخراج دقيق النيلة واستخراج انواع كثيرة
من الزيوت ومعرفة تربية النحل ودود القز ودود الصباغة وتعهد الحيوانات
الاهلية وتحسين الحيوانات البلدية بعزلها عن غيرها كالخيل والمعز وحيوانات
الاصواف وجلب البهائم البرانية ومعرفة طب البهائم ومعالجة امراضها كمرض
السواف وحفظ الحبوب من السوسة وغرس الاشجار وترتيبها بحافات الطرق
وخدمة البساتين وسائر الابنية الخلائية المناسبة لمصالح الزراعة وفى مادة الزراعة

نذكر الترع والخلجان المعدة لسقى الاراضى والاسفار وكذلك نذكر الطرق والجسور والقناطر فى السهول والجبال المعدة لتوصيل المياه فهذه كلها تذكر فى الفلاحة) الرابع نتكلم على امور مختلفة من علم الطبيعة ومن علم المواليد الثلاثة ومن العلوم الرياضية وهناك نتكلم على المادة المغناطيسية التى تستعملها الاطباء فى معالجة الشلل ونحوه وكذلك القوة الكهربائية والحرارة الكروية والحوادث السماوية والندا والمطر الذى يحدث بين المدارين وكذلك نتكلم على احجار الصواعق وعلى جبال النار المسماة بالبركانية وعلى الالات الطبيعية كميزان الزمان وميزان الحر وميزان الرطوبة ووقاية الرعد والنظارات الفلكية والنظارات المعظمة للاشياء الدقيقة التى لايدركها النظر ونتكلم ايضا على علم المعادن واستخراجها وقطع الحجارة من مقاطعها وعلى علم الحشايش الطبية والنباتات المستعملة فى الفنون والصنايع وعلى البهائم النافعة وعلى علم الجبر والمقابلة والهندسة) الامر الخامس يشتمل على جملة فروع من علم توفير المصاريف وسياسة الدولة وعلى تنبيهات على علم احوال الممالك والدول وعلى سبب ثروتها وغنا اهلها وعلى احوال المعاش والمعاد وعلى ولادة الذكور والاناث فى كل بلدة من البلاد وعلى الادارة الملكية وعلى الاصول العامة المستعملة اساسا السياسات الافرنج وهى الحقوق العقلية والحقوق القانونية والحقوق البشرية اى الحقوق التى للدول بعضها على بعض * السادس سياسة الصحة العمومية والخصوصية ففى ذلك نتكلم على تلقيح البقرى للجدرى وعلى الطاعون ومعالجاته وعلى الامراض والعوارض العامة وعلى بعض تشريح * السابع نذكر فيه جملة تعليمات مختلفة من مسائل ادبية وفلسفية ولغات وعلوم مثل علم الفصاحة وفيه نتكلم ايضا على المكاتب والمدارس فى البلاد المختلفة ونبذات فى تواريخ البلاد خصوصا مصر وعلى حكايات ونوادر من غرائب الاداب والبلاغة الافرنجية والمشرقية وكذلك نذكر شيأ من علم المنطق ونبين الوسائط المسهلة المعلمة بالايجاز للقرأة والكتابة والحساب وطرق تعليم هذه الاشياء فى اقرب زمن لسائر العامة * الثامن نبحث فيه عن عدة اشياء متنوعة وفيه نذكر اخبار التجارة والسفن البحرية واقامة العربات العامة

وتحسين

وتحسين الطرق والترع والخلجان والقناطر المعلقة والاشارة المسماة بتلغراف
يعنى اشارة الاخبار وجميع الاشغال المتجددة عند الافرنج ونضم لذلك لوحات
اشكال لكمال الفائدة وكذلك نرسم خرطات جغرافية وصور النباتات والحيوانات
التى تنقل من البلاد الغريبة وتربى فى مصر ونذكر كثيرا من الامور التى تتجدد
على تداول الازمان وبالجملة فنذكر نبذات صغيرة متشعبة من اصول عظيمة
ومستفادة من افواه الثقاة سهلة الفهم لسائر الناس ولا نستعير منها شيأ من
صعاب الكتب انتهى كلامه ولم ينجز ما وعد به لانه علق ذلك على الارادة السنية
ولم يصدر له امر الى الآن وبالجملة فهو من المولعين بحب مصر ظاهرا وباطنا
ومن الراغبين فى خدمة ولى النعم حباله ولدولته وهذا آخر ما يسره الله سبحانه
وتعالى فى ذكر حوادث السفر لتلك الجهة التى لا ينكر معارفها الا من لا انصاف
عنده ولا معرفة له قال الشاعر

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم
والفضل كالشمس لا يخفى على احد ... الا على اكمه عما يراه عمى

ولا ينبغى ان يمنع ذو الحق حقه كما قال الشاعر فى هذه الابيات المملوءة من الحكمة

اذا كنت فى حاجة مرسلا ... فأرسل حكيما ولا توصه
وان ناصح منك يوما دنى ... فلا تنأ عنه ولا تقصه
وان باب امر عليك التوى ... فشاور لبيبا ولا تعصه
وذو الحق لا تنتقص حقه ... فان القطيعة فى نقصه
ولا تذكر الدهر فى مجلس ... حديثا اذا كنت لم تحصه
وقص الحديث الى اهله ... فان الوثيقة فى قصه
ولا تحرصن فرب امرء ... حريص مضاع على حرصه
وكم من فتى ساقط عقله ... وقد يعجب الناس من شخصه
وآخر تحسبه أنوكا ... ويأتيك بالامر من قصه

ولا احد يخلص من قال الناس كما قال الشاعر

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالما ... وللناس قال بالظنون وقيل

وحيث كان العمل بالنية * والمدار على حسن الطوية * فلا معول على من لم يكن نير السياسة * ساطع الكياسة * ولا اكترث الا بمن رقى رتبة علية فى الرسوم والقوانين وتشبث بالشريعة وكان فيها ذا رياسة ودرى ان القصد انما هو حث اهل ديارنا على استجلاب ما يكسبهم القوة والبأس وما يؤهلهم لاملائهم الاحكام فنحن على هؤلاء الناس * وبالجملة كما كان فى زمن الخلفاء كما قال الشاعر

وازرق الصبح يبدو قبل ابيضه   واول الغيث قطر ثم ينهمل

ولبعض اقاربى

يا من غدا معجبا مما اقترحت وقد   اضحى يروم مقال العاذل اللاحى
اما رأيت اذا شمس الضحى غربت   يلجى الحريص الى ضوء بمصباح

وقال آخر

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به   ولا يكون له فى الارض آثار

وعلى كل حال فارجو ممن نظر فيه ان يتصفحه بجملته ليكون على بصيرة مما يقول فان المتصفح للكتاب ابصر بمواقع الخلل منه ولا اقول الا كما قال الشاعر

فاليك وشيا حاكه   فى الطرس ذو باع قصير
واستر اذا عيب بدا   والله يعفو عن كثير

ولنختمها بالدعاء للدولة الخديوية حماها الله وذريتها وجعلها سامية القدر بين دور الممالك المشرقية والمغربية   شعر

فتية لم تلد سواها المعالى   والمعالى قليلة الاولاد

متع الله مصر وايالاتها بما افاضه عليها ولى النعم من حسن التمدن والعدل وامدلها ايامه بجاه خاتم الرسل الذى على مولاه دل * وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه واحبابه واحزابه امين

كرستين
دى برسفال

Digitized by Google

Original from
PRINCETON UNIVERSITY

صفحات	سطور	خطا	صواب
٢	١٣	طالع التدبير	طالع ذى التدبير
٤	١٧	حود	احيد
٦	١٢	الاملية	الاصلية
٧	٥	من الشريعة	من الشرائع
١٠	١٣	كلما	كل ما
١٣	١٠	وافغهانستان	اوافغانستان
١٥	١١	ريوجانير	ريوجانيرو
٢١	١١	ولاالناس	ولاالناسا
٢٤	٢٤	صفيد	سفيد
٢٧	٦	مائة الف	مليون وخمسمائة الف
٢٧	٨	بفتح الميم	بضم الميم
٢٨	١٧	كل ما	كلما
٣٤	٨	الحريرى	صوابه الحاجرى
٣٥	٢	ايام	اعوام
٣٦	١٦	صباحية	صبيحة
٣٧	٧	فايس	فاريس
٤٠	١٨	وسكون الياء فانه	وسكون الياء كرسى سلطنة ابريزيكة فانه
٤٠	١٩	كنفوكرسى سلطنة ابريزيله فى امريكة	كنفوفى امريكة
٤٢	١٠	محدودة	محددة
٤٤	٢٥	ومحال	ومجال
٤٧	٢٣	مجار	مجارى
٥٤	٦	ان امرء	ان امرأ

Digitized by Google　Original from PRINCETON UNIVERSITY

صفحات	سطور	خطا	صواب
٥٤	١٧	الاحرار	الحرائر
٥٥	٥	اليونانية النمساوية	اليونانية والنمساوية
٥٧	٥	واعلاها	واحلاها
٧٣	٢	بان العظيم	بانه كالعظيم
٧٤	٢٣	كمال	كما
٧٥	١٧	١١٣٨	١٨٣١
٧٩	٣	البيان	البيانو
٧٩	٧	طوالة	طاولة
٧٩	٩	طوالة	طاولة
٨٨	١٥	ان تسييرها	وتسييرها
٩٤	٦	السياحة	السباحة
٩٤	١٣	الفسيولوجيا من حاله	الفسيولوجيا ومعرفة داء الانسان من حاله
١١٢	٢٠	واعظم مارستان باريس	واعظم مارستان بباريس
١١٣	٠١	اللقطة	اللقطاء
١١٤	٠٤	يذهبون	لايذهبون
١١٤	١١	الجنرال	الجنرال نه
١١٦	٦	رولاحه	رولاجه
١١٩	١	عناء	غنى
١٢٣	١٠	غويصة	عويصة
١٢٩	٩	افلاطيون	افلاطونيون
١٢٩	٢١	فتاذاكروا	فتذاكروا
١٣٠	١٤	الفليكة	الفلكية
١٣٣	١٩	الارمل	الارمن

صفحات	سطور	خطا	صواب
١٥٨	٢٤	لهم	لمهم
١٦٠	١٩	مدخلة	مدخلية
١٦٦	٢٢	الاان	لاان
١٦٩	٢١	مولعا	مولفا
١٧٣	١١	تدول	تدور
١٧٨	٢٥	اوانت فحينئذ قابل	اوفانت حينئذ قابل
١٧٩	٢٢	لعجبت	لعجزت
١٨٢	٢	وقول	قول
١٩٣	٢٣	للتاريخ	التاريخ
١٩٤	٩	وليس	اوليس
١٩٤	١٨	عجائب	بجانب
١٩٩	١	القسى	التى
١٩٩	٢٩	لحصة	لحصته
٢١٠	٣	ودراية	ودرى
٢١٠	٥	الاحكام فحين على	الاحكام على
٢١٠	١٧	بين دور	بين دول

١٨٦٦/

طبع كتاب تخليص الابريز * فى تلخيص باريز * بدار الطباعة الخديوية *
ببولاق مصر المحمية * على يد مؤلفها ومصحح طبعها الفقير الى الله تعالى
رفاعة رافع الطهطاوى * غفر الله له ولوالديه جميع الذنوب والمساوى *
لازالت هذه المطبعة بعناية الداورى الاكرم * زاهية زاهرة * وبانفاس الخديوى
الاعظم * باهية باهرة * ولا برحت على مدى الايام * بديعة النظام * كاملة
المعانى والمبانى * بمعرفة ناظرها ابى القاسم افندى شاهد الكيلانى
سنة ١٢٥٠ من الهجرة المحمدية * على صاحبها افضل الصلاة والتحية *

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

فهرسة تخليص الابريز * في تلخيص باريز | صفحة

الخطبة	١
المقدمة	٥
الباب الاول من المقدمة فى ذكر الارتحال الى باريس	٥
الباب الثانى من المقدمة يتعلق بالعلوم والفنون المطلوبه	١٠
الباب الثالث من المقدمة فى ذكر وضع البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة الفرنساوية على ماعداها من الافرنج الى اخره	١٢
الباب الرابع من المقدمة فى ذكر رؤساء هذه السفرة	١٩
المقصد فى مدة السفر من مصر الى باريس ومارأيناه من الغرائب فى الطريق الى آخره	٢٠
المقالة الاولى فيما كان من الخروج من مصر الى دخول مدينة مرسيليا	٢١
الفصل الاول فى الخروج من مصر الى دخول ثغر اسكندرية	٢١
الفصل الثانى فى ذكر نبذة تتعلق بمدينة اسكندرية	٢٢
الفصل الثالث فى ركوب البحر المالح المتصل بثغر اسكندرية	٢٤
الفصل الرابع فيما رأيناه من الجبال والبلاد والجزائر	٢٦
المقالة الثانية فيما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة باريس	٣٠
الفصل الاول فى مدة اقامتنا فى مدينة مرسيليا	٣٠
الفصل الثانى فى الخروج من مرسيليا الى دخول باريس وفى المسافة بينهما	٣٦
المقالة الثالثة فى دخول باريس وذكر جميع ماشهدناه وبلغنا خبره من احوال هذه المدينة	٣٦
الفصل الاول فى تخطيط باريس من جهة وضعها الجغرافى وطبيعة ارضها ومزاج قطرها	٣٦
الفصل الثانى فى الكلام على اهل باريس وصفاتهم	٤٩
الفصل الثالث فى تدبير الدولة الفرنساوية وهو يشتمل ايضا على اصول قوانين الفرنساوية	٦٤

الفصل

الفصل الرابع فى عادة سكنى اهل باريس وما يتبع ذلك ٧٧
الفصل الخامس فى اغذية اهل باريس وفى عوائدهم فى المآكل والمشارب ٨٢
الفصل السادس فى ملابس الفرنسيس ٨٥
الفصل السابع فى منتزهات باريس ٨٧
الفصل الثامن فى سياسة صحة الابدان بمدينة باريس ٩٣
الفصل التاسع فى الكلام على اعتناء باريس بالعلوم الطبية وفى ذكر نبذة من
قانون الصحة تسمى نصيحة الطبيب مشتملة على مواد ٩٤
المادة الاولى فى وصية صحاح البدن ٩٧
المادة الثانية فيما يصنع حين اخذ المرض فى الظهور ٩٨
المادة الثالثة فيما يصنع حين تمام ظهور المرض ٩٩
المادة الرابعة فى معالجة الناقه ١٠١
المادة السادسة فى معالجات لجملة علل وامراض ١٠٢
الفصل العاشر فى فعل الخير بمدينة باريس ١١١
الفصل الحادى عشر فى كسب مدينة باريس ومهارتها ١١٤
الفصل الثانى عشر فى دين اهل باريس ١١٦
الفصل الثالث عشر فى ذكر تقدم اهل باريس فى العلوم والفنون والصنائع وذكر
ترتيبهم وايضاح ما يتعلق بذلك ١٢١
المقالة الرابعة فيما كنا عليه من الاجتهاد والاشتغال بالفنون المطلوبة
لتحصيل غرض ولى النعم ١٣٦
الفصل الاول فيما حصل لنا اول الامر من الترتيب فى القراءة والكتابة
وغيرهما ١٣٧
الفصل الثانى فى تدبيرنا فى شأن الدخول والخروج ١٣٩
الفصل الثالث فى ترغيب ولى النعم لنا فى الشغل والاجتهاد ١٤١
الفصل الرابع فى بعض مراسلات بينى وبين بعض كبار علماء الفرنساوية غير
مسيو جومار ١٤٢

Digitized by Google
Original from PRINCETON UNIVERSITY

الفصل الخامس فى ذكر ما قرأته من الكتب الى آخره ١٤٨
الفصل السادس فى الامتحانات التى صنعت معى فى مدينة باريس ١٥٢
المقالة الخامسة فى ذكر ما وقع من الفتنة فى فرانسا ١٥٦
الفصل الاول فى ذكر مقدمة يتوقف عليها ادراك علة خروج الفرنساوية عن طاعة ملكهم ١٥٦
الفصل الثانى فى ذكر التغيرات التى حصلت وما ترتب عليها من الفتنة ١٥٩
الفصل الثالث فيما كان يصنعه الملك فى هذه المدة وفى رضائه بالصلح بعد فوات اوانه ١٦٤
الفصل الرابع فيما انحط عليه رأى اهل المشورة من تولية ملك آخر ١٦٦
الفصل الخامس فيما حصل للوزراء الذين وضعوا خطوط ايديهم على الاوامر السلطانية التى كانت السبب فى زوال مملكة الملك الاول ١٦٩
الفصل السادس فيما كان بعد الفتنة وفى سخرية الفرنساوية على شرل العاشر وفى عدم اكتفاء الفرنساوية بذلك ١٧٢
المقالة السادسة فى ذكر نبذات من العلوم والفنون المسرودة فى الباب الثانى من المقدمة ١٧٦
الفصل الاول فى تقسيم العلوم والفنون على طريق الافرنج ١٧٦
الفصل الثانى فى تقسيم اللغات من حيث هى وفى ذكر اصطلاح اللغة الفرنساوية وفيه نبذة من مختار الاشعار ١٧٧
الفصل الثالث فى فن الكتابة ١٨٤
الفصل الرابع فى علم البلاغة المشتمل على البيان والمعانى والبديع ١٨٥
الفصل الخامس فى المنطق ١٨٦
الفصل السادس فى المقولات العشرة المنسوبة الى ارسطو ١٨٩
الفصل السابع فى علم الحساب المسمى باللغة الافرنجية ارتيماطيقا وفيه يسير من الهندسة والجغرافيا والتاريخ ١٩١
الخاتمة من رجوعى من باريس الى مصر وفى عدة امور مختلفة ٢٠٢

24
6552

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARIES
32101 006113326

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

VETUS & TESTA-
NOVUM MENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY - AUG 1994
We're Quality Bound

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARIES
32101 006113326

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY

VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY-AUG 1994
We're Quality Bound

Digitized by Google

Original from
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 076391059

Digitized by Google
Original from
PRINCETON UNIVERSITY